

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الكوفة / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

# المباحثُ البلاغيَّةُ بين الطَّبائِ والسِّزْوَاري

(دراسة موازنة)

رسالة قدمها إلى مجلس كلية الآداب / جامعة الكوفة

الطالب:

**لؤي سمير مهدي الخالدي**

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

**الأستاذ الدكتور مشكور كاظم العوادي**

٢٠١٣ م

١٤٣٤ هـ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿ خَلَقَ

الْإِنْسَانَ ﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿

صدق الله العلي العظيم

سورة الرحمن: الآيات ١-٤



بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

شهادة المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة قد جرى بإشرافي، بمراحلها كافةً، وأرشدتها

للمناقشة.

الإمضاء: 

المشرف: أ.د. مشكور كاظم العوّادي

التاريخ: ٢٣/٤/٢٠١٣ م.

بناءً على التّوصيات المتوافرة، أشرح هذه الرسالة للمناقشة.

الإمضاء: 

رئيس قسم اللّغة العربيّة: أ.م.د. حافظ كوزي المنصوري

التاريخ: ٢٣/٤/٢٠١٣ م.

## شهادة الخبير العلمي

اطلعت على رسالة الماجستير الموسومة (المباحث البلاغية بين الطبائبي والسبزواري) وقومتها علميا ووجدتها صالحة للمناقشة



التوقيع:

الاسم: جنان منصور كاظم

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية التربية / العلوم الإنسانية

التاريخ: ١٣/٥/٢٠١٣

## قرار لجنة المناقشة

استناداً إلى محضر مجلس الكلية بجلسته الحادية عشر المنعقد بتاريخ ٢٠١٣/٥/٢ ومصادقة الجامعة بكتابها المرقم ٢٧٧٨ في ٢٠١٣/٥/٢١ بشأن تشكيل لجنة مناقشة طالب الماجستير (لؤي سمير مهدي) قسم اللغة العربية عن رسالته الموسومة (المباحث البلاغية بين الطباطبائي والسبزواري)، نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها بأننا اطلعنا على الرسالة وناقشنا الطالب في محتوياتها وفي ما له علاقة بها بتاريخ ٢٠١٣/٦/٢٧ ووجدناها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وأدائها وبتقدير (مستوفٍ)

الإمضاء:  
أ. م. د. مكي محيي عيدان الكلابي

كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

( عضواً )

التاريخ ٢٠١٣/ / ٢٧

الإمضاء:

أ. د. خليل عبد السادة إبراهيم الهلالي

كلية الآداب / جامعة الكوفة

( رئيساً )

التاريخ ٢٠١٣/ / ٧

الإمضاء:

أ. د. مشكور كاظم العوادي

كلية الآداب / جامعة الكوفة

( عضواً و مشرفاً )

التاريخ ٢٠١٣/ /

الإمضاء:

أ. م. د. علي كاظم خلف

كلية الآداب / جامعة الكوفة

( عضواً )

التاريخ ٢٠١٣/ / ١

صادق مجلس كلية الآداب بجامعة الكوفة على قرار لجنة المناقشة

الإمضاء:

الأستاذ الدكتور هناء محسن العكلي

العميد وكالة

التاريخ ٢٠١٣/ /

# إلى بلاغة المعنى

إلى بلاغة المعنى ....، ومعنى الحقيقة ....

إلى دعوة الأنبياء (عليهم السلام) ....، وعنوان عدالة الله (عز وجل) ....

إلى أمل المستضعفين والمحرومين ....

إلى بلسم جراحات المظلومين والمضطهدين ....

إلى عزّ المؤمنين ....، وفخر المتقين ....

سيدي ومولاي الحجة بن الحسن المهدي (عجل الله فرجه)

أهدي ثمرة جهدي

لؤي



## شكرًا وٱعرفانًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَّفْنَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ وَفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ  
الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَيْرِ الْأَنْبَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ  
الطَّيِّبِينَ الْكِرَامِ .

أُتَقَدَّمُ بِجَزِيلِ الشُّكْرِ وَالعِرْفَانِ إِلَى:

- أساتذتي في قسم اللغة العربية جميعاً الذين زرعوا في حبّ العلم والمثابرة، وأخص بالذكر منهم: رئيس القسم الأستاذ المساعد الدكتور حافظ كوزي المنصوري، والأستاذ الدكتور حاكم حبيب الكرّيطي الذي كان لإشاراته المهمة الأثر الطيّب في استشراف آفاق الموضوع، والأستاذ الدكتور خليل عبد السادة الهاللي، والمعاون العلمي في كلية الفقه الأستاذ المساعد الدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي، والأستاذ المساعد الدكتور علي كاطع، والأستاذ المساعد الدكتور علي محمد حسين الخالدي .
- الأخ الدكتور أحمد جاسم آل مسلم الذي امدني بالمصادر والمراجع، وإلى الأخ العزيز المدرس المساعد في جامعة بابل الأستاذ عباس إبراهيم الزهيري الذي كان لي السند الحقيقي في تجاوز الصعاب.
- زملائي وزميلاتي في مرحلة الماجستير الذين غمروني بعبير الأخوة الصادقة، ولم يبخلوا عليّ بمشورة أو نصيحة فيها إثراء للموضوع .
- رفاق الدّرب ونكهة الحياة أبناء عمّي وأصدقائي المخلصين....



- ملاك مكتبة الروضة الحيدرية، ومكتبة الإمام الحكيم، ومكتبة كليّة الآداب/جامعة بابل، والمكتبة الأدبية المختصة، والمكتبة المركزية في جامعة القادسية.
- أسرتي التي شاطرتني الهموم والمتاعب .

لكم مني جميعاً كلّ الحبّ والتقدير والوفاء.

الباحث



- خ -



# كشّاف المحتوى

| الصفحة | الموضوع  |
|--------|--|
| ٥-١    | المقدمة  |
| ١٦-٧   | التمهيد: المرجعية المعرفية للطباطبائي والسبزواري                 |
| ١٣-٧   | ١- النشأة العلمية للمفسرين                                       |
| ١٦-١٤  | ٢- التكوين المعرفي   |
| ٦١-١٨  | الفصل الأول: مباحث البيان وأصول الدلالة بين الطباطبائي السبزواري |
| ٢١-١٨  | المدخل: البيان والدلالة  |
| ٢٩-٢٢  | المبحث الأول: التشبيه والتمثيل                                   |
| ٢٥-٢٢  | التشبيه  |
| ٢٩-٢٦  | التمثيل  |
| ٤٣-٣٠  | المبحث الثاني: الحقيقة والمجاز                                   |
| ٣٦-٣٠  | الحقيقة والمجاز  |
| ٤٠-٣٧  | المجاز المرسل  |
| ٤٣-٤٠  | المجاز العقلي  |
| ٤٩-٤٤  | المبحث الثالث: الاستعارة   |
| ٤٧-٤٤  | الاستعارة  |
| ٤٩-٤٧  | الاستعارة المكنية والاستعارة التخيلية                            |
| ٦١-٥٠  | المبحث الرابع: الكناية   |
| ٥٤-٥٠  | الكناية  |
| ٥٧-٥٤  | التعريض  |
| ٥٩-٥٧  | التلويح  |
| ٦١-٥٩  | الإيماء والإشارة   |



|           |   |
|-----------|---|
| ١٣٢-٦٣    | الفصل الثاني: مباحث المعاني ومقتضى التّواصل بين الطّباطبائي<br>والسبزواري |
| ٦٥-٦٣     | المدخل: المعاني ومقتضى التّواصل   |
| ٧٦ - ٦٦   | المبحث الأوّل: الخبر  |
| ٦٩- ٦٦    | الخبر   |
| ٧٢- ٧٠    | توكيد الخبر   |
| ٧٦ - ٧٣   | الأغراض المجازية التي يخرج إليها الخبر                                    |
| ٩٤ - ٧٧   | المبحث الثاني: الإنشاء وأقسامه:   |
| ٨٠ - ٧٧   | الإنشاء   |
| ٨٣ - ٨٠   | الأمر   |
| ٨٧ - ٨٤   | النهي   |
| ٩١ - ٨٧   | الاستفهام   |
| ٩٤- ٩١    | النّداء   |
| ١٠٥ - ٩٥  | المبحث الثالث: التّعريف والتّكثير   |
| ١٠١ - ٩٥  | التّعريف  |
| ١٠٥- ١٠١  | التّكثير  |
| ١١٢- ١٠٦  | المبحث الرابع: التّقديم والتّأخير   |
| ١١٧- ١١٣  | المبحث الخامس: الفصل والوصل   |
| ١٢٢ - ١١٨ | المبحث السّادس: القصر أو الحصر  |
| ١٣٢- ١٢٣  | المبحث السّابع: الإيجاز والإطناب  |
| ١٢٨- ١٢٣  | الإيجاز   |
| ١٣٢- ١٢٩  | الإطناب   |

|          |  |
|----------|--|
| ١٦٩-١٣٤  | الفصل الثالث: مباحث البديع واستجابة المتلقي بين الطبائبي<br>والسبزواري |
| ١٣٦-١٣٤  | المدخل: البديع والمتلقي  |
| ١٤٣-١٣٧  | المبحث الأول: التكرار  |
| ١٤٧-١٤٤  | المبحث الثاني: المقابلة  |
| ١٥٤-١٤٨  | المبحث الثالث: الالتفات  |
| ١٥٩-١٥٥  | المبحث الرابع: المبالغة  |
| ١٦٤-١٦٠  | المبحث الخامس: الإبهام والاعتراض                                       |
| ١٦٢- ١٦٠ | الإبهام  |
| ١٦٤-١٦٢  | الاعتراض   |
| ١٦٩-١٦٥  | المبحث السادس: التناسب   |
| ١٧٤-١٧١  | الخاتمة ونتائج البحث   |
| ١٩٤-١٧٦  | كشّاف المصادر والمراجع   |
| A-B      | خلاصة البحث باللّغة الانجليزية   |



المِقْدِسِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ((المقدمة))

الحمد لله الذي فتق عن بديع المعاني بلسان أهل البيان، وأنزل كتابه المبين على سراج المنير أبي القاسم محمد المصطفى مبعوثاً وهادياً للعالمين، وصلى الله عليه وآله الميامين وصحبه المنتجبين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو الكتاب الاسمي في الوجود الإسلامي والتراث الإنساني على وجه الاطلاق، فهو المعجزة الخالدة الذي أبهر العرب وأدهش أفاطم اللّغة وأرباب البلاغة في كل العصور، وهو النازل بينهم: بنظمه البديع السّاحر، وأسلوبه العجيب الأسر. ولهذا ما إن عرض عليّ الأستاذ الدكتور مشكور كاظم العوادي فكرة هذا الموضوع الموسوم (المباحثُ البلاغيّة بين الطّباطبائي والسبزواري) حتّى أحسستُ حينها أنّ رغبتني قد تتحقّق في خدمة كتابه الحكيم من حيث الارتشاف من معارفه وعلومه بعامة وأسرار بلاغته بخاصة، لاسيّما أنّ هذه البلاغة هي من أهم مداخل إعجازه المبين. وكان هذا الأمر من الأسباب الرّئيسة التي دعّنتي لاختيار هذا الموضوع. أمّا الأسباب الأخر فقد كانت تتمثّل في: أنّ السيّد الطّباطبائي والسيّد السبزواري يعدّان من ألمع المفسرين المعاصرين على السّاحة الإسلاميّة، والإمامية خاصّة. فضلاً عن وجود مشتركات كثيرة بينهما ابتداءً من البيئّة والثّقافة ووحدة المعتقد أو المذهب. وصولاً إلى تناول المادة البلاغيّة في هذين التّفسيرين، وهما: (الميزان في تفسير القرآن) للسيّد محمد حسين الطّباطبائي، والمطبوع من (مواهب الرّحمن في تفسير القرآن) للسيّد عبد الأعلى السبزواري. فضلاً عن أنّهما يعدّان كنزين من منجزنا الحضاري والعقائدي الذي نعتزّ به. وكذلك فإنّ بالمكتبة القرآنيّة والعربيّة حاجةً إلى عقد دراسة أكاديميّة بلاغيّة موازنةً بينهما وهي بلا شك ستتوخى الأدلّة الموضوعيّة والشواهد العلميّة في أطرها المنهجية.

وما إن شرعتُ في جمع مادة البحث حتى وجدتُ أكثر من دراسة استمدت فضاءاتها من هذين التفسيرين، وهذه الدراسات هي: (البحثُ البلاغيُّ في تفسير الميزان)، للباحث رياض خلف خزي المرشدي، (٢٠٠٦م)، و(البحثُ البلاغيُّ في تفسير الميزان)، للباحث حيدر هادي أحمد، (٢٠٠٩م)، و(المباحثُ البلاغيَّة في المطبوع من تفسير مواهب الرِّحمن لسماحة آية الله العظمى السيِّد عبد الأعلى السبزواري (تتذُّ)، للباحث أحمد جاسم آل مسلم الخيال، (٢٠١١م). كما افدتُ من بحث مخطوط لأستاذي المشرف بعنوان: (مقاربات منهجيَّة بين الطَّبَّاطبائي والسبزواري (تفسير القرآن أنموذجاً) في ثنايا الرِّسالة.

وبعد التأمُّل والملاحظة شرعتُ إلى أن أدرس المفسِّرين موازناً من منظور بلاغيّ. فضلاً عما ارشدني إليه أستاذي الدكتور المشرف في صلاحية الموضوع وجدته مما شجَّعني أكثر على المواصلة.

أمّا منهج البحث فقد استمد مادته من التفسيرين، إذ ارتأيتُ أن اتخذ من التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة مسلكاً في هذه الدراسة، إلّا أنني في الوقت نفسه فقد آثرت تقديم (مباحث البيان) على غيرها؛ وذلك لاشتمالها على أصول الدلالة النصِّية.

وفي هذا الصدد حاولتُ أن أقدم إيجازاً دالاً لكلِّ لونٍ بلاغيٍّ ورَدَّ عند المفسِّرين - وبما يتطابق مع منهجة الدراسة- ليتسنى لي بعد ذلك دراسته ومعرفة مدى انسجامه مع المصطلح البلاغيّ. فضلاً عن ذلك كان بحثي للمادة العلميَّة يرتكز إلى إيراد مواطن الاختلاف والتشابه بين المفسِّرين، ومن ثمَّ تحليلها. علاوةً على ذلك وحرصاً مني لإتمام الفائدة وتوصيلها إلى المتلقِّي؛ فقد عمدتُ إلى ذكر مواطن التّفرد عند المفسِّرين وموازنتها في هذا المقام مع آراء علماء المفسِّرين أو البلاغيين من القدماء أو المحدثين.

أمّا خطة البحث فقد تكونت من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

جاء التمهيد بعنوان: (المرجعيَّة المعرفيَّة للطَّبَّاطبائي والسبزواري) وتألَّف من جزئين، كان الأوَّل عن (النشأة العلميَّة للمفسِّرين): إذ درست فيه ما يتصل بالمفسِّرين من الولادة

والنسب والنشأة العلميّة، فضلاً عن اساتذتهما وتلاميذهما ومؤلفاتهما وصولاً إلى وفاتهما رحمهما الله تعالى.

وذكرتُ في الجزء الثاني (تكوينهما المعرفي): إذ عرضتُ فيه مرجعياتهما المعرفية ومصادرهما الثقافيّة ومنها علوم البلاغة التي هي من أقرب العلوم وأكثرها صلةً بتفسير القرآن الكريم.

وحمل الفصل الأوّل عنوان: (مباحث البيان وأصول الدلالة بين الطباطبائي والسبزواري)، وكان معنياً بالكشف عن هذه المباحث من وجهة نظر المفسّرين؛ وذلك لتضمنه أصول الدلالة المجازية التي لها قصب السبق في إيضاح المعنى المراد، وإيصاله إلى المتلقّي. وقد اشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث قدمت لها بمدخل بعنوان: (البيان والدلالة) إذ عرضتُ فيه إلى العلاقة بين البيان والدلالة: استمداداً من دلالة الكلمات التي ترد في التركيب والسياق. أمّا هذه المباحث فقد وردت على النحو الآتي: كان الأوّل يتناول (التشبيه والتّمثيل) إذ بيّنتُ فيه أركان التشبيه، فضلاً عن أهمّيته. علاوةً على ذلك فقد تطرقتُ إلى التّمثيل وقيّمته الجمالية. وضمّ الثاني (الحقيقة والمجاز) إذ درستُ فيه الحقيقة. فضلاً عن الإشارة إلى المجاز ومقولات البلاغيين فيه وأنواعه المتمثلة بـ(المجاز المرسل) و(المجاز العقلي). وكان الثالث في (الاستعارة) إذ وضّحتُ فيه قيمتها الدلالية والجمالية بوصفها من أهم أنماط الإيحاء وصوره، والرابع عرض إلى (الكناية) إذ بيّنتُ فيه آفاقها الجمالية ومراميتها التعبيرية، علاوةً على ذكر ألوانها الأخرى، كالتعريض والتلويح والإيماء والإشارة.

وخصّص الفصل الثاني لـ(مباحث المعاني ومقتضى التّواصل بين الطباطبائي والسبزواري) إذ سلط الضوء على أثر هذه المباحث من وجهة نظر المفسّرين في الأداء والتّوصيل لتحقيق استجابة المتلقّي. وكان بسبعة مباحث تصدرها مدخل بعنوان: (المعاني ومقتضى التّواصل) إذ أكّدتُ فيه على أهمّية (النظم والسياق) في تحقيق التّواصل بين المتلقّي والنصّ القرآني.

أمّا المباحث فقد جاء الأوّل:(الخبر) إذ كشفتُ فيه عن الفائدة التي يمنحها إلى المتلقّي في توصيل المعنى المراد، فضلاً عن الإشارة إلى مؤكّداته، وأغراضه أو معانيه المجازية التي يفيدها...، والثاني: (الإنشاء) إذ ركّزتُ فيه على الإنشاء الطلبي الذي يُعنى بتوليد المعاني وإيجادها؛ وذلك من خلال أقسامه كالأمر والنهي والاستفهام والنّداء. والثالث: (التّعريف والتّكثير) إذ أشرتُ فيه إلى أنساق التّعريف كالإشارة والإضافة والضمائر، فضلاً عمّا يوفره التّكثير من فضاءات واسعة أمام المتلقّي للوصول إلى الدّلالة المقصودة. وجاء الرابع: (التّقديم والتّأخير) إذ ضمنته المعاني التي أفادها هذا الأسلوب لاستشفاف النكات التي تقف وراءه. والخامس (الفصل والوصل): إذ كشفتُ فيه عن مهامه المتميزة، لاستجلاء المعاني وتبيان المقاصد وصولاً إلى الدّلالة المطلوبة. والسادس: (القصر أو الحصر) إذ جعلته للكشف عن أغلب طرائق القصر التي تعتمد على التّركيز والتّكثيف في إيضاح المعنى المراد. والسابع كان (الإيجاز والإطناب) وعرضتُ عنده الإيجاز - بقسميه - من حيث (إيجاز القصر) و(إيجاز الحذف)، فضلاً عن الإشارة إلى بعض ألوان الإطناب.

أمّا الفصل الثالث فقد نهض بـ(مباحث البديع واستجابة المتلقّي بين الطّباطبائي والسبزواري) إذ عرض هذا الفصل إلى أثر هذه المباحث من وجهة نظر المفسّرين في المتلقّي من حيثُ الإثارة وتحقّق الاستجابة. وهو بستة مباحث وضعتُ له مدخلاً بعنوان: (البديع والمتلقّي)، وقد شخصتُ فيه العلاقة القائمة بين البديع والمتلقّي على التّأثر والتّأثير. أمّا المباحث فقد كان: الأوّل عن (التّكرار) إذ جاء لوصف التّكرار، فضلاً عن بيان المؤثرات القصدية التي يحدثها في نفس المتلقّي لتحقيق الاستجابة. والثاني:(للمقابلة) إذ ذكرتُ فيه ما لها من أهميّة في استكناه المعنى وإبانة القصد. والثالث: (الالتفات) وعرفتُ فيه بأغلب أنواع الالتفات، فضلاً عن بيان المعاني التي أفادها. والرابع عن (المبالغة) إذ وجهته لبيان قدرة المبالغة للتّأثير في المتلقّي وذلك بما تزخر به من قيم جمالية وفنية. والخامس: (للإبهام والاعتراض) إذ اكتفيتُ فيه بالإشارة إلى الإبهام والاعتراض، فضلاً عن ذكر الأغراض المجازية التي أفيدتُ بهذين اللونين البلاغيين. والسادس عن (التّناسب) إذ درستُ فيه بعض

ألوانه، كالتناسب في مقاصد السور، فضلاً عن تناسب المعاني القرآنية بين أكثر من آية شريفة، فضلاً عن دقة استعمال القرآن الكريم للحروف في مواضعها المقصودة، وكذلك قرينة (مناسبة الحكم للموضوع).

وقد ختمت هذه الفصول والمباحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والأفكار التي يعتقد بها البحث بعلمية وموضوعية.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذه المسيرة النافعة والتمتعة فلعل أهمها تقف سعة الموضوع وجدته؛ وذلك لكون دائرة اشتغاله في أعلى وأرقى نص إبداعي وهو (القرآن الكريم).

أما مصادر البحث ومراجعته فقد تنوعت وتعددت بين كتب تفسير القرآن ومعانيه ومجازه وإعرابه، وكتب البلاغة العربية قديمها وحديثها. فضلاً عن كتب اللغة والنقد والنحو والصرف والسيرة والتراجم والمعجمات وغيرها من الروافد المهمة التي أغنت الدراسة لبيان قضية ما أو إيضاح معنى مقصود.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان، ووافر الثناء والعرفان إلى شخي المشرف الأستاذ الدكتور مشكور كاظم العوادي لما بذله من جهد كبير ومضن في هذا البحث، فضلاً عما أولاني من رعاية علمية خاصة فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين. وفي الختام لا أدعي أن هذه الرسالة قد بلغت الكمال ونالت الاستحسان، فإن وفقت بها فبإلطف الله وكرمه، وإن قصرت فحسبي أنني حاولت.. ما استطعت..

أسأل الله ربّي العليم الحكيم أن يسدّد خطاي على جادة صوابه، ويكرمني بفهم خطابه، وخدمة كتابه ما بقيت.. أنه نعم المولى ونعم النصير.

.. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين..

الباحث







تمنّى سيّد:

المرجعية المعرفية

للطبّاطبائي والسبزواري





## التمهيد:

### (المرجعية المعرفية للطباطبائي والسبزواري)

#### ١. النشأة العلمية للمفسرين:

درج السيّدان الجليلان الطّباطبائي والسبزواري منذ نعومة أظفارهما في مرابع العلم وميادين المعرفة، ولذا ((سار الرّجلان درب الحياة العلميّة في خط واحد من الدّرس التّفسيّري الذي مثل مخاض جهود أصولية وعقائدية وكلامية وعرفانيّة، وقد نذرا نفسيهما في خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى، ولكنهما افتراقاً في النظر الشّمولي لهذا الكتاب العظيم))<sup>(١)</sup>.

فالطّباطبائي هو محمّد حسين بن محمّد حسن بن ميرزا علي الأصغر شيخ الإسلام بن ميرزا تقي القاضي، ويمتد نسبه الشّريف إلى إبراهيم الغمر بن الحسن المثني بن الإمام الحسن السبّط (عليه السلام) بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)<sup>(٢)</sup> وابن فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.

إذن فالسيّد الطّباطبائي ينتمي ((إلى أسرة علوية تضرب بجذورها في التاريخ العربي الإسلامي (في الحجاز والعراق))<sup>(٤)</sup>.

ولد السيّد الطّباطبائي في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٢١هـ في قرية قريبة من (تبريز) تسمى (شادكان) وفقد أمه، وهي تضع أخاه السيّد محمّد حسن، وكان له من العمر خمس سنوات، ثم فقد أباه وهو في السنة التاسعة، فتولى رعايتهما خالهما السيّد محمّد باقر القاضي<sup>(٥)</sup>.

(١) مقاربات منهجية بين الطّباطبائي والسبزواري- تفسير القرآن أنموذجاً- (بحث مخطوط) /ص ٢.

(٢) ينظر: المشجر الوافي في السلسلة الحسينية: ١٠١/٩، ٦٢، ١٠/٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢-٣.

(٤) البحث الدلالي في تفسير الميزان (دراسة في تحليل النص) / ص ١٥.

(٥) ينظر: مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي / ٢٩ - ٣٠، والشمس الساطعة (رسالة في ذكرى العالم الرّباني العلامة السيّد محمّد حسين الطّباطبائي التبريزي) / ص ٢٤، ٣٤.



ونشأ السيّد الطّباطبائي في أسرة اشتهرت قديماً بالفضل والمعرفة ((وكانت سلسلة أجداده الأربعة عشر كلها من العلماء المعروفين والمعروفين في تبريز))<sup>(١)</sup>.

وكان الطّباطبائي ((يلقب بـ(الحسني) نسبة إلى الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) من أبيه، وبـ(الحسيني) نسبة إلى الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) من أمه، وبـ(الطّباطبائي) نسبة إلى السيّد إبراهيم طباطبا...))<sup>(٢)</sup>، وهذا هو اللقب الأشهر من بين الألقاب الأخر، وبـ(القاضي) نسبة إلى جده السّادس المعروف بالسيّد الميرزا محمّد علي القاضي القاضي القضاة في منطقة في آذربيجان، وقد وسع علمه وفقهه وقضاؤه كل أنحاء المنطقة، وعلى هذا الأساس لقب بالقاضي<sup>(٣)</sup>.

بدأ السيّد الطّباطبائي دراسته متلقياً مبادئ العلوم الأولية في (المقدمات) بمسقط رأسه (تبريز) على يد أفضل أسرته وسراة قومه<sup>(٤)</sup>. وبعد إتمامه مرحلة المقدمات هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٤٣هـ ((وتلقى ثقافته في مدارسها الدينية، ومعاهدتها العلميّة وتأثر بأجوائها الثقافيّة وحلقات الدراسة فيها، وبالوافدين من العلماء إليها، والمقيمين فيها))<sup>(٥)</sup>.

فقد درس السيّد الطّباطبائي الأصول والفقه والكلام والفلسفة والأخلاق والرياضيات في النجف الأشرف على أساطين أعلامها وكبار أساتذتها فاستوعب جل آرائهم وخلصه معارفهم، إذ ((درس الفقه والأصول على العلامتين: الشيخ محمّد حسين النائيني، والشيخ محمّد حسين الكمباني، والفلسفة على السيّد حسين البادكوبي، كما درس الرياضيات على السيّد أبي القاسم الخوانساري، والأخلاق على الحاج ميرزا علي القاضي...))<sup>(٦)</sup>.

(١) الطّباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان/ص ٤٥.

(٢) البحث الدلالي في تفسير الميزان/ص ١٦.

(٣) ينظر: الشمس الساطعة/ص ٣٣.

(٤) الطّباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان/ص ٤٩.

(٥) البحث الدلالي في تفسير الميزان/ص ١٦.

(٦) المصدر نفسه/ص ١٩.

ولم يكتف السيد الطباطبائي ((باهتماماته السابقة واجتهاده المتواصل في الفقه والأصول وعلوم العربية، فقد تعدى ذلك إلى دراسة دورة كاملة في الرياضيات القديمة من ((الأصول)) لافليدس إلى ((المجسطي)) لبطليموس، وكذلك الحال في علوم الفلسفة والكلام والعرفان))<sup>(١)</sup>.

ومن حضارة النجف الأشرف الزاخرة بالعلم والعلماء، والبيئة الخصبة لرقى الإنسان إلى مراتب الكمال، وما تراكم من تراث أسرته وشيوخه وبيئته مدة عقد من الزمن عاد إلى مسقط رأسه سنة ١٣٥٣هـ، وبقي فيها مدة تجاوزت العشر سنوات ثم هاجر إلى مدينة (قم) المقدسة، على أثر الحرب العالمية الثانية سنة (١٣٦٥هـ - ١٩٤٤م) وهناك بدأ نجمه بالظهور ولاح بريقه لأولي الألباب والعقول على مستوى البحث التفسيري والفلسفي<sup>(٢)</sup>. إذ التف حوله الكثير من طلبة العلم ينهلون من بحره العذب و افقه الواسع، فكان أنموذجاً للعالم العامل بعلمه بحق.

وللمكانة العلمية الرفيعة التي كان يحظى بها السيد الطباطبائي، ولكونه أحد أركان الحوزة العلمية في (قم) المقدسة، ولتعدد حلقات دروسه العلمية في التفسير والفلسفة والفقه والأصول وغيرها راح عدد كبير من فضلاء الحوزة وطلابها يختلفون إلى حلقاته، و يتفيؤون ظلل علومه، فتتلمذ عليه عدد كبير وجمع غفير. وكان من ألمع تلامذته الشيخ مرتضى مطهري (رحمته) الذي سطع نجمه في مجالات كثيرة، وكذلك الشهيد الدكتور بهشتي، والشهيد الدكتور مفتاح، والشيخ جعفر السبحاني، والشيخ الجواد الأملي وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

وقد ترك المفسر آثاراً علمية كثيرة، ومن أشهرها: الميزان في تفسير القرآن: في عشرين مجلداً، وأصول الفلسفة: في خمسة أجزاء، وبداية الحكمة، ونهاية الحكمة (في الفلسفة)، والقرآن في الإسلام، وعلي والفلسفة الإلهية، والشريعة في الإسلام، والمرأة في

(١) البحث الدلالي في تفسير الميزان / ١٩، وينظر: الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان / ص ٤٧ - ٤٩.

(٢) ينظر: رسالة التشيع في العالم المعاصر / ص ٥٣٥.

(٣) الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان / ص ٥٢، وينظر: (مواقف ورجال - الفيلسوف الإسلامي السيد محمد حسين الحسني الطباطبائي - مؤسسة مدرسة جديدة في تفسير القرآن) (بحث) / ص ١٦.



الإسلام، وتعليقات على كتاب (الأسفار) للملا صدر المتألهين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ) وعلى أصول الكافي للكليني (ت ٣٢٨ أو ت ٣٢٩هـ) وعلى (بحار الأنوار) للمجلسي (ت ١١١١هـ) ، ورسائل فلسفية وعقائدية أخرى<sup>(١)</sup>.

توفي السيّد الطّباطبائي في الثامن عشر من محرم الحرام سنة (١٤٠٢هـ—١٩٨٢م) في مدينة (قم) المقدسة، وشيّع تشيعاً مهيباً، ودفن إلى جوار مرقد السيّدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) المعروفة بمعصومة<sup>(٢)</sup>. أدخله الله فسيح جناته وتحت ظلال رحمته.

أمّا السيّد السبزواري فهو عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي بن عبد الغني بن محمّد بن حسين، ويمتد نسبه العلوي إلى السيّد إبراهيم المجاب بن محمّد العابد بن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) بن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) بن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.

كان مولده في يوم الغدير الأغر الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٣٢٨هـ في مدينة سبزوار، وقد وجد تاريخ ولادته مكتوباً بخط يده الشريفة علي نسخة من الصحيفة السجادية<sup>(٤)</sup>.

وينتمي السيّد السبزواري إلى أسرة علمية عريقة حفلت بكثير من رجالات العلم وسادات الفكر. حتى قيل: ((إنّ هذه الأسرة الشريفة لا يمرُّ بها عصر من العصور إلا وفيها أحد رجالات العلم المجتهدين))<sup>(٥)</sup>.

(١) البحث الدلالي في تفسير الميزان / ص ١٩-٢٠، وينظر: الطّباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان / ص ٥٢-٥٥.

(٢) ينظر: الشمس الساطعة / ص ١٢٥.

(٣) ينظر: المشجر الوافي في السلسلة الموسوية: ١/٤٦٣، ٣٨٧، ٣٨١، وألطف الباري من نفحات الأمام السبزواري / ص ١٥-١٦.

(٤) ينظر: منهج السبزواري في تفسير القرآن (رسالة ماجستير) / ص ١٠، وألطف الباري / ص ٢١ (الهامش).

(٥) العارف ذو الثّنات (قراءة تحليلية للأبعاد المشرقة من حياة سماحة آية الله العظمى السيّد عبد الأعلى السبزواري) / ص ٣٠.



ولقّب السيّد عبد الأعلى بـ(السبزواري)نسبة إلى مدينة (سبزوار) المعروفة بالتشيع وولائها لمذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين)<sup>(١)</sup>. ومن ألقابه الآخر (إمام المحدثين) و(خاتم المحدثين)، وهذان اللقبان يدلّان على عمق تبحره في الأحاديث الشريفة. فضلاً عن بلوغه مستويات عالية في مراتب السيّر والسلوك نحو الوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى، وقد أشار إلى هذا المعنى أحد الباحثين بقوله: (فقد كان أي السبزواري يصحّح الأسانيد بالمتون، إذ يشتم من المتن رائحة نفس المعصوم، من دون الرجوع إلى الراوي؛ بمعنى أنه يجد الراوي عرضياً على الحديث، ولا يتعرّف على الحديث عن طريق الراوي، وإنما يتعرف على الراوي من الحديث، وذلك لأنّ الحديث عنده ذو نفس، وله مقياس روحي كأنّه حاضر عند المعصوم)<sup>(٢)</sup>.

نشأ السيّد السبزواري في كنف أبيه، وتحت رعايته، فتعلّم القراءة والكتابة في سنّ مبكرة، ثم درس الأوليات، وبعض المتون الفقهيّة ممّا يعرف بمرحلة السطوح، وبعدها قرّر والده إرساله إلى مدينة (مشهد) المقدسة لتلقي العلوم والمعارف في حوزتها العلميّة العريقة، فواكب السيّد على الدراسة فيها بكل رغبة وشوق ومثابرة، وتتلّمذ على كبار الأساتذة، ومنهم: الأديب النيشابوري الأوّل في علم الأدب، والشيخ محمّد حسن البرسي الذي تعلّم منه الفقه والأصول، وآية الله أغا حكيم، والشيخ محمّد العصّار اللذان تعلّم منهما الفلسفة والحكمة، والإمام العارف بالله الشيخ حسن علي الأصفهاني الذي كان له الأثر الواضح في دراسات المفسر - ولاسيما على المستوى التفسيري والعرفاني - إذ اقتبس السيّد السبزواري من أنوار معارفه؛ لأنه كان من أئمة السالّكين، وأصحاب الأحوال والمقامات العرفانية العالية<sup>(٣)</sup>.

وبعدما انتقل السيّد إلى النجف الأشرف سنة ١٣٤٨هـ تتلمذ على يد كبار العلماء وأفاضل الفقهاء، فأما أساتذته في الفقه والأصول فهم آية الله العظمى الشيخ محمّد حسين

(١) ينظر: الكنى والألقاب: ١١٤/٢ - ١١٥، وجمال السالّكين العالم الربّاني السيّد عبد الأعلى السبزواري (تتّش) / ص ٣٠.

(٢) جمال السالّكين/ ص ٣٠، وينظر: مع المقدس السبزواري في قبسات من مواهبه/ ص ١٣.

(٣) ينظر: جمال السالّكين/ ص ١٥-١٦، وألطف الباري/ ص ٢٩-٣٠.



النائيني، والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ أغا ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين الأصفهاني. أما أستاذه في الفلسفة والحكمة فهو السيد حسين البادكوبي، وكان أستاذه في عرفان الحكيم الإلهي الشيخ محمد حسين الأصفهاني، وأما أستاذه في التفسير فهو الشيخ محمد جواد البلاغي وهو أستاذ السيد الطباطبائي في هذا المجال - أيضاً - وأما أستاذه في علم الحديث فهم الشيخ عبد الله المامقاني، والعلامة الشيخ أغا برزك الطهراني والمحدث الشيخ عباس القمي<sup>(١)</sup>.

وحينما حصل السيد السبزواري على إجازته من أستاذه بالفضل والعلم شرع في البحث والتدريس فقها وأصولاً ولأكثر من دورة في الفقه والأصول. وقد تخرج على يديه نخبة من العلماء الأفاضل، ومنهم: آية الله السيد محمد بن السيد مصطفى الموسوي الشهير بـ(كلانتر) عميد جامعة النجف الدينية، والشيخ محمد صادق السعدي وهو من الأساتذة في الفقه والأصول والتفسير في مدينة (مشهد) المقدسة، والشيخ محمد علي التبريزي، والسيد جمال الدين الاستربادي صاحب كتاب (المحجة العظمى في شرح العروة الوثقى) تقريراً لأبحاث أستاذه السيد السبزواري، والشيخ مرتضى الغروي الطهراني من كبار علماء طهران وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

كتب السيد السبزواري مؤلفات عدة كان لها الصدى الواسع، والأثر الطيب في الأوساط العلمية الحوزوية والأكاديمية على حدّ سواء، ومن أشهرها: مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، يقع في ثلاثين مجلداً، وله التعليقات على الموسوعات الفقهية مثل تعليقه على كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) للشيخ محمد حسن الجواهري تقع في ثلاثة وأربعين مجلداً تقريباً، وتعليقه على (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) للفتوة المحدث، الشيخ يوسف البحراني، وهو من أدق الموسوعات الفقهية الاستدلالية عند الشيعة الإمامية، وتعليقه على (مستند الشيعة) للشيخ أحمد النراقي. وفي الحكمة له تعليقه على كتاب (الحكمة المتعالية) المعروف بـ(الأسفار) لصدر المتألهين الشيرازي، وتعليقه على كتاب

(١) ينظر: جمال السالكين/ ص ١٦-١٧، وصفحة من حياة الإمام السبزواري/ ص ٤٣-٤٥.

(٢) ينظر: ألطاف الباري/ ص ٤٠-٤١.

الدراسة المشهور بـ(المنظومة) للملاّ هادي السبزواري، وفي الأصول (تهذيب الأصول) دورة كاملة تقع في مجلدين، وفي التفسير(مواهب الرحمن في تفسير القرآن) يقع في ثلاثين مجلداً تقريباً إلا أنه لم يطبع منه سوى أربعة عشر جزءاً، وفي الحديث والرجال حاشية على (بحار الأنوار) للمجلسي وغيرها<sup>(١)</sup>.

وأصبح السيّد السبزواري مرجعاً منذ سنة ١٣٨٠هـ فلجأ إليه في التقليد جماعة من المؤمنين في العراق وإيران أي: بعد وفاة المرجع العظيم السيّد أغا حسين الطباطبائي البروجردي، وبعد وفاة السيّد مُحسن الحكيم سنة ١٣٩٠هـ ازداد مقلدوه، وبعد وفاة السيّد الخوئي سنة ١٤١٣هـ عاد إليه الناس في كثير من الأقطار الإسلامية فأصبحت مرجعيته عامّة<sup>(٢)</sup>.

توفي السيّد السبزواري في صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من صفر الخير سنة (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) في مدينة (النجف الأشرف)، ودفن فيها في مقبرته الخاصة الكائنة خلف الجامع الذي كان يدرس ويصلي فيه<sup>(٣)</sup>. غمره الله بواسع رحمته ووافر لطفه. ومما تقدم نجد((أنّ شخصية المفسرين المبدعة قد هيأتها عوامل تكوينها المشتركة من البيئة والوراثة والثقافة))<sup>(٤)</sup>. فضلاً عن ما يتمتعان به من ذكاء حاد في البحث والاستقراء، وما يمتلكانه من قدرة نافذة في الاجتهاد والاستدلال<sup>(٥)</sup>. فكل هذه العوامل جعلتهما من المفسرين الكبار والأفذاذ الذين يشار إليهم بالبنان.

(١) جمال السالكين/ ص ٢٣-٢٥، وينظر: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ٦٦٥/٢.

(٢) جمال السالكين/ ص ٢١.

(٣) أَلطاف الباري/ ص ١٥٧-١٥٨.

(٤) مقاربات منهجية بين الطباطبائي والسبزواري (بحث مخطوط) / ص ٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.





## ٢. التكوين المعرفي:

يعدُّ المفسرون أصحاب الفضل الأول في بيان ما خفي من المعاني والدلالات في النصّ القرآني، لأنّ دراسة البلاغة والنحو وغيرها من علوم اللسان، إنّما وجدت لفهم كتاب الله العزيز بعدما اتسعت مساحة الدولة الإسلامية، ودخلت في الإسلام أجناس غير عربيّة لا تحسن استعمال لغة القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر المشتغلون في الدّراسات القرآنيّة أنّ المفسر يحتاج إلى منظومة معرفيّة كبيرة تؤهله لتفسير القرآن الكريم، وهذه المنظومة تتألف من مجموعة علوم مختلفة مثل علم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق، وعلوم البلاغة من معان وبيان وبديع - ثمّ إنّ هذه العلوم الثلاثة تعد من أهمّ أركان مفسر النصّ القرآني، وذلك بوصفها أدوات كاشفة عن قضية بلاغة القرآن وإعجازه من حيث التحليل واستكناه أسرارهِ ولطائفهِ، ثمّ الوقوف على علم القراءات وعلم أصول الدين، وهو علم الكلام وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز وما يَسْتَحِيل...، وعلم أصول الفقه، وعلم أسباب النزول، وعلم القصص، وعلم الناسخ والمنسوخ، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وعلم الموهبة- وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم - فضلا عن إمامه بعلمي التاريخ وتقويم البلدان<sup>(٢)</sup>. كما ينبغي أن يكون على معرفة كبيرة بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة في عصره. ولهذا فإن مطالب علم التفسير تتسّم أعلى مراتب المعرفة الإنسانيّة.

ومن خلال ما تقدّم نلاحظ أنّ علوم البلاغة هي من أهم العلوم التي يحتاجها مفسر القرآن الكريم، لأنّها تمثل الأداة الناجعة في تحليل النصوص واستنباط المعاني. ولذا نحسب أنّ الغرض الدّيني كان هو الداعي الحقيقي لظهور البلاغة العربيّة، وإنّ لقضية الإعجاز القرآني القدر المعلى والأثر الجلي في تطورها<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ ص ٥.

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون: ٢٦٥/١-٢٦٩.

(٣) ينظر: البلاغة عند السكاكي/ ص ٢٦٩.

ولأهمية البلاغة في تحليل النصِّ القرآني فقد اتخذها المفسِّرون وسيلة فاعلة ومنتجة في الوصول إلى الدلالة المقصودة، وهذا ما نراه بوضوح عند الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في تفسيره، إذ إنه ((فتح لنا عمق دراسة جديدة في البلاغة القرآنية التطبيقية))<sup>(١)</sup>؛ وذلك لاعتقاده أنَّ ((المعرفة بالبلاغة و أنماطها وأساليبها لا تكشف فقط عن وجود الإعجاز البلاغي في القرآن، بل تكشف أيضاً عن خفايا معانيه وخبائثاتها وذخائرها المكنونة))<sup>(٢)</sup>. وفي هذا المعنى يجعل الزمخشري علمي المعاني والبيان من العلوم المختصة بالقرآن الكريم، إذ قال ((...ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونةً، وتعب في التتقير عنهما أزمناً))<sup>(٣)</sup>.

فالزمخشري يعتقد إذن أنَّ علمي المعاني والبيان من أهم العلوم لمن يريد أن يفسر القرآن الكريم ((إذ بدونهما لا تستقيم له الدلالات ولا تتضح له الإشارات ولا لطائف ما في الذكر الحكيم من الجمال البلاغي المعجز))<sup>(٤)</sup>. الذي عنت له وجوه أساطين العرب وأرباب بلاغتها.

وقد استمرت عناية المفسرين بالجانب البلاغي بعد الزمخشري، فمن أولئك على سبيل المثال لا الحصر: أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) الذي أدرك قيمة البلاغة في تفسير القرآن الكريم، ولهذا فإنه يعدُّ البيان والبديع من دقائق الأدب اللذين يجليان أسرار الجمال، ويفصحان عما استتر في النصِّ القرآني من النكات الحسان<sup>(٥)</sup>.

واستفاد السيّد الطباطبائي والسيّد السبزواري كغيرهما من المفسرين والبلاغيين من البلاغة في تحليل النصِّ المعجز، إلاَّ أنهما لم يقفا في تحليلاتهما النصّية عند الإشارات

(١) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم (دراسة مقارنة) / ص ١٠٤.

(٢) البلاغة تطوّر وتاريخ / ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٣) تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٧/١.

(٤) المصدر السابق / ص ٢٢١، وينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) / ص ٤٠.

(٥) ينظر: تفسير البحر المحيط: ١/١٠٣، والتفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٩١٩/٢.

العابرة واللمحات الخاطفة، بل إنهما تأملاً النصوص بدقة، وسمياً الألوان البلاغية بمصطلحاتها الفنية في أحيان كثيرة، وكذلك كانا يدلان على الفوائد أو المعاني المتحققة من هذه الألوان في السياق القرآني. فضلاً عن أن ((السيد الطباطبائي اشتغل بالتفسير القرآني بعد أن أطلع وثابر ودرس وألف في الفلسفة، مما طبع تفسيره بظلال هذا اللون. أما السبزواري فاشتغل بتفسير القرآن أيضاً بعد أن أطلع وثابر، وألف في الفقه تفرّيعاً واستدلالاً، ثم ربطه بالعرفان؛ وذلك بالبحث عن الأساس التشريعي للمثل العرفانية، لأن هذه المثل تنتزل إلى النشأة الأرضية تتحوّل إلى تشريعات فقهية، فالتشريع استظهار للحقيقة المعرفية، وهذه الحقيقة استبطان للفقه.. وصولاً نحو الهدف الأخلاقي والتّهذيبي))<sup>(١)</sup>.

و تطبع المفسرين الجليلين، وهما من المعاصرين، سمات التماثل والاستقلال والتأثر والجدّة كغيرهم من المفسرين السابقين كالطوسي (ت ٤٦٠هـ) والطبرسي (ت ٥٤٨هـ)<sup>(٢)</sup>. ونخلص ممّا تقدم إلى أنّ المرجعيات المختلفة والمصادر المتنوعة التي اعتمد عليها العالمان المفسران في تفسير القرآن الكريم، قد أمدتهما بالأفق الواسع في التحليل والعمق والشمولية ولاسيما على المستوى البلاغي. وهذا ما جعل تفسيره ((الميزان)) للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، و((مواهب الرحمن)) للسيد عبد الأعلى السبزواري يحتلان موقعاً متميزاً بين تفاسير المسلمين، والإمامية خاصةً، ولذا فالموازنة بين هذين السّقرين اللامعين في سماء التفسير حقيقة واقعية تفرضها مسوغات البحث والاستقصاء العلمي.

(١) مقاربات منهجية بين الطباطبائي والسبزواري (بحث مخطوط) / ص ٥.

(٢) ينظر: منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في التفسير، الدكتور عبد الرؤف عبد الغفور / ص ٩-١٠.



# الفصل الأول

مباحث البيان وأصول الدلالة

بين الطبائبي والسبزواري



### المدخل: البيان والدلالة:

إنَّ للعلاقة الوثيقة بين مباحث البيان والدلالة في تراثنا النقدي والبلاغيّ وعياً عالياً وعناية جادة تتجلى بقيمة المعنى ووضوح القصد، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما أشار إليه الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في تحديده للبلاغة بأنها: (( وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة ))<sup>(١)</sup> لذا فالبحث في المعنى البياني يعدُّ من أهم مرتكزات الدلالة، لأنَّ المعنى كما يعرفه الإمام الشَّيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) هو (( المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة ))<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا فالارتباط والتعالق بين اللفظ والمعنى يعني إنتاج الدلالة، فيكون (( اللفظ بالنسبة إلى المعنى من جهة دلالاته عليه، ويعتبر المعنى بالنسبة إلى اللفظ من جهة ما هو مدلول اللفظ ))<sup>(٣)</sup>.

وقد ارتبط البيان عند الجاحظ بفهم المعنى، إذ قال: (( البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ... حتَّى يفضي السَّامع إلى حقيقته ...، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسَّامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع ))<sup>(٤)</sup>.

ويرى الجاحظ أنّ البيان له دلالات مختلفة على المعاني، وهذه الدلالات تنحصر عنده في خمسة أشياء هي (( اللفظ، ثمَّ الإشارة، ثمَّ العقد، ثمَّ الخطُّ، ثمَّ الحال التي تسمّى نصبة ))<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا الصدد يرى أحد الباحثين المحدثين أنّ الإمام الشَّيخ عبد القاهر الجرجاني يرجع حسن الدلالة وتأنقها إلى العلاقات والروابط والأنساق، إذ قال: (( الوصف بالفصاحة

(١) البيان والتبيين: ١ / ٨٨.

(٢) كتاب دلائل الإعجاز / ص ٢٦٣.

(٣) الروض المريع في صناعة البديع / ص ٥٧.

(٤) البيان والتبيين: ١ / ٧٦.

(٥) المصدر نفسه، وينظر البحث الدلالي عند ابن سينا (دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات) / ص ٥١.

إذن هو وصف بحسن الدلالة، وحسن الدلالة راجع إلى العلاقات، والروابط، والأنساق اللغوية المتشاربة، ولا يصح وصف المعنى بالفصاحة، لأن الفصاحة هي الدلالة، ولا يصح وصف المعنى بالدلالة، لأن المعنى مدلول ((<sup>(١)</sup>).

ولذا فإنّ الدلالة، عند الجرجاني، هي اللفظ التي تحدّد (( الطريق الذي يصل إلى خصوصية المعنى، وهيأته، لأن المراجعة النافذة للفظ الدال تصل إلى خصوصية المعنى وصورته ))(<sup>(٢)</sup>.

فالبيان إذن يبحث عن استكناه المعنى الكامن وراء الألفاظ وإيانتها، أو ما يسميه الإمام عبد القاهر الجرجاني بالمعنى أو ( معنى المعنى )(<sup>(٣)</sup>.

وقد أصبح البحث الدلالي جوهر البحث البلاغيّ والنقدي، فاستطاع أن يدخل مباحث البلاغة وعلومها، فيقسم علم البيان بمقتضاه، فمثلاً نلحظ المفسّر فخر الدّين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، وقد عقد فصولاً للكلام على دلالة اللفظ على المعنى، وقسم عندها الدلالة إلى وضعيّة وعقليّة بما يناسب سياق النصّ<sup>(٤)</sup>، إذ قال: (( فالموضوعيّة كدلالة الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها، كدلالة الحجر والجار والسماء والأرض على مسمياتها.. وأمّا العقليّة: فإمّا أن يدلّ على ما يكون داخلًا في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف.. وأمّا على ما يكون خارجاً عنه، كدلالة لفظ السقف على الحائط ))(<sup>(٥)</sup>. ولهذا قرّر السّكاكي (ت ٦٢٦هـ) أن (( صاحب علم البيان له فضل احتياج إلى التّعرض لأنواع دلالات الكلم ))(<sup>(٦)</sup>.

(١) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني / ص ٨٧

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر: كتاب دلائل الإعجاز / ص ٢٦٣، وقارن بـ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، / ص ٢٤.

(٤) ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / ص ٣٠، وفخر الدين الرّازي بلاغيّاً / ص ٣٣٠، والبلاغة والمعنى في النصّ القرآني (( تفسير أبي سّعود أنموذجاً )) / ص ١١١.

(٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / ص ٣٠

(٦) مفتاح العلوم / ص ٣٢٩.

وهكذا أصبحت دلالة الألفاظ ثلاثة أقسام هي: دلالة المطابقة (الوضعية)، ودلالة التضمن ودلالة الالتزام (العقليتان). وقد أخذ منها البلاغيون منهجاً في دراسة فنون البيان<sup>(١)</sup>.

ومهما تعددت أقسام الدلالة وتشعبت فروعها فإن مفهومها لا يتحدد إلا من خلال التركيب والإسناد لا سيما إذا اتصلت ببحث النص والكشف عن دلالته وأسراره<sup>(٢)</sup>، ويرجع الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني السبب في هذا إلى ((أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ))<sup>(٣)</sup>.

ونجد أن الجرجاني لا ينفك يؤكد الوشائج القوية، والأواصر المعنوية بين التركيب والدلالة في نظم الجملة، ولا سيما في حديثه عن مباحث البيان، إذ إنه جعل الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم، إذ قال: ((إن هذه المعاني التي هي الاستعارة، والكناية، والتمثيل، وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم وعنه يحدث وبه يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم، وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو. فلا يتصور أن يكون هاهنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره. أفلا ترى أنه إن قدر في ((اشتعل)) في قوله تعالى: ((واشتعل الرأس شيباً))<sup>(٤)</sup> أن لا يكون ((الرأس))، فاعلاً له، ويكون ((شيباً)) منصوباً عنه على التمييز، لم يتصور أن يكون مستعاراً؟))<sup>(٥)</sup>.

وعلى ما تقدم أن دلالة أية كلمة لا تكتسب قيمتها وجمالها إلا من خلال التركيب أو السياق الذي ترد فيه، وقد تمثل هذا المستوى في إعجاز القرآن الكريم؛

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع / ص ٢١٥- ٢١٦، والطران المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣ / ١٨٠.

(٢) ينظر: البلاغة والمعنى في النص القرآني / ص ١١٢

(٣) كتاب دلائل الإعجاز / ص ٤٦

(٤) سورة مريم / الآية ٤ .

(٥) كتاب دلائل الإعجاز / ص ٣٩٣

لأن قصديّة المعاني القرآنيّة تثير ألواناً متعددة من الدلالات والإيحاءات، وهي تهدف إلى إيجاد النموذج المتكامل الذي يؤثر في المتلقي ويبلّغه<sup>(١)</sup>.  
ومن هنا لم يغفل العالمان المفسران الطباطبائي والسبزواري دلالات البيان وقيمها الجماليّة والفنية، إذ عرضا إلى كثير من دلالاته؛ من خلال ألوانه المتمثلة بالاستعارة والكناية والتّمثيل وسائر ضروب المجاز، استنادا إلى موارده في النصّ القرآني.

(١) ينظر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني/ ص ٣٦٢، والبلاغة والمعنى في النصّ القرآني / ص ١١٤



## المبحث الأول:

### ((التشبيه والتّمثيل))

#### ❖ التشبيه:

يعدُّ التشبيه من أكثر الفنون البلاغيّة التي حفل بها التراث العربي الأدبي؛ نظراً لكونه من (( أقدم صور البيان ووسائل الخيال. وأقربها إلى الفهم والأذهان))<sup>(١)</sup>.

وقد عرفه الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) بقوله هو: (( الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى ))<sup>(٢)</sup>. وقال الدكتور أحمد مطلوب: هو (( ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر ))<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال قراءة تفسير (الميزان) و(مواهب الرحمن) وجدتُ أنّ المفسرين قد عُنِيَوا بالتشبيه عنايةً واسعة وكشفاً عنه؛ مفصّلين القول في هذا اللون البلاغيّ، توضيحاً لدلالاته اعتماداً على المعطيات السياقيّة للنصّ القرآني .

ففي قولة تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((إنّ حال المرائي في إنفاقه رياءً وفي ترتب الثواب عليه كحال الحجر الأملس الذي عليه شيء من التراب إذا أنزل عليه وابل المطر، وجملة ((لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا))، تبين وجه الشبه، وهو الجامع بين المشبه والمشبه به))<sup>(٥)</sup>. وذهب السيد السبزواري إلى هذا المعنى - أيضاً - فقال: ((إنّ مثل المرائي في إنفاقه المنافق في عمله، مثل ذلك الحجر الصلب الذي عليه التراب،

(١) فنون بلاغية (البيان-البدیع) / ص ٢٧

(٢) التلخيص في علوم البلاغة / ص ٢٣٨

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢ / ١٧٠.

(٤) سورة البقرة / الآية ٢٦٤.

(٥) الميزان في تفسير القرآن: ٢ / ٣٩٤.

فإذا أصابه المطر الغزير أزال عنه التراب وجعله أملك ليس عليه شيء، وجملة ((لا يقرون على شيء مما كسبوا))، بيان لوجه الشبه بين المشبه والمشبه به، أي: لا ينفعون بشيء من صدقاتهم لا في الدنيا، ولا في الآخرة ((<sup>١</sup>)).

فتحليل المفسرين قد جاء منسجماً متقارباً في وجه الشبه \_ وهو الجامع بين المشبه والمشبه به - وهذا المعنى هو ما ذهب إليه الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) في تفسيره للآية الشريفة، إذ قال: ((فمثله)) أي المرئي في الإنفاق، ((كمثل صفوان)) أي: حجر أملك ((عليه تراب)) أي: يسير منه، ((فأصابه وابل)) أي: مطر شديد الوقع، ((فتركه صلباً)) أي: أملك ليس عليه شيء من الغبار أصلاً، ((لا يقرون على شيء مما كسبوا)) أي: لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا رياءً، ولا ينفعون به قطعاً، والجملة مبيّنة لوجه الشبه ((<sup>٢</sup>)).

وهنا نلمح أن المفسرين قد اعتمدا في إيضاحهما التفسيري كلمات واضحة وجملاً مترابطة أبقّت المتلقي على مواصلة تتابع تلك الأنساق النصية للوصول إلى الدلالة السياقية المقصودة.

ومن موارد الالتقاء بين المفسرين رأيهما في التشبيه من خلال تحليلهما لبيان هذا اللون البلاغي، وردّهما على آراء بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((فإن من استقر به الخبط والاختلال كان واقفاً في موقف خارج عن العادة المستقيمة، والمعروف والمنكر عند العقلاء سيان عندهم، فإذا أمرته بترك ما يأتيه من المنكر و الرجوع إلى المعروف أجابك \_ لو أجاب \_ أن الذي تأمرني به كالذي تنهاني عنه لا مزية له عليه، ولو قال: إن الذي تنهاني عنه كالذي تأمرني به كان عاقلاً غير مختل الإدراك...))

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٣٦٨/٤.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٥/٢.

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٧٥.

والظاهر أن قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾، حكاية لحالهم الناطق بذلك وإن لم يكونوا قالوا ذلك بألسنتهم، وهذا السياق أعني حكاية الحال بالقول، معروف عند الناس<sup>(١)</sup>، إذ يوضح النصّ لنا طريقة السيّد الطّباطبائي في إحكام رأيه من خلال اعتماده نزعة عقلية فلسفية<sup>(٢)</sup>. وبعدها ينتقل السيّد الطّباطبائي إلى الرّد على من جعل التشبيه للمبالغة<sup>(٣)</sup>. إذ قال: ((وبذلك يظهر فساد ما ذكره بعضهم: أن المراد بقولهم: إنما البيع مثل الربا نظمها في سلك واحد، وإنما قلبوا التشبيه وجعلوا الربا أصلاً، وشبهوا به البيع للمبالغة))<sup>(٤)</sup>.

وقد تابع السيّد السبزواري السيّد الطّباطبائي في تفسيره هذه الآية من حيث موضوعة التشبيه، بقوله: ((إنّ أكلهم للربا واستحلالهم له، أو إنّ الدليل على كونهم خابطين خرجوا عن جادة الصواب أنّهم قالوا في قياس إنّما البيع مثل الربا، ولم يقولوا إنّما الربا مثل البيع الذي هو أقرب إلى الذهن، فقد أمكن الخبط في نفوسهم، وظهر الاختلال على أفكارهم وأقوالهم، فكان المعروف والمنكر لديهم سيّان، وقد شبهوا الربا الذي هو خلاف الفطرة المستقيمة بالبيع، الذي هو المعروف بين العقلاء، وهما نوعان متباينان، ولكن الخبط الذي استقر في نفوسهم جعلوا الأمور به كالمتهي عنه، وهو قياس مع الفارق، فإنّه يدلّ على الخبط في كلامهم، وعدم استقامة أفكارهم))<sup>(٥)</sup>. ونلاحظ أنّ السيّد السبزواري في استشفافه البلاغي للصورة قد تميّز بدقة الملاحظة وطرافتها خاصة، عندما ربط بين قول المرابين ﴿الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ بدل العكس، وبين الخبط الذي يسمهم، فما دامت السورة الأولى تسمهم بالاختلال، فحينئذٍ لا بد من اختلالهم أيضاً في صياغة الأقوال، أو مسوغات عملهم<sup>(٦)</sup>.

(١) الميزان: ٤١٩/٢.

(٢) ينظر: البحث البلاغيّ في تفسير الميزان / ص ١٠٦.

(٣) ينظر: تفسير الكشاف: ٣١٦ / ١.

(٤) الميزان: ٤١٩ / ٢.

(٥) مواهب الرحمن: ٤٣٥ / ٤ - ٤٣٦.

(٦) ينظر: منهج السيّد عبد الأعلى السبزواري في التفسير / ص ٥٠.

أما في رده على بعض المفسرين فقال: ((إنَّ المراد بقولهم: ﴿إنما البيع مثل الربا﴾، المبالغة في التشبيه، ولكنَّ فساد ما ذكره يظهر ممَّا تقدم، فإن التشبيه إنما حصل من التخبُّط الحاصل لهم من مسَّ الشيطان والاختلال الناشئ من أفكارهم، وقد ظهر بطلان هذا القياس، الذي هو خلاف المعروف في باب الأقيسة أيضاً))<sup>(١)</sup>.  
وممَّا تقدّم نجد أن المفسرين الجليلين قد اتسمت تحليلاتهما لهذا اللون البلاغي بدقّة الملاحظة وقوّة التحليل؛ وذلك من خلال توظيفهما لآلياتهما الفلسفيّة والبلاغيّة في عملية التفسير.

أما موارد التّفرد عند المفسرين في تناول بعض أنواع التشبيه، فما ذكره السيّد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup> وهو التشبيه الكلي ببعض مصاديقه الذي يفيد عمومية الحكم وشموليته لجميع الأفراد، وقد وصفه بأنه نوع شائع من التشبيه، فضلاً عن بيانه وجه الشبه<sup>(٣)</sup>.

أما السيّد السبزواري فقد عرض في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاهَا كَذَلِكَ يُجِيبِي اللَّهُ الْمُوتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> إلى تنظير الكلي المعقول على الجزئي المحسوس<sup>(٥)</sup>.  
ويتّضح ممَّا تقدم أنّ المفسرين قد بيّنا أركان التشبيه ووضحا أهمّيته من خلال تحليلهما لموارده المتنوعة، وأنواعه المختلفة؛ وهذا يدلّ على أن التشبيه أداة مهمة بعمل المفسر في الكشف عن الدلالات المكتنزة للنصّ القرآني.

(١) مواهب الرحمن: ٤/٤٣٦. ومن موارد الالتقاء الأخر بين المفسرين في التشبيه ينظر: ((سورة آل عمران الآية ٥٩، الميزان: ٣/٢٤٥، ومواهب الرحمن: ٥/٣٩٧))

(٢) سورة هود/ الآية ١٠٢.

(٣) ينظر: الميزان: ٧/ ١١. وقد أشار أحد المفسرين إلى هذا التشبيه إلا أنه عدّه من التشبيه في الكيفية والعاقبة، ينظر للموازنة: تفسير التحرير والتنوير ١٢ / ١٦٠.

(٤) سورة البقرة / الآية ٧٣.

(٥) ينظر: مواهب الرحمن: ١ / ٣٩٥. وقد يستشف من تحليل الرّمخشري للآية المباركة مضمون هذا المعنى، ينظر للموازنة: تفسير الكشاف: ١ / ١٥٤ - ١٥٥.

❖ التمثيل:

أختلف القدماء في التّمثيل والتّشبيه وانقسموا في ذلك إلى إتجاهين، إحداهما مفرّق والآخر جامع<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام الشّيخ عبد القاهر الجرجاني قد فرّق بين التّمثيل والتّشبيه، فالتمثيل عنده أن يكون الشّبه محصلاً بضرب من التّأوّل بأن يكون عقلياً<sup>(٢)</sup>. وقال في موضع آخر: (( فاعلم أنّ التّشبيه عامٌّ، والتّمثيل أخصّ منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً ))<sup>(٣)</sup>.

ونحن نجد أنّ المفسّرين قد عرضا إلى هذا اللون البلاغيّ في جهدهما التفسّيري بالدرس والتّحليل للوصول إلى الدلالة المقصودة. وقد سارا في ركب العلماء الذين فرّقوا بين التّشبيه والتّمثيل - وأنّ أشار بعضهما إلى التّساوي بينهما من حيث الجانب اللغوي - كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup>، قال السيّد السبزواري: (( التّشابه هو التّماتل، أي أنّ قلوبهم تماثلت في الضلال والكفر والجهل ))<sup>(٥)</sup>.

ومن الصور القرآنيّة المدهشة التي تصور حيرة المنافقين واضطراب أمرهم، تلك الحيرة التي يشدّد تصويرها لدى النفس إذا استحضرت حالهم<sup>(٦)</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> يكاد البرق يخطف أبصارهم كلّما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا<sup>(٧)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: (( مثل يمثل به حال المنافقين في إظهارهم الإيمان، أنهم كالذي أخذه

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر ونقده: ١ / ٢٨٠. والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ١١٥

(٢) ينظر: كتاب أسرار البلاغة: / ص ٩٠، ٩٢.

(٣) المصدر نفسه / ص ٩٥.

(٤) سورة البقرة / الآية ١١٨.

(٥) مواهب الرحمن: ٢ / ٣٣٦.

(٦) ينظر: التعبير الفني في القرآن / ص ١٩٣.

(٧) سورة البقرة / الآيتان ١٩، ٢٠.

صيّب السّماء، ومعه ظلمة تسلب عنه الأبصار والتميّز، فالصيّب يضطره إلى الفرار والتخلص، والظلمة تمنعه ذلك، والمهولات من الرعد والصاعقة محيطة به فلا يجد مناصاً من أن يستفيد بالبرق وضوئه، وهو غير دائم ولا باقٍ متّصل كلما أضاء له مشى، وإذا أظلم عليه قام ((<sup>(١)</sup>).

أما السبزواري فقد قال: (( مثل لحال المنافقين، فشبه تعالى الإسلام بالمطر، لأنّه يحيى الأرض بعد موتها، والإسلام يحيى القلوب، وجعل تعالى شبهات المنافقين وأباطيلهم كالظلمات، وشبه ما في الدّين من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيبهم من أهل الإسلام بالصواعق،... فهذا المثل يشرح حال المنافقين، ويبين سوء أعمالهم وفساد أسرارهم، فقد أنتهم الحكمة من السماء، وفتح الله عليهم أبواب علومه فاعترضوا ذلك بالشّبه والآراء الفاسدة، فحصل بعد هذا العلم ظلمات حيرة في أنفسهم باتباع الشهوات، فصاروا في حيرة من أمرهم، متردّين هالكين))<sup>(٢)</sup>.

ويرى أحد الباحثين المحدثين أن هذا المثل قد تضمن مزيداً من التنوع والغزارة في العناصر والأحداث والمخاوف والأهوال، إذ قال: (( تأمل المحيط الذي تتحرك فيه الأحداث، تجد الصيّب والظلمات والرعد والبرق وخطف الأبصار، ثم تأمل الإشارات اللغوية ذات الدلالات المتسعة على الأحوال النفسية، تأمل (( يجعلون أصابعهم )) والأصل أناملهم، وقد دلّ هذا على أن القوم انخلعت قلوبهم، وطاشت من هول المخافة، لأنهم صاروا في فم الموت، ثم تأمل كلمة (( الخطف )) وما فيها من حدة وشراسة وقسوة، وتأمل: ﴿ كلما أضاء لهم مشوا ﴾ وكيف كانوا قائمين، وهم خائفون يترصدون شعاعاً من الضوء، ليفلتوا من هول الهلاك .. وهكذا))<sup>(٣)</sup>.

(١) الميزان: ٥٨/١، وقارن ب، تفسير الكشاف: ٨٥/١، ومفتاح العلوم/ص ٣٤٧-٣٤٩.

(٢) مواهب الرحمن: ١ / ١٣٩.

(٣) دراسة في البلاغة والشعر / ص ٣٧.

فلاحظ في هذه الآية القرآنية أنّ السيّد الطّباطبائي قد مال إلى التحليل والتركيز، في حين نجد أنّ السيّد السبزواري قد اعتمد على التحليل والتعليل .

ومن موارد الالتقاء الآخر بين المفسرين ما كان في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ إِنَّهُ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: (( وقوله: ﴿الَّذِي اسْتَهْوَتْهُ...﴾ تمثيل مثل به حال الإنسان المتحير الذي لم يؤت بصيرة في أمره، وعزيمة راسخة على سعادته فترك أحسن طريق وأقومه إلى مقصده، وقد ركبته قبله أصحاب له مهتدين قد نزلوا في منازلهم أو أسرفوا على الوصول ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ﴾ أن اتتنا فلا يدري ما يفعل، وهو بين مهبط ومستوى؟))<sup>(٢)</sup>.  
أمّا السيّد السبزواري فقال: (( وفيه تمثيل حال الإنسان المتحير الذي عميت بصيرته، ولم يتفكر في عواقب الأمور، وتلاشت عزمته، فلا يرجى له السعادة، فقد ترك أحسن الطرق لكسبها وأقوم السبل للفوز بها، فبقي متحيراً بين أصحاب اهتدوا، ونالوا ما قصدوا، وهم يدعونهم إلى الهدى وبين شياطين ومردة الجن وأضلّته بعد ما كان على حالة مستقيمه ووضع قويم))<sup>(٣)</sup>.

فالمفسران في هذا التمثيل يحذوان حذو الشيخ عبد القاهر الجرجاني في أن التمثيل تشبيه منتزع من عدة أمور إلا إنه عقلي<sup>(٤)</sup>، وبذلك جاء توجيه المفسرين للتمثيل متطابقاً ومنسجماً مع سياق الآية العام.

(١) سورة الأنعام / الآية ٧١.

(٢) الميزان: ٧ / ١٤٩ .

(٣) مواهب الرحمن: ١٣ / ٥٠٥-٥٠٦، وللإطلاع على مورد تفسيري آخر، ينظر: ((سورة الأنعام / الآية

٣١، الميزان: ٧ / ٥٨، ومواهب الرحمن: ١٣ / ١٩٥)).

(٤) ينظر: كتاب أسرار البلاغة / ص ١٠١ .

أما موارد التفرد عند المفسرين فما صرح به السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُلُونَ﴾<sup>(١)</sup>. في التمثيل الذي يفيد غرض التأكيد<sup>(٢)</sup>.

أما السيد السبزواري فقد تناول في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، التمثيل الحقيقي، وقد أسبغ على تحليله مسحة عرفانية تمثلت بربطه بالخروج من الظلمات ورفعها بالعمل الصالح<sup>(٤)</sup>.

لذا فالأمثال القرآنية تتطلب علماً يعين على إدراك ما فيها من عظات قيّمة، وحكم لطيفة، وعبر مؤثرة فـ (( خص فهمها وإدراكها - كما ينبغي أن تفهم عليه - بالعلماء دون غيرهم من الناس. فالأمثال القرآنية أحكام، وتشريعات، وإن جاءت على غير ما عهد أن تجيء عليه التشريعات والأحكام من أساليب. والقرآن لا يرى الأمثال وسيله هداية فحسب، وإنما يراها من أجدى وسائلها، وأقوى ما يمكن أن تعالج به النفوس))<sup>(٥)</sup>.

ويظهر ممّا تقدّم أن التشبيه والتمثيل يُعدّان من أفانين القول العالِي في بيان الأسلوب المعجز، فهما يبيّنان الروح والحياة في النصّ، ويعطيانه رونقاً وجمالاً لما يحتويان عليه من التكتيف والإيحاء. فالمفسران قد طرّقا هذا الباب، وسلكا هذا المسلك بما يمتلكانه من آليات تفسيرية وبلاغية لاستكناه ما في النصّ القرآني من مواطن البيان ومواقع التصوير، وهذا ما أوضحاه في صفحات تفسيريهما، وأبرزاه في ثنايا تحليلاتهما.

(١) سورة العنكبوت / الآية ٤٨.

(٢) ينظر: الميزان: ١٦ / ١٤٤. وقد قال بهذا المعنى الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) وغيره، ينظر للموازنة: تلخيص البيان في مجازات القرآن / ص ١٩٢، وتفسير التحرير والتنوير: ٢١ / ١١.

(٣) سورة الأنعام / الآية ١٢٢.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ١٤ / ٣٥٢. وقد وضّح الزمخشري هذا التمثيل في تحليله للآية الكريمة، ينظر للموازنة: تفسير الكشاف: ٢ / ٦٠.

(٥) الأمثال في القرآن / ص ٢٦٤.



## المبحث الثاني: (الحقيقة والمجاز)

### ❖ الحقيقة والمجاز:

للحقيقة والمجاز مكانة رائقة، ومنزلة عالية في البلاغة العربية. فقد تناولهما كثير من العلماء بالدرس والتحليل ولا سيّما المعنيون منهم بقضية إعجاز القرآن، وعندها دار الجدل في تطبيقهما بين أصحاب الفرق الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة . وعلى أي حال فهما يعدّان من أهم مباحث علم البيان<sup>(١)</sup>.

ويعدُّ ابن جني (ت ٣٩٢ هـ ) من أوائل العلماء من حدّد دلالة الحقيقة بقوله:  
 (( الحقيقة: ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ))<sup>(٢)</sup>.  
 وعرفها الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: (( كلُّ كلمة أُريد بها ما وقعت له في وضع واضح، وإن شئت قلت في مواضع، وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره ))<sup>(٣)</sup>.  
 فالحقيقة لم تغب عن توجهات المفسرين البلاغية، فقد تناولها كلُّ منهم بأسلوبه الدالّ في سياقات ورودها عند تفسيره الآيات القرآنية.

ففي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(٤)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((إن هذا الإخراج وما يشاكله من المعاني أمور حقيقية غير مجازية خلافاً لما توهمه كثيرٌ من المفسرين، وسائر الباحثين أنها معانٍ مجازية يراد بها الأعمال الظاهرية من الحركات والسكنات البدنية، وما يترتب عليها من الغايات الحسنة والسيئة))<sup>(٥)</sup>، وقال في موضع آخر: ((والحق في ذلك أنّ هذه الأمور التي أخبر الله سبحانه بإيجادها وفعلها عند

(١) ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري/ ص ٣٧١.

(٢) الخصائص: ٢ / ٤٤٢ .

(٣) كتاب أسرار البلاغة / ص ٣٥٠ .

(٤) سورة البقرة / الآية ٢٥٧ .

(٥) الميزان: ٢ / ٣٤٩ .

الطاعة والمعصية إنما هي أمور حقيقية واقعية من غير تجوُّز، غير أنها لا تفارق أعمالنا وعقائدنا، بل هي لوازمها التي في باطنها ((<sup>(١)</sup>).

ومن الملاحظ أن السيّد الطَّبَّاطبائي قد أشار إلى الحقيقة صراحة من دون لبس، وأن قضية الحقائق في نظريته القرآنية هي تعدّد مصاديق وليست مجازات (<sup>(٢)</sup>).

أمّا السيّد السبزواري فقد ذهب إلى التحليل الوجودي للحقائق في الآية المباركة (<sup>(٣)</sup>)، إذ قال: ((والكلام محمول على حقيقته دون المجاز، ولكن لنفس الحقيقة مراتب كثيرة؛ شدة وضعفاً، وجوهراً وعرضاً، وكمالاً ونقصاً، فلا وجه لحمله على المجاز كما عن بعض المفسرين، كما لا وجه لحمله على الحقيقة التي هي محجوبة البصائر والأبصار، وهي عالم الغيب، لأنّ اللفظ ظاهر في الحقيقة غير المحدودة بعالم دون عالم آخر)) (<sup>(٤)</sup>).

وهنا يبيّن السيّد السبزواري مراتب التحليل الوجودي للحقيقة، ولكنه في الوقت نفسه يرفض حمل اللفظ على الحقيقة المطلقة أو غير المحددة.

أمّا مواطن التشابه بين المفسرين فما عرض إليه المفسران في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾ (<sup>(٥)</sup>)، قال السيّد الطَّبَّاطبائي: ((إنّ ما وقع في القرآن الكريم من هذه الأوصاف ونظائرها التي وصف بها المؤمنون والكفار يكشف عن حياة أخرى للإنسان في باطن هذه الحياة الدنيوية مستورة عن الحسّ المادي ستظهر له إذا انكشفت الحقائق بالموت أو البعث، وعليه فالكلام في أمثال هذه الآيات جارٍ في مجرى الحقيقة دون المجاز)) (<sup>(٦)</sup>). أمّا السيّد السبزواري فقال: ((قوله تعالى: ﴿لا يستحي﴾، أي لا يترك ولا يدع، وكذا الكلام في جميع الصفات التي يلزم من إطلاقها عليه تبارك وتعالى

(١) الميزان: ٣٥٠ / ٢ .

(٢) ينظر: مقدّمة تفسير الميزان / ص (ي، ك)، والبحث الدلالي في تفسير الميزان / ص ٣٠٩.

(٣) ينظر: البحث الدلالي عند ابن سينا / ص ١٥١ - ١٥٢ (في التحليل الدلالي لمراتب الوجود).

(٤) مواهب الرحمن: ٣٠١ / ٤ .

(٥) سورة البقرة / الآية ٢٦ .

(٦) الميزان: ١٧ / ٦٦، وينظر: المصدر نفسه: ٩٤ - ٩٥ .

النقص. فيكون استعماله في المعنى الحقيقي، لكن بداعي الترك ولا محذور من جعل الاختلاف في الدّاعي، لا في ذات المعنى المستعمل فيه اللفظ ((<sup>(١)</sup>)).

وبذلك انسجم المفسران في توجيه الأوصاف في مثل هذه الآيات على المعنى الحقيقي من دون المعنى المجازي. ومن المهمّ هنا أن نشير إلى أن السيّد السبزواري قد جعل الاستعمال في المعنى الحقيقي كان بداعي الترك.

أمّا موارد التّفرد عند المفسرين فما ذكره السيّد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>، في دلالة مصدر ( الطّاغوت ) المستعمل في أوّل الأمر على الاستعارة ثم ابتدل فلحق بالحقيقة<sup>(٣)</sup>.

أمّا السيّد السبزواري فقد أشار إلى نكات لطيفة في هذا الباب حين أبان عن استعمال لفظة ( النفس ) عندما تطلق على ذات الشيء، وحقيقته فإنها تدلّ على الحقيقة. أمّا إذا أطلقت على الروح أو القلب أو الدّم أو الإرادة أو الغيب وما شاكل ذلك، فإنها تدلّ على المجاز<sup>(٤)</sup>. وعلى ما تقدّم نلاحظ أنّ المفسرين قد تأملا كثيرا لبيان الحقيقة تحليلاً وتعليلاً وتداولاً، محاولة منهما للوصول إلى المعنى المقصود.

أمّا المجاز فهو من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة والإيحاء، لإيضاح المعنى وبيانه، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع. لهذا

(١) مواهب الرحمن: ١ / ١٨٠ . يمكن مقارنة هذه الآية للإبانة والتّفصيل بما جاء به الزّمخشري لقوله: (( سيقّت هذه الآية لبيان أنّ ما استنكره الجهلة والسّفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغريه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب، من قبل أنّ التّمثيل إنّما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد ... وكذلك معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾، أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن

يتمثل بها لحقارتها))، تفسير الكشّاف: ١ / ١١٦، ١١٧ .

(٢) سورة النساء / الآية ٦٠ .

(٣) ينظر: الميزان: ٤ / ٤١٣ . وقد ذهب الرّاغب الأصفهاني (ت ٥٠٣ هـ) في معجمه إلى فحوى هذا المعنى أيضاً، ينظر للموازنة: معجم مفردات ألفاظ القرآن / ص ٣٤١ - ٣٤٢

(٤) ينظر: ((سورة المائدة / الآية ١١٦، مواهب الرحمن: ١٢ / ٤٥٠)). وهذه المعاني التي ذكرها السيّد السبزواري هي ما أشار إليها القدماء، ينظر للموازنة: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي / ص ١٢٠ - ١٢١، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى / ٢٩٣-٢٩٤ .

شغفت العرب باستعماله، لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة المعاني. ولما فيه من الدقة في التعبير، حتى تتحصّل به النفس سروراً وأريحية، ولأمرٍ ما كثر في كلامهم حتى أتوا فيه بكل معنى دال رائق، وزينوا به أفانين خطبهم وأشعارهم<sup>(١)</sup>.

فالمجاز في اللغة مأخوذ من: (( جُزّت الموضع سِرتُ فيه وأجزته: خَلَفْتُهُ وقطعته وأجزتُهُ نَفَدْتُهُ ))<sup>(٢)</sup>، و(( المجازُ والمجازةُ الموضع. والمجازُ الطريق إذا قَطَعْتَ من أحد جانبيه إلى الآخر ))<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر ابن جني للمجاز أغراضاً ثلاثة، إذ قال: (( وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عُدِمَ هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة ))<sup>(٤)</sup>.

ويُعدّ الاتساع في استعمال الألفاظ لمدلولات آخر أهمّ دواعي المجاز، وعلى ذلك (( فإنّ للفظة المجازية وجهين متلازمين يمثّل معناها اللغوي الوجه الأوّل، ويجسد مدلولها المجازي الوجه الثاني ))<sup>(٥)</sup>.

ويُعدّ الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني هو أعمق وأدق من بحث هذا الموضوع، فهو بحق مؤسس نظرية المجاز في البلاغة العربيّة<sup>(٦)</sup>. وقد عرفه بقوله هو: (( كلُّ كلمة أُريد بها غيرُ ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأوّل، فهي مجاز، وإن شئت قلت: كلُّ كلمة جُزّت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ما تجوّز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له فيوضع واضعها، فهي (مجاز) ))<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: جواهر البلاغة / ص ١٧٩ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة ( جوز ): ١ / ٤٩٤ .

(٣) لسان العرب، مادة ( جوز ): ٥ / ٣٢٦ .

(٤) الخصائص: ٢ / ٤٤٢ .

(٥) البلاغة والمعنى في النص القرآني / ص ١١٥ .

(٦) ينظر: فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث / ص ٤، ٧ .

(٧) كتاب أسرار البلاغة / ص ٣٥١-٣٥٢ .

فالمجاز-إذن- (( يأخذ طبيعة ابتكارية تقوم على تخطي المواضع اللغوية وانتهاكها))<sup>(١)</sup>، ولذا نجد أن المجاز يمثل دعامة أساسية عند المفسرين وهذا ما سيكشف عنه جهدهما البلاغيّ في تفسيريهما لهذا اللون البياني المميز.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدِ اللَّهُ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: (( ذكروا لليد معاني مختلفة في اللغة غير الجارحة كالقدرة والقوة والنعمة والملك وغير ذلك، لكن الحقّ أنّ اللفظة موضوعة على الأصل للجارحة، وإنّما استعملت في غيرها من المعاني على نحو الإستعارة، لكونها من الشؤون المنتسبة إلى الجارحة نوعاً من الانتساب، كانتساب الإنفاق والجود إلى اليد من حيث بسطها، وانتساب الملك إليها من التصرف والوضع والرفع وغير ذلك ))<sup>(٣)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: ((و (اليد) هي الجارحة المعروفة، وتطلق على معانٍ مجازية، كالنعمة والقدرة والملك والتصرف، وغير ذلك ممّا هو كثير، واستعمالها في غير المعنى الحقيقي من الأساليب البلاغية المعروفة، وفي القرآن الكريم ما يدلُّ على ذلك، ومنه المقام الذي أريد من اليد القدرة أو الجود، فيكون غلّ اليد: العجز أو البخل ))<sup>(٤)</sup>. ويبدو أنّ السيّد السبزواري قد تابع الزمخشري في هذا المعنى<sup>(٥)</sup>.

فالمفسران قد جاء توجيههما للفظ (اليد) في الآية الشريفة منسجماً من حيث المعنى المجازي، ولكن السيّد السبزواري قد كان أكثر دقة وإقتراباً في تحليله من المصطلح البلاغي. وهذا ما يتساق مع ما ذهب إليه الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني (( بأنّ في إطلاق (المجاز) على اللفظ المنقول عن أصله شرطاً، وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرّى

(١) البلاغة والأسلوبية / ص ٣٧٤، وينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني / ص ١٦٢.

(٢) سورة المائدة / الآية ٦٤.

(٣) الميزان: ٦ / ٣٤.

(٤) مواهب الرحمن: ١١ / ٤٦٢. وقد أشار الفراء (ت ٢٠٧ هـ) إلى أن معنى (غلّ اليد) في الآية الشريفة هي الممسكة عن الإنفاق، وهذا ما عبّر عنه السيّد السبزواري هنا بالبخل أو العجز، ينظر: معاني القرآن: ١

٣١٥ /

(٥) ينظر: تفسير الكشاف: ١ / ٦٤١.

معه من ملاحظة الأصل. ومعنى ( الملاحظة )، أن الاسم يقع لما تقول إنه مجاز فيه، بسبب بينه، وبين الذي تجعله حقيقةً فيه ((<sup>(١)</sup>).

ومن موارد التشابه الآخر بين المفسرين قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: (( لا ريب أنهم لم يكونوا يدعون البنوة الحقيقية كما يدعيه معظم النصارى للمسيح (عليه السلام) فلا اليهود كانت تدعي ذلك حقيقة ولا النصارى، وإنما كانوا يطلقونها على أنفسهم إطلاقاً تشريفياً بنوع من التجوّز، وإنما أريد بالأبناء أنهم من الله سبحانه بمنزلة الأبناء من الأب، فهم بمنزلة أبناء الملك بالنسبة إليه المنحازين عن الرعية المخصوصين بخصيصة القرب.

فالمراد بهذه البنوة الاختصاص والتّقرب، ويكون عطف قوله: ﴿ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ على قوله: ﴿ أَبْنَاءُ اللَّهِ ﴾ كعطف التفسير، وليس به حقيقة، وغرضهم من دعوى هذا الاختصاص والمحبوبة إثبات لازمة، وهو أنه لا سبيل إلى تعذيبهم، وعقوبتهم فلن يصيروا إلا إلى النعمة والكرامة، لأنّ تعذيبه تعالى إياهم يناقض ما خصّهم به من المزيّة، وحبّاهم به من الكرامة ((<sup>(٣)</sup>.

وقد ذهب السيّد السبزواري في تحليله للآية المباركة إلى هذا المعنى أيضاً<sup>(٤)</sup>.  
ومن الملاحظ أن المفسرين العالمين في تحليلهما لهذه الآية الشريفة لم يكتفيا بذكر اللون البلاغيّ فقط؛ وإنما ذهبوا إلى أبعد من ذلك من خلال إشارتهما إلى الغرض، وكان السياق في كلّ هذا رائدهما.

(١) كتاب أسرار البلاغة / ص ٣٩٦، وينظر: المصدر نفسه / ص ٤٠٣.

(٢) سورة المائدة / الآية ١٨.

(٣) الميزان: ٥ / ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ١١ / ١٠٩ - ١١٠.

أما موارد التفرد عند المفسرين فما ذكره السيّد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(١)</sup>، في المجاز والتلميح إلى القصديّة<sup>(٢)</sup>.

وقد يُلحظ ممّا تقدّم أنّ المفسرين قد تعقبا المجاز ومقولاته بلاغيّاً ليكشفوا عن نكاته في المواضع التي وردت في تفسيريهما.

(١) سورة البقرة / الآية ١٢٧ .

(٢) ينظر: الميزان: ١ / ٢٧٧ . ومعنى المجاز هو ما أشار إليه الألوسي، ينظر: روح المعاني: ١ / ٣٨١ .

## ❖ المجاز المرسل:

المجاز المرسل (( ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه، وما وضع له ملابسة غير التشبيه ))<sup>(١)</sup> من الموضوعات البلاغية التي تفاوت المفسران في تناولهما من حيث الكشف والتحليل والإبانة.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((التحرير جعل المملوك حراً، والرقبة هي العنق، شاع استعمالها في النفس المملوكة مجازاً))<sup>(٣)</sup>.

وهنا يشخص السيد الطباطبائي المجاز، ولكنه لم يذكر نوعه أو يبين علاقته.

أمّا السيد السبزواري فقال في تحليله للآية الكريمة: ((التحرير الإعتاق، وهو جعل المملوك حراً، والرقبة وإن كانت بمعنى العنق، ولكن شاع استعمالها في النسمة والنفس، كما يعبر بالأس والظهر عن المركوب، تعبيراً عن الكلّ باسم الجزء المقوم له))<sup>(٤)</sup>.

وهنا يبين السيد السبزواري علاقة المجاز من دون أن يذكر نوعه، وعلى ما يبدو أنه قد استوحى هذا المعنى من علماء البلاغة السابقين كالزمخشري، ولكنه - في الوقت ذاته - زاد عليه إيضاحاً وتفصيلاً، ليكون قريباً من المصطلح البلاغيّ.

ومن الجدير بالذكر أنّ المجاز المرسل كان حاضراً في أذهان هؤلاء الأعلام، ولكن وظيفتهم التفسيرية جعلتهم يعتمدون هذا المنحى في أغلب الأحيان، ومما يدلّ على ذلك هو تصريح السيد الطباطبائي به في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾<sup>(٥)</sup>، إذ قال:

(( المعية مجاز مرسل عن الإحاطة العلمية ))<sup>(٦)</sup>.

(١) الإيضاح / ص ٢٧٧.

(٢) سورة النساء / الآية ٩٢.

(٣) الميزان: ٤١ / ٥.

(٤) مواهب الرحمن: ١٥٤ / ٩، وينظر: تفسير الكشاف: ١ / ٥٣٨.

(٥) سورة الحديد / الآية ٤.

(٦) الميزان: ١٩ / ١٥٣.



أمّا علاقات المجاز المرسل فمنها ما نستشفه من خلال تحليل المفسّرين السيّد الطّباطبائي والسّيّد السّبزواري لعلاقة: إطلاق الجزء وإرادة الكلّ، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾<sup>(١)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: (( وقد علّق الإسلام على الوجه - وهو ما يستقبلك من الشيء، أو الوجه بالمعنى الأخص، لكون إسلام الوجه لاشتماله على معظم الحواس والمشاعر إسلاماً لجميع البدن - ليدلّ على معنى الإقبال والخضوع لأمر الرّبّ تعالى، وعطف قوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾، حفظاً لمقام التبعيّة وتشريفاً للنبي (ﷺ) ))<sup>(٢)</sup>. أمّا السيّد السّبزواري فقال: (( وإنما خصّ سبحانه وتعالى الوجه من بين سائر الأعضاء بالذكر، لأنّ التسليم بالوجه يقتضي الإقبال على الله تعالى والخضوع لديه والإخلاص له، وأنّ إسلام الوجه يستلزم إسلام سائر الأعضاء. ويمكن أن يراد بالوجه الذات والحقيقة من حيث صدور الأفعال الاختيارية، فيشمل القلب وجميع الجوارح. كما أنّه تعالى شرك من اتبعه بالإيمان تشريفاً للنبي (ﷺ) وإعظماً لإيمانهم وتتويهاً لمقام التبعيّة))<sup>(٣)</sup>.

وبذلك تطابق المفسّران في الإشارة إلى مصداق علاقة (إطلاق الجزء وإرادة الكل) من خلال التحليل دون التّصريح بها. وهذا يؤكّد ما ذهبنا إليه أنّ المجاز المرسل كان حاضراً في ذهنيهما لكننا نجد تصرّيحاً به مرّة، ولمحة إليه ثانية في ثنايا تحليهما، وجاء كلّ ذلك لقصدية النصّ القرآني أولاً، ومراعاة لمهامهما التفسيرية ثانياً.

ومن العلاقات الأخرى في هذا الباب: إطلاق المسبب وإرادة السبب كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(٤)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((المراد بالأكل الأخذ أو مطلق التّصرف مجازاً، والمصحّ لهذا الإطلاق المجازي كون الأكل أقرب الأفعال الطبيعية التي يحتاج الإنسان إلى فعلها وأقدمها، فالإنسان أوّل ما ينشأ وجوده يدرك حاجته إلى التّغذي

(١) سورة آل عمران / الآية ٢٠.

(٢) الميزان: ٣ / ١٤١.

(٣) مواهب الرحمن: ٥ / ١٧١ - ١٧٢، وينظر: تفسير الكشّاف: ١ / ٣٤١.

(٤) سورة البقرة / الآية ١٨٨.

ثم ينتقل منه إلى غيره من الحوائج الطبيعية، كاللباس والمسكن والنكاح ونحو ذلك))<sup>(١)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: (( الأكل: معروف: والمراد به مطلق التصرف، لكونه أقرب التصرفات إلى الإنسان من بدء نشأته، وأهمّ الغايات المتوخّاة من سائر التصرفات؛ ولأجل ذلك أطلق الأكل وأريد به مطلق التصرف))<sup>(٢)</sup>.

وهنا توافق المفسران في تحليل علاقة المجاز بما يناسب السياق القرآني.

أمّا موارد التفرد عند المفسرين فما وضّحه السيّد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضْرِبُ الرِّيَّاحُ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>: في بيان علاقة: تسمية السبب باسم المسبب والتي تتمثل بالرزق الذي ينزله الله سبحانه وتعالى من السماء، وهو المطر<sup>(٤)</sup>.

أمّا السيّد السبزواري فقد ذكر علاقة: تسميه البعض باسم الكل في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ..﴾<sup>(٥)</sup>، والذي قصده في المقام غسل اليد إلى الأصابع؛ لأنّ معظم مقاصد اليد يحصل بها<sup>(٦)</sup>.

فالمجاز المرسل - إذن - أبلغ من استعمال الحقيقة في أغلب الأحيان، ولا سيّما إذا كان حال متلقّي البيان ممّن يلائمهم الأداء المجازي ويشدّ تنبيههم، لتدبّر المضمون وفهمه<sup>(٧)</sup>.

(١) الميزان: ٥٢/ ٢ .

(٢) مواهب الرحمن: ٣ / ١٠٤ . ويرى السيّد الشّريف الرضي أن الآية المباركة قد جاءت على الاستعارة، ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن / ص ١٢٠ . وما يميل إليه البحث هو ما ذهب إليه المفسران؛ لأنه الأقرب إلى الدرس البلاغيّ خاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنّ المصطلح البلاغيّ في عصره لم يصل إلى مرحلة الإنضاج .

(٣) سورة الجاثية / الآية ٥.

(٤) ينظر: الميزان: ١٨ / ١٥٩ . وهذا المعنى ما أثبتته أحد المفسرين، ينظر للموازنة: تفسير التّحرير والتّنوير: ٣٢٧ / ٢٥ .

(٥) سورة المائدة / الآية ٦.

(٦) ينظر: مواهب الرحمن: ١١/ ١١ . ويُسمّى السيّد محمّد الجرجاني (ت ٧٢٩ هـ) هذه العلاقة بـ (تسميه الكل باسم الجزء) . فضلاً عن استشهاده بهذه الآية الشريفة، ينظر للموازنة: الإشارات والتنبهات في علم البلاغة / ص ١٨٣ .

(٧) ينظر: البلاغة العربية أسئها وعلومها وفنونها: ٢ / ٢٢٨ .

ويبدو ممّا تقدم أنّ المفسّرين قد استلهما بلاغة المجاز المرسل وتمثّلها تناولاً وتحليلاً لما تتضمنه من إدلاءات جمالية، ومقاصد فنيّة ثرة.

### ❖ المجاز العقلي:

يعدّ المجاز العقلي القسم الآخر من أنواع المجاز، فقد عرّفه الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: (( إنّ كلّ جملة أخرجت الحكم المُفادَ بها عن موضعه من العقل، لضرب من التأوّل فهي مجاز ))<sup>(١)</sup>. كما أنّه قد أطلق عليه أكثر من مسمّى، فسماه مجازاً عقلياً، ومجازاً حكماً، ومجازاً في الإثبات، وإسناداً مجازياً<sup>(٢)</sup>.

أمّا السكاكي فقال: (( هو إسناد الفعل، أو معناه، إلى ملابس له، غير ما هو له بتأوّل ))<sup>(٣)</sup>.

ويرى أحد الباحثين أنّ (( السبب في تسميته بالمجاز العقلي أنّه يتم في الإسناد لا في اللغة، ولما كان الإسناد يدرك بالعقل لا الوضع سمّي مجازاً عقلياً ))<sup>(٤)</sup>.

ويوحي استعمال المجاز العقلي في القرآن الكريم بكثرة على أصالة وقعه البلاغيّ من دون ريب في نصّ هو أرقى النصوص العربية على الإطلاق، وهو وإن كان متعلقاً بالإسناد الجملي لا بألفاظ مجردة، ولكن لا بد له من قرينة تدلنا على إرادة الاستعمال المجازي دون الحقيقي<sup>(٥)</sup>.

ولهذا نجد المفسّرين قد استثمروا هذا اللون البلاغيّ - الذي مثّل ظاهرة أسلوبية وجمالية - في مواضع النصّ القرآني بما يمتلكه من مرجعيات متنوعة، وثقافات واسعة، وهذا ما سنبيّنه من خلال تحليليهما لعدد من الآيات الشريفة.

(١) كتاب أسرار البلاغة / ص ٣٨٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه / ص ٤٠٨، وكتاب دلائل الإعجاز / ص ٢٩٣ - ٣٠١، وفنون بلاغيّة / ص ٩٦.

(٣) مفتاح العلوم / ص ٣٩٣.

(٤) البلاغة الاصطلاحية / ص ٦٠.

(٥) ينظر: مجاز القرآن خصائصه الفنيّة وبلاغته العربيّة / ص ١٢٥.

ففي قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾<sup>(١)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: (( والمراد بتحريم الأمهات وما يتلوها من الأصناف حرمة نكاحهن على ما يفيدها، لإطلاق من مناسبة الحكم والموضوع، كما في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: أكلها، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup>. أي: سكنى الأرض، وهذا مجاز عقلي شائع ))<sup>(٤)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: (( والآية الكريمة تشمل على المجاز العقلي، فإنها نسبت الحرمة إلى الذوات كالأمهات والبنات وغيرهن، والمراد بها حرمة نكاحهن، والأعمّ من إيجاد علاقة النكاح بالعقد المقصود به ذلك الوطاء، لمناسبة الحكم والموضوع فإنها من القرائن التي يعتمد عليها في المحاورات ))<sup>(٥)</sup>. وقد أشار المفسران إلى هذا المجاز بكلّ وضوح، فضلاً عن بيانها إلى ما يتضمنه من نكتة أسلوبية قرآنية غاية في الإبداع، وهي المناسبة بين الحكم والموضوع، وذلك بالاستعانة بنظائر آيات أخرى.

ونرى أنّ السيّد الطباطبائي قد ركّز في هذا المنحى، في حين أنّ السيّد السبزواري قد أوجز لتحقيق المقصود عن كثر .

ومن موارد التشابه الأخر بين المفسرين في تناول العلاقات هي علاقة الظرفية (الزمانية) من وضع الظرف موضع المظروف كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا أَلْحِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: (( المراد بوجه النهار بقرينة مقابله بأخره هو أوله، فإن وجه الشيء ما يبدو، ويظهر به لغيره، وهو في النهار أوله،... وقوله: ﴿ وَجَهَ النَّهَارِ ﴾ منصوب على الظرفية ومتعلّق بقوله: ﴿ أُنزِلَ ﴾ لا بقوله: ﴿ آمِنُوا ﴾، (صيغة الأمر)، لأنه أقرب، وقوله: ﴿ وَكُفُّوا أَلْحِرَهُ ﴾ في معنى واكفروا بما أنزل في آخره، فيكون من وضع الظرف

(١) سورة النساء / الآية ٢٣ .

(٢) سورة المائدة / الآية ٣ .

(٣) سورة المائدة / الآية ٢٦ .

(٤) الميزان: ٤ / ٢٧٠، وينظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان / ص ١٩٨ .

(٥) مواهب الرحمن: ٨/٨ .

(٦) سورة آل عمران / الآية ٧٢ .

موضع المظروف بالمجاز العقلي ((<sup>(١)</sup>. أما السيّد السبزواري فقال: (( أن الظرف متعلق بـ ﴿أُنزِلَ﴾ أي: آمنوا بالوحي النازل على رسوله الكريم أول النهار الذي يوافق أهل الكتاب، واكفروا بالوحي النازل عليه (ﷺ) آخر النهار الذي يخالف ما هم عليه، فيكون الإيمان والكفر متعلقين بشيء خاص، وهو الوحي الموافق والمخالف. وحينئذ يكون من وضع الظرف موضع المظروف))<sup>(٢)</sup>.

فالمفسران قد بينا في تحليليهما أن المسند في هذه العلاقة لم يسند إلى ما هو على وجه الحقيقة، وإنما أسند إلى زمانه تجوزاً<sup>(٣)</sup>، ذلك أنهما اسندا الظرف ﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾ المتعلق بـ ((أنزل)) إلى أول النهار، وآخره، وهذا ليس وجه الحقيقة، وإنما الوجه هو الوحي الخاص الذي أنزل في أول النهار وآخره. وهذا يتفق في فحواه - مع تحديد الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني للمجاز في أنه (( كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل، لضرب من التأول ))<sup>(٤)</sup>.

أما مواطن التفرّد عند المفسرين فما عرّضه السيّد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾<sup>(٥)</sup>، في تناول علاقة (الفاعلية): وهي العلاقة التي يرجع الإسناد فيها إلى الفاعل لا المفعول<sup>(٦)</sup>. والذي يقصده في المقام هو أن إسناد المسؤولية إلى الموءودة من المجاز العقلي، والمراد بها القاتل الذي هو المسؤول عن قتلها<sup>(٧)</sup>.

(١) الميزان: ٣ / ٢٩٥.

(٢) مواهب الرحمن: ٦ / ٦٢. ويرى السيّد الشريف الرضي أن الآية الشريفة جاءت على الاستعارة، ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن / ص ١٢٣. ولكن ما يميل إليه البحث هو ما ذهب إليه المفسران من القول بالمجاز العقلي بعلاقة الظرفية (الزمانية)؛ وذلك لأنه يتساق مع استقرّ عليه المصطلح البلاغي على يد البلاغيين المتأخرين.

(٣) ينظر: القرينة في البلاغة العربية (دراسة بيانية) / ص ١٧٦.

(٤) كتاب أسرار البلاغة / ص ٣٨٥.

(٥) سورة التكوير / الآيتان ٨، ٩.

(٦) ينظر: فنون بلاغية / ص ١٠٦.

(٧) ينظر: الميزان: ٢ / ٢٣٦- ٢٣٧. ويرى الشريف الرضي أن الآية الكريمة جاءت على الاستعارة، ينظر للموازنة: تلخيص البيان في مجازات القرآن / ص ٢٥٩.

أما السيد السبزواري فقد تناول في تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا .. ﴾<sup>(١)</sup>، علاقة السببية وهي: ((فيما بُني للفاعل وأسند للسبب))<sup>(٢)</sup>، والذي يعتقده في المقام أنّ إرسال السماء هو إنزال المطر بقريئة كلمة ((مدراراً))<sup>(٣)</sup>. فالمفسران قد رسما في تحليلاتهما صورةً جليّةً عن المجاز العقلي من خلال التقاطاتهما لعلاقاته وإظهارهما لقيمة الأسلوبية والجمالية.

(١) سورة الأنعام / الآية ٦.

(٢) فنون بلاغية / ص ١٠٧.

(٣) ينظر: مواهب الرحمن: ١٣ / ٥٤. وهذا المعنى هو ما ذكره أحد المفسرين القدماء أيضاً، ينظر للموازنة:

مفاتيح الغيب: ١٢ / ١٦٨.

## المبحث الثالث: (الاستعارة)

### ❖ الاستعارة:

تعدُّ الاستعارة لوناً خصباً من ألوان البلاغة العربية، وفرعاً سامقاً في سماء شجرتها الفنية، احتفى بها العلماء القدماء وجعلوها قسماً من أقسام البيان. والاستعارة في اللغة مأخوذة من: العاريّة، والعارة ما تداوله بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه، وعاورَه إيّاه، والمعاورة، والتّعاور شبه المداولة والتّداول في الشيء يكون بين اثنين، وتعوّرَ واستعاره طلب العاريّة، واستعاره الشيء واستعاره منه طلب منه أن يعيره إيّاه<sup>(١)</sup>.

وعرّفها الإمام الشّيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: (( إعلم أنّ (( الاستعارة )) في الجملة أن يكون للفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اختُصَّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعاريّة))<sup>(٢)</sup>.

وفي تعريف آخر له في دلائل الإعجاز نراه يعتمد في بيانها على أركان التشبيه<sup>(٣)</sup>، فيقول: (( فالاستعارة: أن تُريدَ تشبيه الشيء بالشيء، فتدعّ أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به، فتعيره المشبه وتجرّيه عليه))<sup>(٤)</sup>.

ومثّلت الاستعارة عند العالمين المفسرين السيّد الطّباطبائي والسيّد السّبزواري فريدة أسلوبية وقيمة جمالية، عندها نلاحظ أنّهما قد تناولاها في التحليل من حيث النوع والكمّ معاً. فضلاً عن التّفاوت الذي كان بينهما في تناول عدد من أنواعها من دون الآخر. ففي قوله

(١) ينظر: لسان العرب، مادة ((عور)): ٤ / ٦١٢، وكتاب العين، مادة ((عور)): ٢ / ٢٣٩.

(٢) كتاب أسرار البلاغة / ص ٣٠.

(٣) ينظر: المباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن لسماحة آية الله العظمى السيّد عبد الأعلى السّبزواري / ص ١٨٦.

(٤) كتاب دلائل الإعجاز / ص ٦٧.

تعالى: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((الإشراب: هو السّقي، والمراد بالعجل حبّ العجل، وضع موضعه للمبالغة، كأنّهم قد أشربوا نفس العجل، وبه يتعلّق قوله في قلوبهم، ففي الكلام استعارتان أو استعارة ومجاز))<sup>(٢)</sup>.

والسيّد الطّباطبائي -هنا- يجعل الآية الكريمة تدلّ على أكثر من لون بلاغيّ، ولكنّ الأقرب إلى الدّرس البلاغيّ هو القول بالاستعارة<sup>(٣)</sup>.

أمّا السيّد السّيزواري فقد رأى أنّ الآية الشريفة جاءت على الكناية، وليست على الاستعارة، إذ قال: ((الإشراب المخالطة والامتزاج، وهو كناية على انهماكهم في حبّ العجل، حتّى كأنه خالط قلوبهم كما يخالط الصبغ الثوب،... أي: أنهم بسبب كفرهم قد انهمكوا في حبّ العجل، وذلك لأنّ كثرة ملازمة الشيء ومحبته، توجب صيرورة القلب والإرادة مظهرًا من مظاهره))<sup>(٤)</sup>. وأحسب أن ما ذهب إليه السيّد السّيزواري يتعارض مع مقررات الدّرس لبلاغيّ.

ومن موارد الاستعارة الأخر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَزُّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾<sup>(٥)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((العزم عقد القلب على الفعل وتثبيت الحكم... والعقدة من العقد بمعنى الشدّ. وفي الكلام تشبيه علقه الزوجية بالعقدة التي يعقد بها أحد الخيطين بالآخر بحيث يصيران واحداً بالاتصال... ثمّ في تعليق عقدة النكاح بالعزم الذي هو أمر قلبي إشارة إلى أنّ سنخ هذه العقدة والعلقة أمر قائم بالنية والاعتقاد، فإنّها من الاعتبارات العقلانية التي لا موطن لها إلا ظرف الاعتقاد والإدراك، ففي الآية استعارة وكناية))<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة البقرة / الآية ٩٣.

(٢) الميزان: ١ / ٢٢٠.

(٣) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن / ص ١١٧، وكتاب دلائل الإعجاز / ٣٩٧، ٤٢٧، ٥٢١.

(٤) مواهب الرحمن: ١ / ٤٦٤. وقد ألمح الزّمخشري إلى هذا المعنى من دون أن يدل على لونه البلاغيّ، ينظر: تفسير الكشاف: ١ / ٦٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.

(٦) الميزان: ٢ / ٢٤٨.



والسيدّ الطَّبَّاطبائيّ - هنا - قد أفادَ من المعنى اللغوي في التحليل عند تحديده اللّون البلاغيّ. علاوةً على استعانته بألياته البلاغيّة والعقليّة.

أمّا السيدّ السَّبْزَواري فقد رأى أنّ الآية الكريمة جاءت على الاستعارة البليغة فقط\*، إذ قال: (( العزم والعزيمة بمعنى عقد القلب على إمضاء الشيء،.. والعقدة من العقد بمعنى الشدّ، والعهد بمعنى واحد، وفي الآية استعارة بليغة حيث شبّه عقد النكاح بالعقدة التي يعقد بها أحد الحبلين بالآخر، وجعلها أمراً قلبياً، لبيان أنّ هذه الأمور من الاعتبارات العقلانيّة التي يقوم عليها نظام المجتمع ))<sup>(١)</sup>. وهنا نلاحظ أنّ تحليل السيدّ السَّبْزَواري في تحديد هذا اللون البلاغيّ قد اتّسم بالطابع الذوقي، وبما ينفق مع السيّاق القرآنيّ.

أمّا موارد الالتقاء بين المفسرين فما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيدّ الطَّبَّاطبائيّ: (( وفي قوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾، نوع من الاستعارة لطيف\*، وهو جعل الحذر آلة للدفاع نظير السلاح حيثُ نسب إليه الأخذ الذي نسب إلى الأسلحة ))<sup>(٣)</sup>. أمّا السيدّ السَّبْزَواري فقال: (( وزاد تعالى في المقام الحذر، وهو التيقظ، وجعل الحذر آلة الدفاع التي يتحصّن بها كالأسلحة، وهو من الاستعارة اللطيفة، حيث أثبت له الأخذ، وهو أمر معنوي لا يتّصف به تخيلاً، وزاده عزّ وجلّ في المقام، لشدة الحيلة والتحرّس ))<sup>(٤)</sup>.

\* وهذه التسمية ذوقية فنية، وليست تسمية اصطلاحية، وهي تدل على مكنة السيدّ السَّبْزَواري من البلاغة القرآنيّة بخاصة والعربية بعامة. فضلاً عن مراعاته الوظيفة التفسيرية التي حتمت عليه أحياناً إلى عدم التقيد بالمصطلحات البلاغيّة!، ينظر: منهج السيدّ عبد الأعلى السَّبْزَواري في التفسير / ص ٤٨.

(١) مواهب الرحمن: ٤ / ٧٤.

(٢) سورة النساء / الآية ١٠٢.

\* والاستعارة اللطيفة: (( هي استعارة الأفعال للأسماء ))، تحرير التّحبير / ص ١٠١.

(٣) الميزان: ٥ / ٦٤.

(٤) مواهب الرحمن: ٩ / ٢٢٧.

وهنا اتفق المفسران في تحديد اللون البلاغي، وهما استعارا الفعل ((حذر)) للاسم ((أسلحتهم)) ونسبا إليه الأخذ. وهذا ما نصّ عليه البلاغيون في الاستعارة اللطيفة<sup>(١)</sup>.

ومن موارد الالتقاء الآخر قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((الاجتناب أصله من الجنب، وهو الجارحة، بُني منها الفعل على الاستعارة، فإنّ الإنسان إذا أراد شيئاً استقبله...، وإذا أعرض عنه وتركه وليه بجنبه فاجتنبه، فالاجتناب هو الترك))<sup>(٣)</sup>، وقال السيّد السبزواري في تفسير هذه الآية: ((الاجتناب أبلغ من الترك؛ لأنه ملحوظ فيه النفور والاشمئزاز، وهو مأخوذ من الجنب الذي هو الجارحة. وإنما بني عنه الفعل على سبيل الاستعارة، فإنّ الإنسان إذا أعرض عن شيء تركه جانباً، والاجتناب هو الابتعاد عن الشيء وملازمة تركه))<sup>(٤)</sup>.

فالمفسران قد اتخذا من المعنى اللغوي معياراً في تحديد اللون البلاغي، ومن ثمّ الوصول إلى الدلالة القريبة؛ لذا جاء تحليلهما منسجماً ومتساقفاً في هذا القصد.

### ❖ الاستعارة المكنية والاستعارة التخيلية:

يعدّ تعريف الخطيب القزويني - في هذا الصدد - من أشهر التعاريف وأجراها على السنة الدارسين<sup>(٥)</sup>، إذ قال: ((قد يُضمر التشبيه في النفس، فلا يُصرّح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدلّ عليه بأن يُثبتَ للمشبه أمرٌ مختصّ بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر، فيسمّى التشبيه استعارةً بالكناية، أو مكنياً عنها، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: تحرير التّحبير / ص ١٠١، ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها: ١ / ١٦٩.

(٢) سورة النساء / الآية ٣١.

(٣) الميزان: ٣٣٠/٤.

(٤) مواهب الرحمن: ٨ / ١٣١. وللاطلاع على موارد الالتقاء الأخر بين المفسرين، ينظر: ((سورة النساء / الآية ١١٢، الميزان: ٧٨ ٥ - ٧٩، ومواهب الرحمن: ٩ / ٢٦٥ - ٢٦٦)) و ((سورة الأنعام / الآية ١٢٢، الميزان: ٧ / ٣٤٨، ومواهب الرحمن: ١٤ / ٣٥٠)) و ((سورة البقرة / الآية ١٨٧، الميزان: ٢ / ٤٥ - ٤٦، ومواهب الرحمن: ٣ / ٩١)).

(٥) ينظر: التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان) / ص ٢٥٧.

(٦) الإيضاح / ص ٣١٧.

ويقول الدكتور محمد محمد أبو موسى إن: (( الخطيب يذكر في هذا النصّ استعارتين: استعارة هي تشبيه مضمّر في النفس، واستعارة أخرى هي إثبات لازم المشبه به إلى المشبه ))<sup>(١)</sup>.

ومن موارد هذه الاستعارة ما أشار إليه السيّد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾<sup>(٢)</sup>، إذ قال: (( والماء في قوله: ﴿مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ مقدار ما يسعه الإناء من شيء، فاعتبر الأرض إناء يملأه الذهب، فالجملة من قبيل الاستعارة التخيلية، والاستعارة بالكناية ))<sup>(٣)</sup>.

فالسيّد الطّباطبائي - هنا - قد اعتمد التّركيز في التّحليل. فضلاً عن إشارته إلى المصطلح البلاغيّ بدقّة.

أمّا السيّد السبزواري فقال في تفسيره الآية الشريفة: (( وقد شبّه عزّ وجلّ الأرض بالإناء الذي يملأه الذهب، فتضمّن الكلام استعارة بليغة، وإنّما ذكر عزّ وجلّ ملء الأرض ذهباً، لأنّه غاية ما يعظم عند الإنسان، فيبذله للخلاص ))<sup>(٤)</sup>.

فالسيّد السبزواري - هنا - قد تابع السيّد الطّباطبائي في تحليله، ولكنه لم يذكر المصطلح البلاغيّ باسمه؛ وذلك لاعتماده على الذوق في التسمية.

وقد تناول السيّد الطّباطبائي في مورد آخر الاستعارة بالكناية أيضاً، جاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا...﴾<sup>(٥)</sup>، إذ قال: (( البروز هو الظهور، ومنه البراز، وهو الظهور للحرب، والإفراغ صبّ نحو المادة السيّالة في القالب،

(١) التصوير البياني/ص ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران / الآية ٩١.

(٣) الميزان: ٣ / ٣٩١.

(٤) مواهب الرحمن: ٦ / ١٣٦.

(٥) سورة البقرة / الآية ٢٥٠.

والمراد إفاضة الله سبحانه الصبر عليهم على قدر ظرفيتهم، فهو استعارة بالكناية لطيفة<sup>(١)</sup>.  
وأحسب أن توجيه السيّد الطباطبائي لهذه الآية المباركة هو القريب إلى الدرس البلاغي.  
أمّا السيّد السبزواري فقال في تحليله للآية المباركة نفسها: ((وإفراغ: الصب السّيال بحيث يخلو المحل منه، وأصل الفراغ الخلو، شبه الصبر بالماء الذي في وعاء، وهو كناية عن كمال الصبر ونهايته، فطلبوا إفراغه عليهم. والمراد منه: إفاضة الصبر عليهم بتمامه))<sup>(٢)</sup>.

وهنا يستشف السيّد السبزواري الكناية فقط في الآية الشريفة، وهذا التوجيه بحدّ ذاته قد لا يتضاد مع السياق القرآني، والدلالة المقصودة أو القريبة منه.  
ويظهر ممّا تقدّم أن الاستعارة عند المفسرين قد مثّلت قيمة جماليّة وأسلوبية راسخة، فوظيفتها لم تعد مختصرةً على الإقناع كما هو السائد عند القدماء، بل أصبحت للإقناع والإمتاع في الوقت ذاته. وهذا ما تجلّى في تحليلات المفسرين لأنواعها المختلفة، وعلاقتها المتشابكة فيما بينها. وهذا يدلّ على مكنتهما من استعمال آلياتهما التفسيرية والبلاغيّة.  
وعلى هذا عدت الاستعارة أهم أشكال الإيحاء وصوره، فهي أقدر من التشبيه على التصوير والتخييل، ونقل المشاعر والإيحاءات، لأنها تقوم بدمج طرفي الصورة - أعني المستعار والمستعار له - محدثة نوعاً من التفاعل الحيّ بينهما، وهذا ما يعزز خاصية الإيحاء الذي تمتاز به<sup>(٣)</sup>، لذا فهي عمق البلاغة ولبّ إبداعها.

(١) الميزان: ٢ / ٢٩٧، وقد أشار الشّريف الرّضي والفخر الرّازي إلى الاستعارة فقط، ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن / ص ١٢٠، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / ص ١٥٨.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن: ٤ / ١٥٣.

(٣) ينظر: عناصر الوظيفة الجماليّة في البلاغة العربيّة / ص ٢٢٦.

## المبحث الرابع: (الكناية)

### ❖ الكناية:

تعدُّ الكناية من أهمِّ الوسائل المهدبة في اللغة، للتعبير عن المعاني المستتعبة والأمور المستهجنة، فضلاً عن كونها من أهمِّ مصادر الإيحاء تأثيراً في المتلقّي؛ وذلك من خلال ما تستدعيه من إجابة الفكر، وإنعام النظر، للوصول إلى الدلالة المقصودة، ولذا فهي تتبوأ مكانة مرموقة في البيان العربي<sup>(١)</sup>.

والكناية في اللغة من: ((كَنَى فلانٌ، ويكنى عن كذا، وعن اسم كذا إذا تكلم بغيره، ممّا يُستدلُّ به عليه))<sup>(٢)</sup>، و((الكُنْيَةُ على ثلاثة أوجه أحدها: أن يُكنَى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني: أن يُكنَى الرجل توقيراً وتعظيماً، والثالث: أن تقوم الكُنْيَةُ مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه، كأبي لهب اسمه عبد العزّي عرف بكنيته، فسماه الله بها))<sup>(٣)</sup>. ونجد أنّ البلاغيين - قبل الإمام الشّيخ عبد القاهر الجرجاني - لم يخرجوا في تعاريفهم للكنايّة عمّا ذكره اللغويون من معنى لها<sup>(٤)</sup>. وفي هذا المنحى يرى الدكتور أحمد مطلوب إنّ: ((أقدم الذين عرضوا للكناية أبو عبيدة، وهي عنده ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة...))<sup>(٥)</sup>.

وأنّ أوّل من كشف النقاب عنها بيانياً الشّيخ الجرجاني، وذلك في تعريفه لها بقوله: ((إن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردّفه في الوجود. فيؤمّيء به إليه، ويجعله دليلاً عليه))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم / ص ١٤٦، وعناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية / ص ٢٢٦.

(٢) كتاب العين، مادة (كنى) : ٥ / ٤١١.

(٣) لسان العرب، مادة (كنى) : ١٥ / ٢٣٣.

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ١ / ٢٣٦، وكتاب الصناعتين / ص ٤٠٧، والمباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن / ص ١٩٧.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣ / ١٥٤، وينظر: مجاز القرآن / ص ٣٥.

(٦) كتاب دلائل الإعجاز / ص ٦٦.



ويرى الدكتور محمد حسين الصغير: ((أنَّ عبد القاهر كان أكثر تركيزاً، أو أصوب في تحديد المعنى الاصطلاحي))<sup>(١)</sup>.

وقد عرّف الخطيب القزويني الكناية بأنها: (( لفظ: أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ))<sup>(٢)</sup>.

وقد تناول المفسران الكناية في صفحات تفسيريهما بحثاً وتحليلاً محاولةً لإبانة النصّ القرآني. فضلاً عن الارتشاف من نبعه، وغدقه المعطاء، وكان ههما بما يمتلكانه من آليات تساعدتهما من الوصول إلى الدلالة المطلوبة.

ففي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((وأما قوله بعد أفول القمر: ﴿ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ فهو موضوع وضع الكناية فهو (عيسى) أبطل ربوبية الكوكب بما يعمّ كلّ عازب، ولما غرب القمر ظهر عندئذ رأيه في أمر ربوبيته بما كان قد قاله قبل ذلك في الكوكب: ﴿... لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>، فقوله: ﴿ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ الخ، إشارة إلى أنّ الموضوع الذي ذكره في القمر بقوله: ﴿ هذا ربي ﴾ كان ضلالاً لو دام وأصرّ عليه أولئك الضالون القائلون بربوبيته، والوجه في كونه ضلالاً ما قاله في الكوكب حيثُ عبّر بوصف لا يختص، بل يصدق في مورده، وكلّ مورد يشابهه))<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أنّ السيّد الطباطبائي أكد ما أدلى به الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) في توجيهه للآية بلاغياً إذ قال الأخير: ((واسم الإشارة هنا لقصد تمييز الكوكب من بين الكوكب ولكن إجراؤه على نظيره في قوله حين رأى القمر وحين رأى الشمس (هذا ربي هذا ربي)

(١) أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم / ص ١٤٤.

(٢) الإيضاح / ص ٣٣٠، وينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٣١٣/٢.

(٣) سورة الأنعام / الآية ٧٧.

(٤) سورة الأنعام / الآية ٧٦.

(٥) الميزان: ٧ / ١٨٤.

يعين أن القصد الأصلي منه هو الكناية بالإشارة عن كون المشار إليه أمراً مطلوباً مبحوثاً عنه، فإذا عثر عليه أُشير إليه<sup>(١)</sup>.

وهنا نستجلي من تحليل السيد الطباطبائي للآية الشريفة أنه يوجه اللون البلاغي على الكناية بالإشارة.

أما السيد السبزواري فيرى أن الكناية في آية المقام جاءت لغرض الإعلام، إذ قال: ((بيان أن الهداية توفيق ربّاني، ومن شؤون الربوبية العظمى، فتكون الهداية إلى الربّ تعالى هي الحقّ الذي لا يحادّ عنه، وتنبئهُ لقومه على أن من اتخذ القمر، وغيره ربّاً والهأ، الذي هو نظير الكوكب في الأفول، فهو ضالّ، فتكون الجملة كناية عنه للأعلام بأن ما وصف به الكوكب من الأفول لا يختصّ به، بل يصدق على كلّ ما يشابهه، فيكون الاعتقاد به ضلالاً، فمن أصرّ عليه يكون واحداً من الضالّين))<sup>(٢)</sup>.

فالسيد السبزواري هنا قد سخر أكثر من آية للوصول إلى الدلالة، ومنها آيته العرفانية التي تجلّت بوارقها في إشاراته إلى أن الهداية توفيق ربّاني، ومن شؤون الربوبية العظمى!.

أما موارد التشابه بين المفسرين فما صرح به المفسران في إحياء نبيّ الله عيسى (عليه السلام) للموتى بإذن الله عزّ وجلّ، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((إخراج الموتى كناية عن إحيائها، وفيه عناية ظاهرة بأن الإحياء الذي جرى على يديه (عليه السلام) كان إحياء لموتى مقبورين بإفاضة الحياة عليهم، وإخراجهم من قبورهم إلى حياة دنيوية، وفي اللفظ دلالة على الكثرة))<sup>(٤)</sup>. أما السيد السبزواري فقال: ((إن إخراج الموتى كناية عن إحيائهم من قبورهم. وفيه الإشارة على أنهم كانوا مقبورين، فأخرجهم منها بأن أحيائهم. والآية تدلّ على تكرّر هذه المعجزة وكثرتها))<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٣١٨ / ٧.

(٢) مواهب الرحمن: ٣٤ / ١٤ - ٣٥.

(٣) سورة المائدة / الآية ١١٠.

(٤) الميزان: ٦ / ٢٢٠، وينظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٠٢ / ٧.

(٥) مواهب الرحمن: ٣٩٠ / ١٢.

وهنا يلتقي المفسران في توجيههما للون البلاغي بما يلائم السياق القرآني.

وقد تناول المفسران في مورد آخر المعنى الكنائي كما في تفسير قوله تعالى: ﴿... وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. قال السيد الطباطبائي: ((وبسط اليد معناه واضح، غير أن المراد به معنى كنائي، ويختلف باختلاف الموارد))<sup>(٢)</sup>. أما السيد السبزواري فقال: ((بسط اليد معروف يستعمل في الشدة واللفظ، وإن كان المراد به في المقام المعنى الكنائي الذي يختلف باختلاف متعلقه))<sup>(٣)</sup>.

وهذا التوجيه للون البلاغي يدل على إتقانها لأدواتها التحليلية، وصولاً إلى استنباط الدلالة المقصودة.

أما موارد التفرد عند المفسرين فما تناوله الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبِعْهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، في الكناية الاستعارية، والذي قصد بها في المقام، الذي أتاه الله سبحانه وتعالى الآيات الأنفسية والكرامات الخاصة الباطنية بما يتنور به طريق معرفة الله له، ولكنه انسلخ منها، لخبث ذاته<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

(٢) الميزان: ٢٩٣/٧.

(٣) مواهب الرحمن: ١٤ / ١٩٧، وينظر: كتاب أسرار البلاغة / ص ٣٩٥، ٤٠٣، ٤٠٤. وللإطلاع على موارد التشابه الأخر بين المفسرين، ينظر: ((سورة البقرة/ الآية ٢٢٢، الميزان: ٢ / ٢١٢، مواهب الرحمن: ٣ / ٣٧٩)) و ((آل عمران/ الآية ١٣٣، الميزان: ٤ / ٢٠، مواهب الرحمن: ٦ / ٣٤١)) وغيرها.

(٤) سورة الأعراف/ الآية ١٧٥.

(٥) ينظر: الميزان: ٨ / ٣٣٧. وأحسب أن السيد الطباطبائي في هذا المعنى قد تابع ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) الذي يعتقد أن الكناية جزء من الإستعارة ونسبتها إلى الإستعارة نسبة خاص إلى عام، ينظر للموازنة: المثل السائر: ٣ / ٥٥. والذي يميل إليه البحث في هذا الصدد هو ما يراه يحيى العلوي (ت ٧٤٩ هـ) أن الكناية مخالفة للإستعارة؛ وذلك لتساوقه مع مقررات الدرس البلاغي، ينظر: الطراز: ١٨٨/١.



أما السيد السبزواري فقد أشار في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ  
الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، إلى أن الكناية أبلغ من التصريح في المحاورات، وهذا  
ما عرض إليه في التعبير (بالزلة) - الذي يصدر من غير عمد أو التفات-<sup>(٢)</sup>.  
وعلى ما تقدم: تعدّ الكناية مهمة لدى المفسرين باعتبارها إحدى أدواتهما في الوصول  
إلى المعنى.

### ❖ التعريض:

يعدّ التعريض فناً من فنون القول غير المباشر إذ ((يُعْتَمَدُ فِيهِ غَالِباً عَلَى قِرَائِنِ الْحَالِ  
لَا عَلَى قِرَائِنِ الْمَقَالِ))<sup>(٣)</sup>. ويرى أحد الباحثين أن الزمخشري هو أول من فرق بين الكناية  
والتعريض تفريقاً علمياً دقيقاً<sup>(٤)</sup>، بقوله: ((الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له،...  
والتعريض أن تذكر شيئاً تدلُّ به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتكَ  
لأسلم عليك، لأنظر إلى وجهك الكريم))<sup>(٥)</sup>. وكان هذا التحديد البين طريقاً واضحاً سار فيه  
كثير من البلاغيين ومن بينهم ابن الأثير والعلوي وغيرهم<sup>(٦)</sup>.

وقد سار المفسران في ركب علماء البلاغة الذين فرقوا بين الكناية والتعريض وكان  
ذلك بيناً كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي  
أَنْفُسِكُمْ﴾<sup>(٧)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((والفرق بين التعريض والكناية أن للكلام الذي فيه  
التعريض معنى مقصوداً غير ما اعترض به كقول الخاطب للمرأة: إنني حسن المعاشرة  
وأحب النساء...، بخلاف الكناية، إذ لا يقصد في الكناية غير المكنى عنه كقولك: فلان كثير

(١) سورة البقرة / الآية ٢٠٩.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن: ٣ / ٢٥٨، وهذا المعنى هو ما نصّ عليه علماء البلاغة المبرزون، ينظر  
للموازنة: كتاب دلائل الإعجاز / ص ٧١، ومفتاح العلوم / ص ٤١٣، والإشارات والتنبيهات / ص ١٩٨.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢ / ١٥٤.

(٤) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية / ص ٤٥٧.

(٥) تفسير الكشاف: ١ / ٢٧٩.

(٦) ينظر: المصدر السابق / ص ٦١٩، والمثل السائر: ٣ / ٥٦، والطرز: ١ / ١٩٤.

(٧) سورة البقرة / الآية ٢٣٥.

الرماد تريد أنه سخي))<sup>(١)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: ((والتعريض)): قسم من الكناية التي هي أبلغ من التصريح، ولكنه خلافها، فالكلام أمّا ظاهر في المعنى المقصود، أو صريح فيه، أو تعريض به، والجميع معتبر في المحاورات العرفية ويترتب الأثر عند المتعارف فقول: إنني أريد أن أنكحك، صريح في المطلوب، وقول: إنني أريد معاشرتك، ظاهر فيه، وقول: كم راغب فيك تعريض، ففي التعريض يكون المعنى المقصود غير ما عرض به كالمثال الأخير. وفي الكناية لا يقصد من اللفظ غير المكنى عنه))<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ أن المفسرين قد تابعا الزمخشري في هذا المعنى. ومن الجدير بالذكر أن السيّد السبزواري قد زاد تشخيص التعريض إشراقاً من خلال إشارته إلى أنه قسم من الكناية..

وفي قوله تعالى: ﴿أَهْوَأَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ جواب عن استهزائهم المبني على الاستبعاد، بقولهم: ﴿أَهْوَأَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾، ومحصله أن هؤلاء شاكرون لله دونهم، ولذلك قدّم لمنه وأخرهم، فكنى سبحانه عن ذلك بأن الله أعلم بالشاكرين لنعمته، أي: إنهم شاكرون))<sup>(٤)</sup>.

ويعتقد السيّد الطباطبائي هنا أنّ اللون البلاغي في الآية المباركة قد جاء على الكناية. أمّا السيّد السبزواري فقد أثبت أن اللون البلاغي في هذه الآية قد جاء على التعريض، إذ قال: (( قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ؛ وفيه التعريض بأن الفريق الآخر بمعزل عن ذلك، وهم في ضلال وكفران، وأن كفرهم لا يكون إلا عن جحود ناشٍ عن الكبر والعلو

(١) الميزان: ٢ / ٢٤٧.

(٢) مواهب الرحمن: ٤ / ٧١.

(٣) سورة الأنعام / الآية ٥٣.

(٤) الميزان: ٧ / ١٠٦.



في الأرض...))<sup>(١)</sup>. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عاشور، إذ قال: (( ففي الكلام تعريض بالمشركين ))<sup>(٢)</sup>. وهذا المعنى هو الأقرب للدرس البلاغي، وهو ما يميل إليه البحث. أمّا موارد التشابه بين المفسّرين فما ذكره المفسّران في تفسير قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: (( وفيه تعريض لهؤلاء الذين كفرهم الله في هذه الآيات من اليهود، ملعونين بدعوة أنبيائهم أنفسهم، وذلك بسبب عصيانهم لأنبيائهم، وهم كانوا مستمرين على الاعتداء ))<sup>(٤)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: (( وقد لعنا عليهما السلام من كفر من بني إسرائيل بالله وواحد من رسله. وفيه من التعريض لهم بأنهم ملعونون على لسان أنبيائهم أنفسهم، وذلك لعصيانهم وتمردهم على الحقّ وأحكام الله تعالى ))<sup>(٥)</sup>.

وقد جاء تحليل السيّد الطباطبائي والسبزواري منسجماً مع تحديد اللّون البلاغيّ - أعني التعريض - فضلاً عن إشارتهما إلى النكته التي كانت وراءه. ومن الجدير بالذكر أنّ تلك النكته عند السيّد الطباطبائي قد انحصرت بعصيانهم لأنبيائهم. في حين نجدها عند السيّد السبزواري قد اتخذت أفقاً أوسع ومجالاً أكبر، وهذا ما نلمسه في إشارته إلى أنهم متمرّدون على الحقّ وأحكام الله سبحانه وتعالى. وقد أشار المفسّران في مورد آخر إلى التعريض أيضاً كما في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٦)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: (( ويمكن أن يكون المراد به التعريض للمؤمنين، بأن هذه الأحوال من التعرض

(١) مواهب الرحمن: ١٣ / ٢٦٥.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٧/٢٥٦، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢/٣٩٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٨٧.

(٤) الميزان: ٦ / ٧٨.

(٥) مواهب الرحمن: ١٢ / ١٣١.

(٦) سورة آل عمران / الآية ١٦٢.

لسخط الله، والله يدعوكم بهذه المواعظ إلى رضوانه، وما هما سواء))<sup>(١)</sup>. وبهذا المعنى جاء توجيه السيّد السبزواري للون البلاغيّ في الآية الشريفة أيضاً<sup>(٢)</sup>.  
فالمفسّران قد تطابقا في استشفاف اللون البلاغيّ بما يتناسب ومقتضى السياق القرآني.  
وفي هذا الصدد يرى أحد الباحثين أنّ التعريض قد يكون هو الوحيد من أشكال الكناية الذي يُسهم فيه السياق بأثرٍ فاعل في إظهار المعنى وإنتاجه<sup>(٣)</sup>.  
ويبدو ممّا تقدّم أنّ التعريض عند المفسّرين لا يقلّ قيمة جمالية عن الكناية، وهو هكذا بالأصل.

### ❖ التلويح:

إنّ التلويح لون من ألوان الكناية، لذا عرفه السّكاكي بقوله: ((هو الكناية التي بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة، لتوسط لوازم، كما في كثير رماد القدر وأشباهه))<sup>(٤)</sup>.  
وفي هذا المنحى يعتقد الدكتور محمّد عبد المطلب أنّ التلويح يتحدّد من خلال النظر في التحولات الداخلية للبنية النصّية، (( إذ إنّ تعدّد التحوّلات - أو كما يقول البلاغيون كثرة الوسائط - يجعل الناتج نوعاً من التلويح))<sup>(٥)</sup>؛ لأنّ مفهوم التلويح (( أنّ تشير إلى غيرك عن بعد))<sup>(٦)</sup>.

ومن هنا نجد أنّ المفسّرين قد طرّقا هذا اللون في أكثر من موضع في تفسيريهما، فمن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾<sup>(٧)</sup>. قال السيّد الطّباطبائي: ((عطف على محذوف، حذف للتلويح على أنّه ممّا لا تحيط به الإفهام ولا تدركه

(١) الميزان: ٥٩ / ٤.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن: ١٢ / ١٣١. وللاستزادة في الاطلاع على مورد آخر للتشابه بين المفسّرين، ينظر: ((سورة الأنعام / الآية ١٤، الميزان: ٣٣ / ٧، مواهب الرحمن: ١٣ / ١٠٧)).

(٣) ينظر: الكناية في البلاغة العربيّة / ص ٣٤٥..

(٤) مفتاح العلوم / ص ٤١١.

(٥) البلاغة العربيّة قراءة أخرى / ص ١٩٥.

(٦) المصدر السابق.

(٧) سورة آل عمران / الآية ١٤٠.

العقول إلا من بعض جهاتها، والذي ينفع المؤمنين العلم به، هو ما ذكره بقوله: ((وليعلم الله...)) وبقوله: ﴿وَلِيَمَّحَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> ((٢)).

فالسيد الطباطبائي هنا قد سخر مباحث علم المعاني وعلم البيان معاً من أجل الوصول إلى الدلالة المقصودة، وهذا ما يؤكد صعوبة الفصل بين مباحث هذين العلمين. وهذا ما يميل إليه البحث؛ لأنه القريب إلى الدرس البلاغي.

أمّا السيّد السبزواري فقال في تحليله للآية الكريمة: ((والجملة معطوفة على محذوف إيماءً، بأنّ الأسباب متعدّدة والمصالح كثيرة، وأنّ الذي ينفع المؤمنين هو ما يذكره عزّ وجلّ، لعدم إمكان إحاطة العقول بجميع الجهات إلا ما بيّنه تعالى...))<sup>(٣)</sup>.

وهنا يستفيد السيّد السبزواري من الآية الشريفة الإيماء.

أمّا موارد الالتقاء بين المفسرين فما جاء في تحليلهما لقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((إن تعفوا عن سوء فقد اتصفت بصفة من صفات الله الكمالية - وهو العفو على قدرة - فإن الله ذو عفو على قدرته، فالجزاء جزاء بالنسبة إلى بعض الشروط، وأمّا إبداء الخير وإخفاؤه أي: إيتاؤه على أيّ حال فهو أيضاً من صفاته تعالى بما أنه الله تعالى، ويمكن أن يلوح إليه الكلام))<sup>(٥)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: ((وإنما خصّ عزّ وجلّ العفو بالذكر، مع أنه يُحبُّ الخير، وهو أيضاً من صفاته عزّ وجلّ؛ لأنّ المقام يستدعي التأكيد على العفو بعد الإباحة بالجهر بالسوء للمظلوم؛ لأنّ العفو من مصاديق الخير، فيستدعي أن يكون الثاني أيضاً من صفاته، ففي الكلام تلويح إليه))<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة آل عمران / الآية ١٤١.

(٢) الميزان: ٢٩/٤.

(٣) مواهب الرحمن: ٣٦٨/٦.

(٤) سورة النساء / الآية ١٤٩.

(٥) الميزان: ٥ / ١٢٦.

(٦) مواهب الرحمن: ١٠ / ١٠٣.

ولعلّ المفسّرين في هذه الآية المباركة قد تفردوا في الإشارة إلى التلويح من دون المفسرين، والله أعلم.

ومما تقدّم يتجلّى اهتمام المفسّرين بهذا اللون البلاغيّ بوصفه جزءاً أساسياً من بنية الكناية.

### ❖ الإيماء والإشارة:

إنّ الإيماء والإشارة هما من ((الكناية التي بينها وبين المكنى عنها مسافة قريبة لا مع نوع خفاء))<sup>(١)</sup>. أو كما يقول الدكتور محمّد عبد المطلب: ((فإذا قلت التحوّلات أو انعدمت، ولم يتحقّق هذا الخفاء، فإنّ الكناية تدخل دائرة (الإيماء والإشارة))<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال ملاحظتي ومراجعتي لمطانّ هذه الألوان البيانيّة وجدت أنّ المفسّرين قد عرضوا لكلا الفئتين بالدراسة والتحليل، وسأورد شواهد الإيماء عندهما أولاً، ومن ثمّ شواهد الإشارة.

ففي قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((والآيات المنسوخة مع ذلك لا تخلو من إيماء وتلويح إلى النسخ، كما في قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ المنسوخ بآية القتال))<sup>(٤)</sup>.

وهنا يصرّح السيّد الطباطبائي بالإيماء والتلويح معاً في بيان اللون البلاغيّ المستفاد من الآية المباركة.

(١) مفتاح العلوم / ص ٤١١.

(٢) البلاغة العربيّة قراءة أخرى / ص ١٩٧.

(٣) سورة البقرة / الآية ١٠٩.

(٤) الميزان: ٢٤٩/١ - ٢٥٠، وينظر: المصدر نفسه: ١ / ٢٥٤. وآية القتال هي قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ سورة التوبة / الآية ٢٩.

أما السيد السبزواري فقال في تفسير هذه الآية الشريفة: ((وفي الآية المباركة إيماء إلى أنّ المسلمين مع قتلهم حين ذاك هم أصحاب القدرة والمنعة، فإنّ العفو والصفح إنّما يطلبان من القادر. وفيها البشارة بالغلبة وتأييدهم بالعناية الإلهية))<sup>(١)</sup>.

ويكتفي السيد السبزواري - هنا - بالإشارة إلى الإيماء وحده، ولكن تحليله يوحي أيضاً بالتلويح.

أما شواهد الإشارة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((إشارة إلى كراهة اللغو من اليمين، فإنه ممّا لا ينبغي صدوره من المؤمن. وقد قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللّٰغُوِ مُعْرِضُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>))<sup>(٤)</sup>. فقد اقتصر السيد الطباطبائي في استنباطه للون البلاغي في الآية الكريمة على ذكر الإشارة.

أما السيد السبزواري فقال في تحليله للآية المباركة: ((وتعقيب هذه الآيات المباركة<sup>(٥)</sup> بهذين الاسمين للإشارة والترغيب إلى عدم اليأس من رحمة الله تعالى))<sup>(٦)</sup>. وبذلك وسّع السيد السبزواري من فضاءات النصّ أمام المتلقي. وهذا ما يعدّ مظهراً من مظاهر تنوير النصّ القرآني في التفسير.

أما موارد التشابه بين المفسّرين فما وضحه المفسّران في تفسيريهما لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾<sup>(٧)</sup>، قال

(١) مواهب الرحمن: ١ / ٥٤٣. وللاطلاع على المواطن الآخر بين المفسّرين، ينظر: ((الإيماء عند الطباطبائي تحليلاً ولكن لم يسمّه، وعند السبزواري تصريحاً: سورة آل عمران / الآية ٧٧، الميزان: ٣ / ٣٠٥، مواهب الرحمن: ٦ / ٧٨)) و ((سورة النساء / الآية ١٥٠، الميزان: ٥ / ١٢٧ - ١٢٨، مواهب الرحمن: ١٠ / ١١٨)).

(٢) سورة البقرة / الآية ٢٢٥.

(٣) سورة المؤمنون / الآية ٣.

(٤) الميزان: ٢ / ٢٣٠.

(٥) ينظر: سورة البقرة / الآيتان ٢٢٤، ٢٢٥.

(٦) مواهب الرحمن: ٣ / ٤٠٦.

(٧) سورة النساء / الآية ١٢٧.

السيد الطَّبَّاطبائي: (( وأما قوله ﴿اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ..﴾ فوصف لیتامی النساء، وفيه إشارة إلى نوع حرمانهن؛ الذي هو السبب لتشريع ما شرع الله تعالى لهن من أحكام، فألغى السنّة الجائرة الجارية عليهن، ورفع الحرج بذلك عنهن ))<sup>(١)</sup>. أمّا السيد السبزواري فقال: (( وجملته: ((اللاتي لا تأتونهن)) وصف لیتامی النساء، ولعلّ قوله: ﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ إشارة إلى تلك الأحكام وإلى ذلك الحرمان الذي كانت النساء يكابدنه، نتيجة تلك العادات السيئة التي استحکمت في نفوسهم، فلم يسهل عليهم قبول تغييرها ))<sup>(٢)</sup>. وبهذا تطابق المفسران في استنتاج اللون البلاغيّ ممّا يوحي به سياق الآية العام.

وعلى ما تقدّم نجد أنّ المفسرين قد اعتمدا على الإيماء والإشارة جزئين مهمّين من بنية الكناية؛ وهذا هو ما صرح به البلاغيون القدماء كالسكاكي مثلاً. ولعلنا لا نغالي إذا ما قلنا أنّ المفسرين قد أوليا الكناية عنايةً خاصّةً— من بين المباحث البيانيّة الأخر— تمثّلت في دراستهما المستوعبة لمباحثها ومطالبها، تأكيداً لقيمتها الجماليّة ومراميتها التعبيريّة.

(١) الميزان: ٥ / ١٠١.

(٢) مواهب الرحمن: ٩ / ٣٦٨.





# الفصل الثاني

مباحث الهماني ومقتضى التواصل

بين الطبائبي والسبزواري



## المدخل: المعاني ومقتضى التواصل:

يعدُّ المعنى ركيزة أساسية في الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة، لصلته الوثيقة بالعملية الإبداعية المتمثلة بالمبدع والمتلقي والرسالة اللغوية<sup>(١)</sup>.

وكان لعلماء البلاغة والنقد القدماء توجهٌ وعناية خاصتين بذلك، ولاسيما بالمخاطب الذي يكاد أن يؤلف ظاهرة واحدة، مقارنةً بجانب المتكلم، وقد يسوغ هذا التوجه اللافت بالحاجز الديني المتمثل بالقرآن الكريم على أنه كلام الله سبحانه وتعالى، ولذا يقول الدكتور محمد عبد المطلب: ((إنَّ المنظرين في البلاغة والنقد العربيين كان لهم اهتمام خاصٌّ بالمخاطب في العملية الإبداعية، بل إنَّ اهتمامهم بهذا المخاطب يكاد أن يغطي على أيِّ اهتمام بجانب المتكلم، وربما كان الحاجز الدينيُّ أحد العوامل الرئيسة التي دفعت البلاغيين والنقاد إلى هذا الاتجاه، باعتبار أنَّ البلاغة مراعاة مقتضى الحال\*، والحال -عندهم- هي حال المخاطب والمتكلم، لأنه ليس من المتصور عقلاً وديناً أن يتناول هؤلاء المنظرون القرآن باعتبار مصدره، ولذا اتَّجهت مباحثهم إلى ناحية المتلقي، ومحاولة ربط الأسلوب بظروفه الإجتماعية أو الثقافية أو الدينية))<sup>(٢)</sup>.

وقد مثَّلت دراسة عبد القاهر الجرجاني لنظرية النظم أهم ثمرات مباحث الإسناد والمعاني، وذلك لما أحدثته من التمازج والترابط بين النحو والبلاغة في تحليل العلاقات التركيبية بين الكلمات، وبيان المزايا المعنوية والأسرار الدلالية، واللطائف الجمالية الناتجة من ذلك التمازج أو الترابط، إذ أصبح من الصعب استغناء أحدهما عن الآخر<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: البلاغة والأسلوبية/ ص ٢٥٦.

\* الحال هو ((الأمر الداعي إلى المتكلم ليعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما.. وهذه الخصوصية هي مقتضى الحال، فإنكار المخاطب للحكم مثلاً. حال يقتضي تأكيده، والتأكيد مقتضى الحال))، الأسلوبية والبيان العربي/ ص ١٣١ (الهامش).

(٢) البلاغة والأسلوبية/ ص ٢٤٢.

(٣) ينظر: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده/ ص ٦٤، والبحث الدلالي عند ابن سينا/ ص ٥٣.

والنظم عنده: ((تريبب الكلمات إراديا(بقصد مع وضع معين) لتأدية معنى خاص، وبه تتم الإفادة من قوانين اللغة فيما يمكن أو مما تسمح به هذه القوانين من إعادة التركيب والبناء))<sup>(١)</sup>.

وقد رجح الشيخ عبد القاهر الجرجاني ربط العلاقات النحوية بالمتلقي، بل جعل هذا الربط من أساسيات عمل المبدع في توصيل المعنى إلى السامع، بحساب حضوره في عملية النظم حضوراً واضحاً<sup>(٢)</sup>. ولهذا فإنه يمثل أحد الآليات الرئيسة في عملية التواصل. أما السياق فإنه بمثابة الآلية الأخرى لعملية التواصل، إذ إنه: ((كل ما يكشف عن اللفظ الذي نريد فهمه من دوال أخرى، سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً، أو حالة كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع))<sup>(٣)</sup>.

وقد تنبه علماء البلاغة في وقت مبكر إلى السياق من خلال مقولتهم: لكل مقام مقال، وكل كلمة مع صاحبها مقام<sup>(٤)</sup>، إذ تجلت مظاهر هذه الفكرة في مباحثهم، وذلك من خلال ربطهم الصياغة بالسياق، وأصبح -عندهم- معيار الكلام في باب الحُسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لمقتضى الحال<sup>(٥)</sup>. ولهذا أصبح الاعتماد من حيث تحديد المعنى في الأغلب الأعم يتم من خلال السياق ((ولأهميته في المعنى اعتمد المفسرون على هذا العنصر لضمان التواصل بين القارئ والنص القرآني))<sup>(٦)</sup>.

(١) البحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ١٣٧، وينظر: كتاب دلائل الإعجاز/ ص ٨١، ٩٣، ٥٢٦.

(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبية/ ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) دروس في علم الأصول: ٩٠/١.

(٤) ينظر كتاب الصناعتين/ ص ٣٧، ومفتاح العلوم/ ص ١٦٨ - ١٦٩، والإيضاح/ ص ١٢.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم/ ص ١٦٩، والبلاغة والأسلوبية/ ص ٣٠٥.

(٦) أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي (دراسة في ضوء اللسانيات التداولية) (رسالة ماجستير)/

وقد عرف السّكاكي علم المعاني بقوله: ((هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليعتذر بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره))<sup>(١)</sup>.

فالملاحظ هنا أن تحديد مباحث هذا العلم عنده يقوم على الاهتمام بالمتلقّي بوصفه العنصر المهمّ في العملية الإبداعية، وهذا يعني أنه يعتمد على مطابقة المعاني لمقتضى حاله<sup>(٢)</sup>.

ويبدو ممّا تقدّم أنّ المتلقّي هو الذي يُسهم في خلق الإبداع، وذلك بسبب فاعليته من حيث التّواصل، بل إنّ علم هذه المباحث هو بالأصل يركّز على سلامة الجانب التّوصيلي في البلاغة العربية.

ومن هنا، فإنّ العالمين المفسّرين قد أدركا أهمية التّواصل في مباحث المعاني، وعندها أخذوا من هذه المباحث وسيلة رئيسة لضمان تحقق ذلك التّواصل بين المتلقّي والنصّ القرآني. وهذا ما سيتضح - إن شاء الله تعالى - من خلال تحليلاتهما للنصوص القرآنية في هذا الفصل.

(١) مفتاح العلوم/ ص ١٦١.

(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبية/ ص ٢٤٤، والأسلوبية والبيان العربي/ ص ١٣١، والبلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق/ ص ٨٤.

## المبحث الأول:

## ((الخبر))

## ❖ الخبر:

يعدُّ الخبر قسيم الإنشاء في الكلام على وفق نظرية علماء المعاني، إذ إنه يحتل مساحةً مميزةً في فن القول. وفي هذا الصدد يقول السيوطي (ت ٩١١هـ) فيهما: ((وأهل البيان قاطبةً على أنحصار الكلام فيهما، وأنه ليس له قسم ثالث))<sup>(١)</sup>. والخبر كما عرفه أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) هو: ((ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم))<sup>(٢)</sup>. ولا يخرج البلاغيون عن دائرة هذا التعريف كثيراً. فالخبر عندهم هو: ((الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب ويكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه))<sup>(٣)</sup>.

والحق أن ((أخبار القرآن الكريم لا تحتمل إلا الصدق باعتبارها كلام الله جلّ وعلا، وإن كانت تحتمل الصدق والكذب من حيث هي أخبار بصرف النظر عن قائلها..))<sup>(٤)</sup>. إن الجدلية القائمة في هذا الباب عند كثير من البلاغيين والمفسرين تتجلى في صعوبة تحديد دلالة الخبر.. هل هي في مطابقته للخارج أو في موافقته لاعتقاد المخبر صدقاً وكذباً؟<sup>(٥)</sup>.

وكانت للسيد الطباطبائي وقفة عند هذه الاختلافات في أثناء تفسيره لآيات الذكر الحكيم، مع أنه لم يرجح في الغالب<sup>(٦)</sup>، فمن ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٣١٩/١، وينظر: الإيضاح/ ص ١٦، ودلالات التراكيب (دراسة بلاغية)/ ص ١٩٠.

(٢) الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلاهما/ ص ٢٨٩، وينظر: البحث النحوي عند الأصوليين/ ص ٢٥٨.

(٣) ينظر: كتاب دلائل الإعجاز/ ص ٥٢٨، ومفتاح العلوم/ ص ١٦٤، وبلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية/ ص ١٣٠.

(٤) علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)/ ص ٣١.

(٥) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح: ١/ ٦٣ - ٦٤، والبحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ٢٢٢.

(٦) ينظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ٢٢٢.

اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾ إذ قال: ((الصدق بحسب الأصل مطابقة القول والخبر للخارج، ويوصف به الإنسان إذا طابق خبره الخارج ثمّ لما عدّ كل من الاعتقاد والعزم - الإرادة - قولاً توسّع في معنى الصدق، فعّد الإنسان صادقاً إذا طابق خبره الخارج، وصادقاً إذا عمل بما أعتقده، وصادقاً إذا أتى بما يريده ويعزم عليه على الجدّ))<sup>(٢)</sup>. هذا بالنسبة لصدق الخبر. أمّا كذبه فالسيد الطباطبائي دلّ عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، إذا قال: ((والكذب خلاف الصدق، وهو عدم مطابقة الخبر للخارج، فهو وصف الخبر كالصدق وربما أعتبرت مطابقتة لاعتقاد المخبر صدقاً منه وعدم مطابقتة له كذباً فيقال: فلان كاذب إذا لم يطابق خبره الخارج، وفلان كاذب إذا أخبر بما يخالف أعتقاده، ويسمى النوع الأوّل صدقاً وكذباً خبريين، والثاني صدقاً وكذباً مخبريين))<sup>(٤)</sup>.

وبذلك فإنّ السيد الطباطبائي قد بيّن وفصلّ أهم مسائل الخبر من حيث صدق الخبر وكذبه، أو مطابقتة للخارج وموافقته لاعتقاد المخبر.

أمّا السيد السبزواري - ومن منظور كلامي تحليلي - فقد أشار إلى صدق الخبر وكذبه من خلال حديثه عن الخبر والإنشاء في أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم، وقد جاء رأيه موافقاً للمفسرين والبلاغيين المعاصرين في أنّ أخبار الله سبحانه وتعالى في قرآنه هي من مقولة الفعل والعمل ولا تحتلّ إلاّ الصدق. من ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً...﴾<sup>(٥)</sup>، إذ قال: ((الوعد من الإنشاء لا من الإخبار، فلا يتّصف بالصدق والكذب، بل يتّصف بالوفاء به وعدمه، وهو المراد بصدق الوعد وكذبه))<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة التوبة/ الآية ١١٩.

(٢) الميزان: ٤١٧/٩، وقارن به، التبيان في تفسير القرآن، : ٣١١/٥ - ٣١٢.

(٣) سورة المنافقون/ الآية ١.

(٤) الميزان: ٢٩١/١٩، وينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد: ٦٤/١.

(٥) سورة البقرة/ الآية ٢٦٨.

(٦) مواهب الرحمن: ٢٧٩/٤.

وهنا يرى السيّد السبزواري أنّ الوعد وإن جاء في صيغة الإخبار إلّا أنّه ليس أخباراً؛ لأنّ وعد الله لا يحتمل الصدق والكذب. وأشار في مورد آخر إلى المعنى نفسه حيث يعتقد أنّ الوعد من مقولة الفعل والعمل لا من مقولة اللفظ والقول، قال: ((والمعروف بين الأدباء وتبعهم المفسرون، أنّ كل واحد من الوعد وخُلفه خبرٌ يتّصف بالصدق والكذب، وهو بالنسبة إلى خُلف الوعد باطل، لأنّه من مقولة الفعل والعمل، لا من مقولة اللفظ والقول))<sup>(١)</sup>.

وفي مواطن آخر من تفسيريهما نرى أنّ العالمين الجليلين يفرقان بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية. من ذلك ما أشار إليه السيّد الطباطبائي وهو في صدد حديثه عن القول، إذ يعتقد ((أنّ القول توجيه ما يريد المتكلم إعلامه المخاطب ما عنده، كما في الإخبار أو لغرض تحميلة عليه كما في الإنشاء))<sup>(٢)</sup>. وفي موضع آخر من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال: ((فقوله: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾، جملة خبرية تعلل القول بأمر بيّن يدركه كل ذي لب، وليست إنشائية مشتملة على جعل الولاية للمتقين، ويشهد لما ذكرناه قوله بعد: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كما لا يخفى))<sup>(٤)</sup>.

فالسّياق عند السيّد الطباطبائي يعدُّ أحد آياته المتميزة في تحليله للنصّ القرآني، ففي المقام نجده يستدل من خلال سياق الآية الانفئة الذكر على تشخيص الدلالة القريبة أو المقصودة.

أمّا السيّد السبزواري فقد تابع السيّد الطباطبائي في تفريقه بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية في مواضع مختلفة من تفسيره، فأشار في أكثر من مورد إلى أنّ الجملة الخبرية

(١) مواهب الرحمن: ٣٢٦/١.

(٢) الميزان: ٢٦٥/١، وينظر: المصدر نفسه: ٢٨/٣، والبحث البلاغيّ في تفسير الميزان (رسالة ماجستير) ص ١٧.

(٣) سورة الأنفال/ الآية ٣٤.

(٤) الميزان: ٧٣/٩.

صريحة في التشريع على خلاف الجملة الإنشائية، ويذكر على ذلك إجماع المسلمين كما أورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾<sup>(١)</sup>، إذ قال: ((وهذه الآية صريحة في تشريع حج التمتع، لأن الجملة الخبرية (أصرح) في التشريع من الإنشائيات، ... ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين))<sup>(٢)</sup>.

أما موارد التشابه بين المفسرين فما أفصح عنه المفسران في تفسير قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا كُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ آخِرِينَ﴾، إخبار بأنه سيواجهكم قوم آخرون، حيث إنهم يريدون أن يأمنوكم، ويأمنوا قومهم، غير أن الله سبحانه يخبر أنهم منافقون غير مأمونين في مواعدهم ومواعتهم))<sup>(٤)</sup>، أما السيد السبزواري فقال في المقام إنّه: ((إخبار عن قوم لم يهتدوا بهدي الإسلام، ولم يستقر الإيمان في قلوبهم، فقد أسلموا رياءً ليأمنوا بطش المؤمنين، وكفروا بالحق ليأمنوا قومهم، فهم مذذبون لا يهتمهم إلا حفظ أنفسهم، وسلامة أبدانهم، وقد أخبر عز وجل بأنهم منافقون، ليحذر المؤمنون منهم فلا يوادعونهم<sup>(٥)</sup> كما لا يوادعونهم))<sup>(٦)</sup>.

وهنا نلاحظ أن العالمين المفسرين قد تقاربا تحليلياً في توجيه دلالة الآية الكريمة.

ويظهر مما تقدم، أن المفسرين قد ميزوا بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية، لئيرزا أهمية كل منهما في السياق الذي وردت فيه.

(١) سورة البقرة/ الآية ١٩٦.

(٢) مواهب الرحمن: ١٦٩/٣.

(٣) سورة النساء/ الآية ٩١.

(٤) الميزان: ٣٢/٥.

(٥) وردت كلمة (يوادعونهم) خطأ في الطبع، والصحيح (يوادعونهم).

(٦) مواهب الرحمن: ١٣٩/٩، وللاستزادة في الاطلاع على موارد التشابه الأخر بين المفسرين، ينظر: ((الخير: سورة المائدة/ الآية ٢٣، الميزان: ٢٩٧/٥، مواهب الرحمن: ١٥٠/١١)) و((عطف الجملة الإنشائية على الجملة الخبرية التي بمعنى الإنشاء: سورة النساء/ الآية ١٠٥، الميزان: ٧٣/٥، مواهب الرحمن: ٢٥٤/٩)) وغيرها.



## ❖ توكيد الخبر:

لقد حفلت اللغة بأساليب مختلفة، للتعبير عن الأغراض والمقاصد المتنوعة، وذلك بحسب ما يتطلبه مقتضى الحال وسياق الكلام في تأدية المعنى. ويعدّ توكيد الخبر هو أحد هذه الأساليب المهمة التي تضمنها القرآن الكريم في إيصال خطابه، وإقراره في ذهن المتلقي<sup>(١)</sup>.

وقد تناول العالمان الجليلان، الطباطبائي والسبزواري في تفسيريهما أغلب مؤكدات الخبر موضحين في الغالب الغرض منها.

ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ...﴾<sup>(٢)</sup>، أشار المفسران إلى أنّ البلاء: هو الامتحان والاختبار، وأنّ لام القسم والنون المشددة للتأكيد، لأنّ الآية مسوقة كالتوطئة لما ينزل من الحكم المشددة في الآية، أو الآيات التي تليها<sup>(٣)</sup>. ويلحظ المتأمل هنا أنّ المفسرين قد جاء تحليلهما للآية الشريفة مطابقاً من حيث تحديد مؤكدي الخبر والغرض منها، وذلك من خلال اعتمادهما على معيار السياق.

وعرض المفسران في موضع آخر، للتأكيد بأكثر من مؤكد، فقد جاء ذلك - مثلاً - في أثناء حديثهما عن أهم مسألة عقائدية على الإطلاق، وهي إثبات التوحيد لله سبحانه وتعالى، ونفي فكرة التثليث عنه - سبحانه وتعالى -، وهي التي شاعت في الديانة المسيحية. إذ نلاحظ ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾<sup>(٤)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ من التأكيد في إثبات التوحيد ما ليس في غيره، حيث سبق الكلام بنحو النفي والاستثناء، ثم أدخل ﴿مِنْ﴾ على النفي لإفادة تأكيد الاستغراق، ثمّ جيء بالمستثنى، وهو قوله: ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بالتنكير المفيد

(١) ينظر: من بلاغة القرآن/ ص ١١٢، وأساليب الدعوة في القرآن الكريم، (دراسة فنية)، (رسالة ماجستير)/ ص ٨٦.

(٢) سورة المائدة/ الآية ٩٤.

(٣) ينظر: الميزان: ١٣٧/٦، ومواهب الرحمن: ٢٣١/٢ - ٢٣٢.

(٤) سورة المائدة/ الآية ٧٣.

للتنويح، ولو أورد معرفة كقولنا: ((إِلَّا إِلَهَ الْوَاحِدِ) لم يفد ما يرام من حقيقة التوحيد))<sup>(١)</sup>. أما السيد السبزواري فقال: ((أشتملتُ الآيةَ الكريمةَ على أنحاءٍ من التأكيدات، فإنَّ أسلوبَ النفي والإثبات من أعظم الأساليب، لتثبيت المطلوب وتأكيدِه ...، ثمَّ دخول ((من)) على النفي لتأكيد الاستغراق، ثمَّ إتيان المستثنى ((الله واحد)) نكرة، ليفيد التنويح، ولو كان معرفة مثل (الإله الواحد) لم يفد ذلك في إثبات حقيقة التوحيد))<sup>(٢)</sup>.

وبذلك نجد أنَّ العالمين الكبيرين قد بيَّنَّا أنَّ التوكيد وتعدده قد أفاد إفادةً كبرى في إثبات التوحيد، وإقراره في ذهن المتلقي، وذلك من خلال تضافر أكثر من مؤكد في عملية التوصيل، كأسلوب النفي والاستثناء، ومن ثمَّ دخول ((من)) على النفي، لتأكيد الاستغراق. فضلاً عن تنكير المستثنى ((الله واحد)) الذي أفاد التنويح.

وذكر المفسران في موطن آخر ثلاثة مؤكدات من مؤكدات الخبر، جاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصُّ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ...﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((وفي الإتيان بانِّ واللام، وضمير الفصل تأكيد بالغ، لتطيب نفس رسول الله ﷺ، وتشجيعه في أمر المباهلة بإيقاظ صفة يقينه، وبصيرته، ووثوقه بالوحي الذي أنزله الله سبحانه إليه))<sup>(٤)</sup>، وقد تابعه السيد السبزواري في هذا المعنى، إذ قال: ((وفي تأكيد الجملة بانِّ واللام والضمير المنفصل دلالة على أنَّ هذا هو الحق فقط، دون غيره، ممَّا تدعاه النصارى في عيسى بن مريم (عليه السلام)، الذي هو خلاف الحق، وتطيبُ لنفس رسول ﷺ، وإعلامه بأنَّه على الحق واليقين، وتشجيعه على المباهلة والمحاجة مع المبطلين))<sup>(٥)</sup>.

(١) الميزان: ٧١/٦.

(٢) مواهب الرحمن: ٧٣/١٢.

(٣) سورة آل عمران/ الآية ٦٢.

(٤) الميزان: ٢٦٢/٣.

(٥) مواهب الرحمن: ١١/٦. وللاطلاع على موارد التشابه الأخربيين المفسرين في مؤكدات الخبر، ينظر: ((تأكيد المعنى، سورة النساء/ الآية ٧، الميزان: ٢٠٦/٤، مواهب الرحمن: ٣٠٤/٧)) و((تأكيد المعنى بـ(لام القسم ونون التوكيد): سورة الأنعام/ الآية ١٢، الميزان: ٢٨/٧، مواهب الرحمن: ٩٤/١٣)) وغيرها.

وبذلك نرى أنّ التحليل النصّي عند المفسّرين لهذه الآية الكريمة قد جاء متقارباً منسجماً، سواء أكان هذا الانسجام في تحديد مؤكّدات الخبر، أم في الإشارة إلى الغرض المتمثّل بتطيب نفس رسول الله (ﷺ) وتشجيعه على المباهلة مع المبطلين.

أمّا موارد التّفرد عند المفسّرين فما تناوله السيّد الطّباطبائي في (اللام) التي جاءتُ ببداية آية قرآنية لتوكيد خبر مجيء الرّسل (ﷺ) إلى نبي الله إبراهيم (عليه السلام) بالبشرى<sup>(١)</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

أمّا السيّد السبزواري فقد عرض إلى حرف التنفيس (سوف) في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، واعتقد أنّه ورد لتأكيد الوعد للذين قالوا إنّنا نصارى في الاغراء بينهم بالعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بعد أن نسوا حظاً ممّا ذكروا به من أخذ الله عزّ وجلّ لميثاقهم<sup>(٤)</sup>.

ويتضح ممّا تقدّم أن تشابه تناول المفسّرين لمؤكّدات الخبر من حيث الموارد أكثر من اختلافهما..، وهما في ذلك قد اعتمدا في أغلب تحليلاتهما على السّياق النصّي؛ وذلك لكونه كاشفاً قصدياً عن المزايا البلاغيّة.

(١) ينظر: الميزان: ٣٠٨/١، والبحث البلاغيّ في تفسير الميزان: (رسالة ماجستير) / ص ٢٤. وهذا المعنى هو ما أشار إليه أحد المفسّرين أيضاً، ينظر للموازنة: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٠٦/٥.

(٢) سورة هود/ الآية ٦٩.

(٣) سورة المائدة/ الآية ١٤.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ٨٣/١١. وفي هذا الصدد يرى أبو السّعود العمادي (ت ٩٨٢ هـ) في تفسيره، أنّ (سوف) وردت في الآية الشريفة، لتأكيد الوعيد، ينظر للموازنة: إرشاد العقل السليم: ٢٥٠ / ٢.

## ❖ الأغراض المجازية التي يخرج إليها الخبر:

حدّد البلاغيون أغراض الخبر في غرضين رئيسين هما فائدة الخبر ولازم الفائدة<sup>(١)</sup>. وقد يخرج الخبر عن هذين الغرضين إلى معانٍ مجازيةٍ أخرج تفهيم من السياق وقرائن الأحوال<sup>(٢)</sup>.

ووقف المفسران في تفسيريهما عند العديد من هذه المعاني التي يخرج إليها الخبر، وكشفا عنها من خلال أنساقها في النصّ القرآني، سواء أكانت هذه المعاني متشابهة متقاربة فيما بينها أم مختلفة متباعدة.

وسأقتصر هنا على ذكر نماذج معيّنة ومهمّة من هذه المعاني القرآنية - التي أشار إليها المفسران - مراعاةً لمنهجية البحث، وهي الآتي:

## أ- الوعد:

وهو من الأغراض المجازية التي يخرج إليها الخبر، وقد دلّ عليه السيّد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَتْكُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>، إذ قال: ((قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾، وعد لرسول الله بالنصرة عليهم، وقد أنجز وعده، وسيتمّ هذه النعمة للأمة الإسلامية إذا شاء))<sup>(٤)</sup>.

فالسيد الطباطبائي رأى أنّ الخبر في هذه الآية الشريفة جاء للوعد فقط. فضلاً عن ذلك أنّه بيّن الغرض من الخبر، والمعنى الذي أفاده في ضوء السياق النصّي للقرآن.

أمّا السيّد السبزواري فقال في تحليله للآية الكريمة: ((وفي الآية المباركة تسليّة للمؤمنين بالنصر، ووعد لهم بالكفاية، ولن يخلف الله وعده..))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: مفتاح العلوم/ص ١٦٦، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: ٣٣/١، وعلم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني)/ص ٣٣.

(٢) ينظر: الطراز: ١٤٤/٣، وبلاغة القرآن في آثار عبد الجبار/ص ١٣١، وخصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)/ص ٧٩.

(٣) سورة البقرة/ الآية ١٣٧.

(٤) الميزان: ٣٠٨/١، وينظر: تفسير الكشاف: ١٩٤/١، والبرهان في علوم القرآن: ٤١٨/٢..

(٥) مواهب الرحمن: ٩٤/٢. ويبدو لي أنّ السيّد السبزواري قد تابع في هذا المعنى الطائفة الأخرى من المفسرين الذين ذهبوا إلى القول بهذين الغرضين ((أعني التسليّة والوعد))، ينظر للموازنة: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٩٠/١، وإرشاد العقل السليم: ٢٠٦/١، وروح المعاني: ٣٩٤/١.

فالسيد السبزواري يعتقد في المقام أنّ الخبر يخرج إلى غرضين، وهذا يعني أنّ السبزواري لا يكتفي بظاهر الآية الشريفة، بل إنه حاول الاستفادة من مديات النصّ القرآني وآفاقه، محاولاً أستشفاف ممّا يمكن أن يوحي به من معانٍ..، للوصول إلى الدلالة القريبة.

### ب- التهديد:

وهو من الأغراض المجازية التي يؤديها الخبر، وأشار إليه قدماء البلاغيين والمتكلمين والمفسرين، كالقاضي عبد الجبار الأسد آبادي (ت ٤١٥هـ)، في كتابه (تنزيه القرآن عن المطاعن)<sup>(١)</sup>. ويبدو أنّ السيد الطباطبائي قد تابعهم في تناول هذا الغرض، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ يرى السيد الطباطبائي أنّ الخبر الذي ورد في الآية الشريفة يدلّ على غرض (التهديد) بقرينة كلمة (بغيا) التي تعني الانتقام، إذ قال: ((والآية تشتمل على تهديد أهل الكتاب بما يستدل عليه بالبغي، وهو الانتقام))<sup>(٣)</sup>.

فالسيد الطباطبائي هنا قد أستند في تحليله على سياق الكلام وقرينه الحال لأستشفاف الغرض البلاغي، وقد جعل (البغي) هو (الانتقام) قصداً للوصول إلى الدلالة القريبة. أمّا السيد السبزواري فقد ذهب إلى أنّ الخبر في الآية المباركة خرج إلى غرضي (التوبيخ)<sup>(٤)</sup> و(التهديد)، إذ قال: ((وفي الآية الشريفة توبيخ شديد لأهل الكتاب، وتهديد لهم بما وقع بينهم من البغي الموجب للانتقام))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: تنزيه القرآن عن المطاعن/ ص ١٠٤، ١٦٣، وبلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار/ ص ١٣٢.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ١٩.

(٣) الميزان: ١٤٠/٣، وللاطلاع على موضع آخر من التفسير، ينظر: ١٦٧/١٠.

(٤) وهذا الغرض قد ذكره القاضي عبد الجبار، ينظر: تنزيه القرآن عن المطاعن/ ص ٣٧٤، وبلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار/ ص ١٣٣.

(٥) مواهب الرحمن: ١٧٠/٥. وقد أشار ابن عطية الغرناطي (ت ٥٤١هـ) في تفسيره إلى أنّ الخبر في الآية الكريمة خرج إلى غرض (التوبيخ)، ينظر للموازنة: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٤١٣.

فالسيد السبزواري هنا قد أستند في تحليله أيضاً على سياق الكلام وقرينة الحال، إلا أنه أعتقد أن (البغي) هو السبب في (الانتقام)، ولهذا أتسعت دائرة المعنى عنده من هذا الوجه، والله أعلم.

أما موارد الالتقاء بين المفسرين في الأغراض المجازية التي يخرج إليها الخبر، فمنها الآتي:

#### أ- التَّحَسُّرُ وَالتَّحْزَنُ:

وهما من الأغراض المجازية التي يخرج إليهما الخبر، وقد أشار إليهما المفسران من خلال عرضهما قصة مريم (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ..﴾<sup>(١)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((فلما وضعت ما في بطنها وتبينت أنه أنثى قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا﴾، وهو خبر أريد به التَّحَسُّرُ وَالتَّحْزَنُ دون الإخبار، وهو ظاهر))<sup>(٢)</sup>. أما السيد السبزواري فقال: ((وجملة ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ خبرية، يُراد بها التَّحَسُّرُ وَالتَّحْزَنُ ممَّا داهمها من خيبة الرجاء، فليس الغرض هو الإخبار فقط))<sup>(٣)</sup>.

عندها تشاطر السيدان المبدعان في الكشف عن هذين الغرضين (أعني التَّحَسُّرُ وَالتَّحْزَنُ) اللذين يؤديهما الخبر في هذه الآية المباركة، وذلك باعتبارهما جزأين مهمين من دلالة الآية في سياقها العام.

#### ب- التَّرْغِيبُ وَالتَّحْذِيرُ:

وهما من الأغراض المجازية التي يخرج إليهما الخبر. وفي هذا الصدد يرى المفسران أن الخبر في بعض الأحيان يخرج إلى أكثر من غرض بلاغي، يستطيع أن يؤديهما على

(١) سورة آل عمران/ الآية ٣٦.

(٢) الميزان: ١٩٨/٣، وينظر: تفسير الكشاف: ٣٥٠/١، والتلخيص/ ص ٤٠ (الهامش)، والمطول شرح تلخيص مفتاح العلوم/ص ١٧٩ وغيرها.

(٣) مواهب الرحمن: ٢٨٩/٥.

أكمل وجه ضمن سياق النصّ القرآني. كما أوردنا ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي في قوله تعالى: ((﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾، تذكرة لهم بأن ما عزم الله عليهم في النساء، وفي اليتامى من الأحكام فيه خيرهم، وأنّ الله عليمٌ به لتكون ترغيباً لهم في العمل به، لأنّ خيرهم فيه، وتحذيراً عن مخالفته، لأنّ الله عليم بما يعملون))<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء تحليل السيّد السبزواري لهذه الآية الكريمة متعاضداً مع توجيه السيّد الطّباطبائي<sup>(٣)</sup>.

ومما تقدّم نلاحظ أنّ المفسرين الجليلين قد اعتمدا في استشفاف الأغراض المجازية التي يخرج إليها الخبر على إحياءات السياق القرآني. علاوة على الإفادة أحياناً من القصص القرآني في تبيان المعنى البلاغيّ.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ السيّد الطّباطبائي والسيّد السبزواري قد اختلفا في توجيه بعض الأغراض المجازية للآيات القرآنية، وهذا الاختلاف بالتأكيد يدلُّ على استقلاليتهما العلميّة، وحرّيتهما الفكرية.

(١) سورة النساء/ الآية ١٢٧.

(٢) الميزان: ١٠٢/٥، وينظر: روح المعاني: ١٥٥/٣.

(٣) ينظر: مواهب الرحمن: ٣٧٠/٩.

## المبحث الثاني: (الإشياء)

### ❖ الإشياء:

لَمَّا كَانَ الْإِنشَاءُ هُوَ قَسِيمٌ لِلخَبَرِ فِي دَلَالَةِ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ يَخَالِفُهُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَقَامِ، لِأَنَّهُ هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ، وَلَا يَكُونُ لِنَسْبَتِهِ خَارِجًا<sup>(١)</sup>. فَالْفَارِقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَبَرِ يَتِمُّثَلُ فِي عَدَمِ احْتِمَالِهِ لِلصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَكَذَلِكَ عَدَمُ وُجُودِ نِسْبَةٍ خَارِجِيَّةٍ لَهُ. وَهَذَا بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ الْخَبَرُ.

وَيُرَى أَحَدَ الْبَاحِثِينَ أَنَّ عَدَمَ احْتِمَالِ الْجُمْلَةِ الْإِنشَائِيَّةِ لِلصِّدْقِ وَالْكَذِبِ ((إِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى ذَاتِ الْجُمْلَةِ الْإِنشَائِيَّةِ، وَلَيْسَ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا يَسْتَلْزِمُهُ مِنْ خَبَرٍ، ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ أَنْوَاعِ الْإِنشَاءِ تَسْتَلْزِمُ أَخْبَارًا تَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ))<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ أَشَارَ الْمَفْسِّرَانِ الْجَلِيلَانِ إِلَيْهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي تَفْسِيرِيهِمَا اخْتِلَافًا وَاتِّفَاقًا. فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>، قَالَ السَّيِّدُ الطَّبَّاطِبَائِيُّ: ((قَوْلُهُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، إِنشَاءٌ وَلَيْسَ بِإِخْبَارٍ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِجَابَةِ إِيْمَانًا بِالْقَلْبِ، وَعَمَلًا بِالْجَوَارِحِ، فَإِنَّ السَّمْعَ يَكْنَى بِهِ لُغَةً عَنِ الْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ، وَالْإِطَاعَةَ تَسْتَعْمَلُ فِي الْإِنْقِيَادِ بِالْعَمَلِ، فَمَجْمُوعُ السَّمْعِ وَالْإِطَاعَةِ يَتِمُّ بِهِ أَمْرُ الْإِيْمَانِ..))<sup>(٤)</sup>.

وَهُنَا يَسْتَنْبِطُ السَّيِّدُ الطَّبَّاطِبَائِيُّ (الْإِنشَاءَ) مِنَ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ. وَأَحْسَبُ أَنَّ هَذَا الْاسْتَنْبَاطَ هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى دَلَالَةِ الْآيَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ هُمَا مُصَدِّقَانِ مُتَضَمَّنَانِ دَلَائِلَ الْإِيْمَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) ينظر: التلخيص/ ص ٣٨، ودلالات التراكيب/ ص ١٩٠، وعلم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل

المعاني)/ ص ٢٨٢.

(٢) البلاغة الاصطلاحية / ص ١٤٦.

(٣) سورة البقرة/ الآية ٢٨٥.

(٤) الميزان: ٢/ ٤٤٨، وينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٣/ ١٣٣ - ١٣٤.



أما السيد السبزواري فقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا... ﴾: ((هو إخبار عن الطاعة والانقياد، فإن السمع يكتى به عن القبول والإذعان، والإطاعة عن الانقياد، وهذا هو حقيقة الإيمان))<sup>(١)</sup>.

فالسيد السبزواري هنا قد اثبت أنّ اللون البلاغيّ في الآية المباركة جاء على (الإخبار)، وهذا ما يحتمله سياق الآية العام أيضاً.

أما موارد الائتلاف بين المفسرين فما جاء بشأن أخذ الميثاق من بني إسرائيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم..<sup>(٢)</sup>. قال السيد الطباطبائي في قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ... ﴾: ((هو نهي في صورة الخبر))<sup>(٣)</sup>، وقال في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ إلى أنه ((خبر في معنى الإنشاء نظير ما مرّ في قوله: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾))<sup>(٤)</sup>، ولعل السيد الطباطبائي قد تابع في هذا المعنى قداماء البلاغيين، ومنهم يحيى العلويّ الذي قال: ((قد ترد صيغة الخبر والمقصود بها الإنشاء، إمّا لطلب الفعل، وإمّا لإظهار الحرص على وقوعه))<sup>(٥)</sup>.

ولم يخرج السيد السبزواري عن هذه الدائرة فقال: ((قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ جملة خبرية في مقام الإنشاء، وهذا أبلغ في الطلب وأكد، أي اعبدوا الله وحده لا شريك له))<sup>(٦)</sup>. وقد يترجّح متابعة السيد السبزواري في هذا المعنى للفخر الرازي<sup>(٧)</sup>.

(١) مواهب الرحمن: ٥٠٩/٤.

(٢) سورة البقرة/ الآيتان ٨٤، ٨٣.

(٣) الميزان: ٢١٦/١، وينظر: المحرر الوجيز: ١٧٢/١.

(٤) الميزان: ٢١٧/١.

(٥) الطراز: ١٦٢/٣، وينظر: الإيضاح/ص ١٥٠.

(٦) مواهب الرحمن: ٤٣٠/١، وينظر: المباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن/٥٧.

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٧٦/١.

فالملاحظ أنّ السيّد الجليلين قد اختلفت عباراتهما في وقفاتهما أو لمساتهما النصّية للفنّ البلاغيّ، ولكنهما اختلفت معانيهما في توصيف القصد البياني، فضلاً عن ما أشار إليه السيّد السبزواري من نكتة جمالية لطيفة في تحليله.

أمّا موارد التفرّد عند المفسّرين فما تناوله السيّد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٢﴾﴾ (١)، في (إنشاء التنزيه)، والثناء من الله تعالى، لا من غيره (٢).

أمّا السيّد السبزواري فقد أشار في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا يُمْسِرْ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ (٣)، إلى (إنشاء الإنكار)، وذلك على من يطلب الشفاعة من الأوثان أو الأفراد الذين لم يأذن لهم الله تعالى، بالاستشفاع لديه في غفران الذنوب بالخصوص (٤).

وبذلك لم يقتصر المفسّران على تناول الجملة الإنشائية فحسب، بل تناولوا الإشياء الطلبي بأغلب ألوانه البلاغيّة من أمر ونهي واستفهام ونداء، وهما في هذا المجال قد اقتفيا أثر البلاغيين في عنايتهم بالإشياء الطلبي على نحو مميّز عمّا سواه، لأنّه: ((يمثل مظنة التحوّل الدلالي لتوليد معانٍ إضافية من معانٍ وضعيّة أو (أصلية)، وبهذا تفرغ هيكلية البنى من مستواها السطحي ليضمّن محتوى دلاليّاً آخر، وهذا هو قوام البلاغة)) (٥).

أمّا عدم شمول الإشياء غير الطلبي في هذا المستوى والتناول فلأنّ صيغته أشكال ثابتة تقوم على معنى ثابت، فهو بالنتيجة لا يستطيع أن يوّلّد معاني إضافية من معانٍ أصلية،

(١) سورة الروم/ الآيتان ١٧، ١٨.

(٢) ينظر: الميزان: ١٦٦/١٦. وقد نستشف مضمون هذا المعنى في تحليل الزّمخشري للآيتين الكريمتين، ينظر للموازنة: تفسير الكشّاف: ٤٥٦-٤٥٧/٣.

(٣) سورة آل عمران/ الآية ١٣٥.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ٦/ ٣٤٨. وفي هذا المنحى يرى أحد المفسّرين أنّ الإشياء الوارد في الآية الكريمة هو إنشاء لتقرير معنى غفران الذنوب وتأكيدهِ وحصره بالله عزّ وجلّ دون سواه، ينظر للموازنة: روح المعاني: ٢٧٥/٢.

(٥) التناوب الدلالي بين الخبر والإشياء في التعبير القرآني (أطروحة دكتوراه)/ ص ٢٥، وينظر: البلاغة العربيّة قراءة أخرى/ ص ٢٧٩-٢٨٠، ٣٠٢.

وعندها يقيد حركة المنشئ في اطار معين<sup>(١)</sup>. ولذا سأقتصر على تناول موارد الإنشاء الطلبي التي ذكرتها آنفاً عند المفسرين.

### ❖ الأمر:

الأمر في اللغة معروف وهو نقيض النهي<sup>(٢)</sup>، وقد عرفه يحيى العلوي بقوله: ((هو صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبيء عن استدعاء (الغير) على جهة الاستعلاء))<sup>(٣)</sup>. ويرى الدكتور محمد محمد أبو موسى: ((أن صيغة الأمر وتحديد دلالتها شغلت الدراسات في كثير من المجالات، وخاصة الفقهاء والأصوليين لاتصال الصيغة بالوجوب والندب، وما إلى ذلك من أحكام فقهية توجب الحذر في الدراسة والاستنتاج))<sup>(٤)</sup>. وفي هذا المقام نجد أن بعض الباحثين المحدثين يضيف إلى صفة الاستعلاء صفة الإلزام أيضاً<sup>(٥)</sup>. وعندها قد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية كثيرة يدل عليها السياق وقرائن الأحوال. لذا نلاحظ أن المفسرين العالمين قد وقفا عند كثير من هذه المعاني المجازية التي يخرج إليها الأمر. ونذكر هنا بعضاً منها، وهي الآتي:

أ- التحذير:

يعدّ (التحذير) من الأغراض البلاغية المهمة التي يخرج إليها الأمر، فقد أشار السيّد الطباطبائي إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>. إذ قال في الأمر الثاني ((اعلموا)) من الآية الكريمة: ((تحذير للمؤمنين من سيرهم هذا السير أن لا يخالفوا بالقول إذا أمر الله ورسوله بشيء، ولا يضمروا...))<sup>(٧)</sup>. فهنا حدّد السيّد الطباطبائي الغرض من الأمر بالتحذير للمؤمنين.

(١) ينظر: التناوب الدلالي بين الخبر والإنشاء في التعبير القرآني/ ص ٢٥.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (أمر): ٢٦/٤.

(٣) الطراز: ١٥٥ / ٣، وينظر: إعجاز القرآن وعلم المعاني/ ص ٢٣٦.

(٤) دلالات التراكيب/ ص ٢٤٧.

(٥) ينظر: في البلاغة العربية علم المعاني، الدكتور عبد العزيز عتيق/ ص ٧٥.

(٦) سورة البقرة/ الآية ٢٤٤.

(٧) الميزان: ٢ / ٢٨٨، وينظر: البيان في تفسير القرآن: ٢ / ٢٨٣.

أمّا السيّد السبزواري فقال في تحليله (للأمر) في الآية الشريفة: ((وفيه تحذير عن المخالفة وتحريض إلى مراقبة النفس، فلا بدّ من الامتنال، ونبذ ما يوجب الجبن والفتور والتعلّل بما يوجب النفاق،..))<sup>(١)</sup>.

فالسيد السبزواري هنا كشف عن أنّ الأمر في المقام قد خرج إلى غرضي (التحذير والتحريض) معاً، ويبدو لي أنّ كشف السيد السبزواري كان مُستنداً إلى مرجعية معرفية وأخلاقية متجذرة في تهذيب النفس الإنسانية، والله أعلم.

### ب- الإشعار:

يرى السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup>: أنّ الأمر في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ..﴾ يخرج إلى معنى (الإشعار)، بقوله: ((إشعاراً بلزوم اتقاء الله فيه، حتّى لا يكون الاضطهاد إسرافاً في القتل، ولا عن تله وتجبّر كما في صيد اللهو ونحوه))<sup>(٣)</sup>.

وهنا يوجه السيد الطباطبائي المعنى المجازي الذي خرج إليه الأمر على (الإشعار) بلزوم التقوى في الصيد، منعاً للإسراف في القتل. وأحسب أنّ معنى (الإشعار) لم يشر إليه غيره.

أمّا السيد السبزواري فقد يرى أنّ الأمر في الآية الكريمة يخرج إلى معنى (الحث)، فقال: ((حث على التقوى،...، ويستفاد منه الاتقاء عن أكل الصيد الذي لم (تتوفّر) فيه الشروط المعتبرة، والاتقاء عن الصيد الذي لم يكن للكسب والعيش، كما إذا كان إسرافاً في القتل، أو كان عن تكبر وتجبّر كما هو الحال في صيد اللهو))<sup>(٤)</sup>.

(١) مواهب الرحمن: ٤ / ١٢٣.

(٢) سورة المائدة/ الآية ٤.

(٣) الميزان: ٥ / ٢٠٦.

(٤) مواهب الرحمن: ١٠ / ٤٠١.

فالسيد السبزواري هنا يستشف معنى (الحث) على التقوى في الصيد. فضلاً عن توظيفه لهذا الحث من حيث الجانب الفقهي في الاتقاء عن أكل الصيد الذي لم (تتوافر) فيه الشروط المعتبرة، وكذلك لمنع الإسراف في القتل. ويبدو لي أنّ هذا التوجيه للسيد السبزواري يعدُّ أكثر شمولاً واستكناهاً للدلالة القريبة، والله أعلم.

أمّا موارد التشابه بين المفسرين في المعاني المجازية التي يخرج إليها الأمر، فمنها

الآتي:

أ- الإرشاد:

وهو من الأغراض المجازية التي تستفاد من الأمر، وقد أشار إليه السيوطي في أحد كتبه<sup>(١)</sup>. وذكره المفسران في تحليلهما لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ ذهب إلى أنّ الأمر في قوله: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ ..﴾ في الآية المباركة قد خرج إلى غرض (الإرشاد)<sup>(٣)</sup>.

وبذلك تطابق المفسران في بيان الغرض المجازي الذي أفاده الأمر في الآية الكريمة.

ب- التوبيخ:

وهو من الأغراض المجازية التي يخرج إليها الأمر، وقد صرح به القاضي عبد الجبار<sup>(٤)</sup>. وعرض إليه المفسران أيضاً في تفسيريهما لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، إذ اثبتنا أنّ الأمر في قوله: ﴿اتَّقُوا﴾ في الآية الشريفة قد أفاد غرض (التوبيخ)<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: معترك الأقران: ١ / ٣٣٦.

(٢) سورة البقرة/ الآية ١٨٩.

(٣) ينظر: الميزان: ٢ / ٥٨، ومواهب الرحمن: ٣ / ١٢١.

(٤) ينظر: متشابه القرآن/ ص ٥١٦.

(٥) سورة المائدة/ الآية ١١٢.

(٦) ينظر: الميزان: ٦ / ٢٢٧، ومواهب الرحمن: ١٢ / ٤١٣. وللاستزادة في الاطلاع على مواطن التشابه الأخر عند المفسرين، ينظر: ((التعجب: سورة المائدة/ الآية ٧٥، الميزان: ٦ / ٧٣-٧٤، ومواهب الرحمن: ١٢ / ٧٦)) و((الوعظ والإنذار: سورة المائدة/ الآية ١٠٨، الميزان: ٦ / ١٩٨، ومواهب الرحمن: ١٢ / ٣٦٠)) وغيرها.

وهنا انسجم المفسران في كشفهما البياني عن الغرض البلاغي الذي أفاده الأمر في المقام.

أمّا مواطن التفرد عند المفسرين فما ذكره السيّد الطباطبائي في الأمر الذي يخرج إلى غرض (التخيير) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، والمقصود به في المقام تخيير الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم محمد (ﷺ) في أن يأذن لمن شاء - من المؤمنين لبعض شأنهم - ولا يأذن لمن لم يشأ<sup>(٢)</sup>.

أمّا السيّد السبزواري فقد تناول الأمر (قُلْ) في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾<sup>(٣)</sup>: الذي خاطب الله عزّ وجلّ به نبيه الخاتم محمد (ﷺ)، والذي يخرج إلى غرضي (التوحيد والتبيين) معاً، ردّاً على المتذبذبين في أمر الجهاد في سبيل الله، والذين هم في الوقت نفسه من وراء هذا التذبذب أو التردد للحصول على متاع الحياة الدنيا القليل نفعه القصير أمده<sup>(٤)</sup>.

ونخلص ممّا تقدّم أن المفسرين قد بيّنا الأغراض المجازية التي يخرج إليها الأمر، تناولاً واستنباطاً، اختلافاً وائتلافاً بآليات بيانية وسياقية ودلالية توخياً إلى تحقيق عمليّة التّواصل، باستجابة المتلقي، لقصدية النصّ القرآني، وهذا هو عمل المفسر بالأصل.

(١) سورة النور/ الآية ٦٢.

(٢) ينظر: الميزان: ١٥ / ١٦٦. وهذا المعنى هو ما أشار إليه المفسران أيضاً، ينظر للموازنة: التبيان في تفسير القرآن: ٧ / ٤٥٨، وتفسير التحرير والتنوير: ١٨ / ٣٠٧.

(٣) سورة النساء/ الآية ٧٧.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ٩ / ٤٩. ويرى أحد المفسرين أنّ الأمر (قُلْ) في الآية الكريمة قد خرج إلى غرضي (التزهد والترغيب) معاً، ينظر للموازنة: إرشاد العقل السليم: ٢ / ١٦٦.

## ❖ النهي:

يُعدّ النهي أحد الأركان الرئيسية في الإنشاء الطلبي، وذلك لأن: ((النهي ضد الأمر، وهو قول القائل لمن دونه لا تفعل))<sup>(١)</sup>. وهو عند البلاغيين: ((طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة، وهي: المضارع مع (لا) الناهية))<sup>(٢)</sup>.

ولا يقف اهتمام البلاغيين في دراسة أسلوب النهي عند معناه الحقيقي فحسب، بل إنّه يمتد إلى دراسة معانيه المجازية التي يخرج إليها هذا الأسلوب، وهي تستكشف من خلال طبيعة التركيب، ومعطيات السياق، وقرائن الأحوال. وهذا ما أشار إليه المفسران البارغان في إبانتهما لدلالات النهي، وهي الآتي:

## أ- التأكيد:

وهو من الأغراض المجازية التي يخرج إليها أسلوب النهي. وقد عرض إليه السيّد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال: ((وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ... وعدم تقييد قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، يفيد التأكيد البالغ في النهي، بأنّ الإنسان وله علم ما، كيفما كان لا يجوز له أن يتخذ لله سبحانه أنداداً؛ والحال أنّه سبحانه هو الذي خلقهم، والذين من قبلهم ثمّ نظم النظام الكوني لرزقهم وبقائهم))<sup>(٤)</sup>. وهذا المعنى يوحي بلفت نظر المتلقّي إلى استحضار الله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان، لكونه خالقه ومبدعه، وإليه منتهاه، ومرجعه. لذا يجب على الإنسان أن لا يتخذ مع الله -جلّ شأنه وعلا ذكره- شريكاً أو ندّاً.

(١) كتاب التعريفات/ ص ٣١٨.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) // ص ١٥٤، وينظر: الطراز: ٣ / ١٥٦.

(٣) سورة البقرة/ الآيتان ٢١، ٢٢.

(٤) الميزان/ ١ / ٦٠.



أما السيد السبزواري فقد ذهب إلى أن النهي في الآية المباركة قد خرج إلى غرضي التّقرّيع والتّوبيخ، فقال: ((تقرّيع وتوبيخ للمخاطب العاقل في صورة النهي، يعني أنّه مع علمكم بأطافه تعالى، وعناياته عليكم، كيف تجعلون له شريكاً ومثلاً))<sup>(١)</sup>. وهذان المعنيان لهما الأثر البيّن في المتلقّي من حيث الناحية النفسيّة، وذلك لما يقتضيانه من استتهاض النفوس، لإزالة بواعث الشّرك والكفر، وصولاً إلى التّوحيد الخالص.

ومن الجدير بالذكر - هنا - أنّ المفسّرين قد اعتمدا في استشفافاتها البلاغيّة على سياق الآية العام، وقرائن الأحوال، وهذا ما أسهم في تحقيق آفاق تواصل المتلقّي بالنصّ القرآني.

**ب- الحفظ:**

يرى السيّد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، أنّ النهي قد خرج إلى غرض (الحفظ) لقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ...﴾، قال: ((وفيه نهي عن القتال عند المسجد الحرام حفظاً لحرمة ما حفظوه))<sup>(٣)</sup>.

وهنا استجلى السيّد الطّباطبائي الغرض أو القصد من إيراد النهي المتمثل في حفظ حرمة المسجد الحرام.

أما السيّد السبزواري فقد أشار في هذه الآية الشريفة إلى أنّ النهي في قتال الكافرين قد أفاد غرض (اللزوم) من حيث احترام المسجد الحرام وتعظيمه، وهو لحفظه أيضاً، وذلك بقوله: ((فنهى عنه عند المسجد الحرام، للزوم احترامه وتعظيمه؛ إلّا أن يقاتلوكم فيه ويهتكوا حرمة، فلا حرمة لهم، ولا أمان حينئذ))<sup>(٤)</sup>.

(١) مواهب الرحمن: ١ / ١٥١، وقارن بـ تفسير الكشّاف،: ١ / ١٠١ - ١٠٢.

(٢) سورة البقرة/ الآية ١٩١.

(٣) الميزان: ٢ / ٦٢.

(٤) مواهب الرحمن: ٣ / ١٤٠.



أما مواطن التشابه بين المفسرين في خروج النهي عن غرضه الأصلي إلى أغراض  
أخر، فمنها الآتي:

#### أ- الإرشاد:

وهو من الأغراض النفسية الاصطلاحية التي يخرج إليها النهي، ليؤدي المعنى الذي أفاده من داخل السياق<sup>(١)</sup>. وقد صرح المفسران به في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، وهنا قال السيد الطباطبائي: ((إن النهي عن التمني نهي إرشادي يعود مصلحته إلى مصلحة حفظ الأحكام المشرعة، وليس بنهي مولوي))<sup>(٣)</sup>. أما السيد السبزواري فقال: ((والنهي عن التمني إنما لأجل عدم إمكان تحقق المسبب بدون سببه، فيكون النهي إرشادياً تكوينياً لا نهياً مولوياً، وهو يرشد الناس إلى حفظ القانون العام، والنظام الشرعي والتكويني))<sup>(٤)</sup>.

إن كشف العالمين المفسرين عن دلالة النهي قد جاء منسجماً في توجيه المعنى المقصود. فضلاً عن أن السيد السبزواري قد سخر آلياته الفلسفية في هذا المجال.

#### ب- التسلية:

وهو من الأغراض المجازية التي يخرج إليها النهي، وقد أشار إليه المفسران في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((وقوله ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ تسلية منه تعالى لنبيه (ﷺ) في

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/ ص ١١٢، ٢٥١.

(٢) سورة النساء/ الآية ٨٢.

(٣) الميزان: ٤ / ٣٤٤.

(٤) مواهب الرحمن: ٨ / ١٦٤.

(٥) سورة المائدة/ الآية ٦٨.

صورة النهي عن الأسي))<sup>(١)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقد قال والمعنى: ((تسليّة منه عزّ وجلّ لنبيه الكريم (ﷺ)، أي: لا تأسف ولا تحزن عليهم، فإنّ جزاء أعمالهم السيئة، وزيادة طغيانهم يصل إليهم، وتبعثها عائدة عليهم))<sup>(٢)</sup>

وبذلك يتفق المفسران في خروج النهي في الآية المباركة إلى غرض (التسليّة)، اعتماداً على الدلالات السياقية والقرائن الحافّة بالآية.

ويتجلى لنا ممّا تقدّم اهتمام السيّدین العالمين بالمعاني المجازية التي يخرج إليها النهي اختلافاً واتفاقاً، تنوعاً وتفرّداً، وبما يناسب السياق القرآني.

### ❖ الاستفهام:

يعدّ الاستفهام أحد روافد الإنشاء الطلبي الأساسية في البلاغة العربية، فهو ((طلب حصول صورة الشيء في الذهن))<sup>(٣)</sup>. وهو ما يؤثره البلاغيون والمفسرون خاصة في دراسته ليس لمعناه الحقيقي؛ وإنما للمعاني المجازية التي يخرج إليها هذا الأسلوب. يقول الدكتور محمّد أبو موسى في هذا الصدد: ((والأدخل في باب دراسة مزايا الأسلوب، والكشف عن جوانبه ذات الظلال والإيماض هو بحث ألوان الحسّ، وما يخطر في القلب، ممّا يثيره الاستفهام حين لا يراد به طلب الفهم))<sup>(٤)</sup>. ويحتوي القرآن الكريم - في سورة المكية خاصة - على أساليب الاستفهام بأروع الصور المؤثّرة، وأشدّ المواقع الموقّعة.

وقد اقتفى المفسران العالمان أثر البلاغيين والمفسرين في رصد المعاني المجازية التي يخرج إليها، واستنباطها من مواضعها في النصّ القرآني، اعتماداً على السياق العام للآيات القرآنية وقرائن الأحوال، وسنقتصر على ذكر بعض من هذه المعاني، وهي الآتي:

(١) الميزان: ٦/ ٦٦، وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٥٨٩، وفي ظلال القرآن: ٦/ ٩٣٩.

(٢) مواهب الرحمن: ١٢/ ٥٣.

(٣) المطوّل/ ص ٤٠٩، وينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد: ٢/ ٤١٢.

(٤) دلالات التراكيب/ ص ٢١٨ - ٢١٩.

أ- التعجب:

وهو من الأغراض المجازية التي يخرج إليها الاستفهام، وقد ذكره علماء البلاغة القدماء<sup>(١)</sup>. وعرض إليه السيّد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾<sup>(٢)</sup>، إذ قال: ((ثم استفهام استفهام متعجب من جمود فهمهم، وضمور فطنتهم من فقه هذه الحقيقة وفهمها فقال: ﴿فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾))<sup>(٣)</sup>.

فالسيد الطباطبائي - هنا - استتبط غرض (التعجب) من الاستفهام الوارد في الآية الشريفة.

أما السيد السبزواري فقال في تحليله للآية المباركة إنه: ((تنديد لهؤلاء الذين يظنون ظنّ الجاهلية بأسلوب يقرع سمعهم، ويوبخهم باستفهام ينكر عليهم مقالتهم، ويصفهم بأنهم لا يفقهون حديثاً على الإطلاق؛ لأنه غابت عنهم تلك الحقيقة الكبرى التي يدركها كل من رجع إلى نفسه، وإلى ما يحيط به من الحوادث...))<sup>(٤)</sup>.

وهنا وسّع السيد السبزواري من أفق المعنى الذي أفاده الاستفهام، وذلك من خلال إشارته إلى غرضي (الإنكار والتوبيخ) معاً.

ب- التشويق والتّحريض:

وهما يعدّان من الأغراض المجازية التي يخرج إليهما الاستفهام، وقد تناولهما السيّد الطباطبائي في قصة استنصار عيسى (عليه السلام) لبني إسرائيل، وقد استجاب له (عليه السلام) في هذا الاستنصار الحواريون فقط. نلاحظ ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ

(١) ينظر: مفتاح العلوم/ ص ٣١٤، والإيضاح/ ص ١٤١، والطرز: ٣ / ١٦٠.

(٢) سورة النساء/ الآية ٧٨.

(٣) الميزان: ٨ / ٥، وينظر: مفاتيح الغيب: ١٠ / ١٩٥.

(٤) مواهب الرحمن: ٩ / ٥٤، وقارن ب، تفسير البحر المحيط: ٣ / ٣١٢.

قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَّنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾، قَالَ الطَّبَّاطِبَائِي: ((وقد قيّد الأنصار في قوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾، بقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لِيَتَمَّ بِهِ مَعْنَى التَّشْوِيقِ وَالتَّحْرِيزِ الَّذِي سِيقَ لِأَجْلِهِ هَذَا الِاسْتِفْهَامُ))<sup>(٢)</sup>.

وقد سخر السيد الطَّبَّاطِبَائِي الِاسْتِفْهَامَ لِتَحْقِيقِ غَرَضِي (التَّشْوِيقِ وَالتَّحْرِيزِ) اللَّذِينَ أَفَادَهُمَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مُسْتَمَدًّا تَوْجِيهَهُ هَذَا مِنَ السِّيَاقِ وَالْقِرَائِنِ، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّهُ يَحْقُقُ فِي كَشْفِهِ الدَّلَالِي هَذَا الْغَرَضَ الَّذِي مِنْ إِجْلِهِ سِيقَ هَذَا الْأَسْلُوبُ: وَهُوَ الِاسْتِنْتِصَارُ لِعِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ).  
أَمَّا السَّيِّدُ السَّبَزَوَارِيُّ فَقَالَ فِي تَفْسِيرِهِ لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ((وَالِاسْتِفْهَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ لِاخْتِبَارِ الْقَوْمِ، وَمَعْرِفَةِ الْمُؤْمِنِ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِهِ، وَبَيَانِ أَهْمِيَّةِ النَّصْرَةِ لِلَّهِ تَعَالَى))<sup>(٣)</sup>.

وهنا أثبت السيد السَّبَزَوَارِيُّ أَنَّ أَسْلُوبَ الِاسْتِفْهَامِ أَفَادَ غَرَضَ (الِاخْتِبَارِ)، فَضِلًّا عَنْ بَيَانِ أَهْمِيَّةِ النَّصْرَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ الْبَحْثُ، لِأَنَّهُ الْأَقْرَبُ إِلَى قَصْدِ دَلَالَةِ السِّيَاقِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَمَّا مَوَارِدُ الِالْتِقَاءِ بَيْنَ الْمَفْسَّرِينَ مِنْ حَيْثُ الْأَغْرَاضُ الْمَجَازِيَّةُ الَّتِي يَخْرُجُ إِلَيْهَا الِاسْتِفْهَامُ، فَمِنْهَا الْآتِي:

#### أ- التقرير:

وهو من الأغراض المجازية المتداولة بكثرة عند البلاغيين والمفسرين واللغويين<sup>(٤)</sup>. فقد عرفه السيوطي بقوله: ((هو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرَّ عنده))<sup>(٥)</sup>. لذا نجد أنَّ المفسرين الجليلين قد عرضوا إلى هذا الغرض في أكثر من موضع في

(١) سورة آل عمران/ الآية ٥٢.

(٢) الميزان: ٣/ ٢٣٥.

(٣) مواهب الرحمن: ٣٧٨/٥. وللاستزادة في الاطلاع على الموارد الأخر للأغراض المجازية التي يخرج إليها الاستفهام عند المفسرين من حيث الاختلاف على (مستوى الآية)، ينظر: ((الاستفهام (للإيماء) عند الطَّبَّاطِبَائِي، و(للتشهير والتعجب أو التقرير) عند السَّبَزَوَارِيِّ: سورة آل عمران/ الآية ٢٣، الميزان: ٣/ ١٤٤، ومواهب الرحمن: ٥/ ١٩٢، ١٩٣)) و((الاستفهام (للتوبيخ) عند الطَّبَّاطِبَائِي، و(للإنكار والتوبيخ والتعجب) عند السَّبَزَوَارِيِّ: سورة المائدة/ الآية ٥٠، الميزان: ٥/ ٣٦٤، ومواهب الرحمن: ١١/ ٣١٥)) وغيرها.

(٤) ينظر: الخصائص: ٢/ ٤٦٣ - ٤٦٤، وكتاب دلائل الإعجاز/ ص ١١٣ - ١١٤، ومفتاح العلوم/ ص ٣١٥.

(٥) معترك الأقران: ١/ ٣٢٩.

تفسيريهما. من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>، إذ ذهب المفسران إلى أنّ الاستفهام في قوله: ﴿أَقْرَضْتُمْ﴾ في هذه الآية الشريفة أفاد معنى (التقرير)<sup>(٢)</sup>، وفي موضع آخر أشار المفسران أيضاً إلى المعنى نفسه<sup>(٣)</sup>.

وقد بيّن المفسران أنّ الاستفهام قد أفاد معنى (التقرير)، الذي تجلّى بإقرار المتلقي واعترافه بكل المضمونات التي أوردها الله سبحانه وتعالى في هذه الآية. وهما قد استندا في إدلاءتهما إلى معطيات السياق وقرائن الأحوال.

#### ب- التهكم والاستهزاء:

ذكر السيوطي غرضي (التهكم والاستهزاء) في أثناء حديثه عن الأغراض المجازية التي يخرج إليها الاستفهام<sup>(٤)</sup>. ويبدو أنّ السيدين الطباطبائي والسبزواري قد استساغا ما ذهب إليه السيوطي في هذا الإطار. ففي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((والسياق يدلُّ على أنّ الاستفهام في قوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ للتهكم والاستهزاء، ومعلوم أنّهم لا يسخرون إلّا ممّن يستحقرون أمره، ويستهيئون موقعه من المجتمع، ولم يكن ذلك إلّا لفقدهم ومسكنتهم، وانحطاط قدرهم عند الأقوياء والكبرياء منهم))<sup>(٦)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقد ذهب: ((في قوله: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾، إلى أنّ ظاهر الاستفهام هو التهكم

(١) سورة آل عمران/الآية ٨١.

(٢) ينظر: الميزان: ٨١/٣، ومواهب الرحمن: ١٠٧/٦.

(٣) ينظر: ((سورة البقرة/ الآية ٢٦٠، الميزان: ٣٧٥/٢ - ٣٧٦، ومواهب الرحمن: ٣٣٥/٤)).

(٤) ينظر: معترك الأقران: ٣٣٣/١.

(٥) سورة الإنعام/ الآية ٥٣.

(٦) الميزان: ١٠٥/٧، وقارن ب، جامع البيان في تفسير القرآن، ٥٣٨/١.

والاستهزاء، ومنه استهزاء الأقوياء من الضعفاء، واستحقارهم والاستهانة بهم، لكونهم من الفقراء، وانحطاط قدرهم عندهم استكباراً منهم<sup>(١)</sup>.

وهنا اشر السيدان الغرضين اللذين أفادهما أسلوب الاستفهام في الآية الكريمة، وذلك من خلال الاستعانة باليآتهما البلاغية وأدواتهما الفنية في تحليل الخطاب القرآني. ومن الجدير بالذكر أنّ السيّد الطّباطبائي قد احتكم كثيراً إلى دلالة السيّاق في الكشف عن الغرض المراد، والمعنى المقصود.

أمّا موارد التّفرد عند المفسّرين فما أشار إليه السيّد السّبزواري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>(٢)</sup>، في الاستفهام الذي يخرج إلى غرض (الإرشاد)، وقد قصد به هنا إرشاد المؤمنين إلى أنّ دخول الجنة لا يكون إلا من خلال الصّبر وتحمل الأذى والفرع إليه سبحانه وتعالى<sup>(٣)</sup>.

ويتضح لنا أنّ المفسّرين العالمين قد درسا الاستفهام دراسةً وافيةً كافيةً، تتمّ عن عمق الأصول البلاغية التي يتمتعان بها، فضلاً عن خبرتهما التحليلية في ممارسة النصوص الإبداعية.

### ❖ النداء:

وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تهدف إلى تنبّه المتلقّي، وشحذ إدراكه وتفكيره إلى أهميّة ما سيلقى عليه، وقد عرفه السيوطي بقوله: ((هو طلب إقبال المدعوّ على الداعي بحرفٍ نائبٍ منابٍ أدعو، ويصحب في الأكثر الأمر والنهي. والغالب تقدمه))<sup>(٤)</sup>. ومن الأغراض المجازية التي يخرج إليها هذا الأسلوب عند المفسّرين، هي:

(١) ينظر: مواهب الرحمن: ١٣ / ٣٤٨، ٣٤٩، وللاطلاع على مورد آخر للالتقاء بين المفسرين في هذا المقام، ينظر: ((الاستفهام (للتقريع): سورة المائدة/ الآية ٥٣، الميزان: ٦ / ٣٧٨، ومواهب الرحمن: ١١ / ٣٤٠)).

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢١٤.

(٣) ينظر: مواهب الرحمن: ٣ / ٣٠٥. وذهب أحد المفسرين إلى أنّ الاستفهام في الآية المباركة هو لتطبيب قلوب المؤمنين، ينظر للموازنة: معالم التنزيل: ١ / ٢٤٥.

(٤) معترك الأقران: ١ / ٣٣٩، وينظر: المطول/ ص ٤٣٠.

أ- التخصيص<sup>(١)</sup>:

وهو من الأغراض أو المعاني التي يفيدها أسلوب النداء، وقد أشار إليه المفسران العالمان في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد قال السيّد الطباطبائي: ((خطاب خاصّ بالمؤمنين))<sup>(٣)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: ((وتوجيه الخطاب للمؤمنين خاصّة، لأنهم هم المقصودون في تحليل الطيبات، وأن الغرض الأهمّ إنّما هو انتفاع أهل الإيمان منها))<sup>(٤)</sup>.

واتفق المفسران في توجيه دلالة النداء في هذه الآية إلى معنى (التخصيص). فضلاً عن أنّ السيّد السبزواري قد مال إلى تحليل هذا المعنى (أعني التخصيص)، بالغرض القصدي في أصل تحليل الطيبات، وهو المتمثّل بأهل الإيمان، لكونهم هم الأولي بالانتفاع من هذه الطيبات.

ب- التسلية والتطيب:

وهما من الأغراض التي يخرج إليها أسلوب النداء، وقد ذكرهما المفسران في تفسيريهما لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنًا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ...﴾<sup>(٥)</sup>، قال السيّد الطباطبائي في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ..﴾: ((تسلية للنبي ﷺ)، وتطيب لنفسه، ممّا لقي من هؤلاء المذكورين في الآية، وهم الذين يسارعون في الكفر أي: يمشون فيه المشية السريعة، ويسيرونها في السير الحثيث، تظهر من أفعالهم وأقوالهم موجبات الكفر واحدة بعد أخرى، فهم كافرون مسارعون في كفرهم))<sup>(٦)</sup>.

(١) وقد ذكر هذا الغرض يحيى العلوي، ينظر: الطراز: ٣ / ١٦١.

(٢) سورة البقرة/ الآية ١٧٢.

(٣) الميزان: ١ / ٤٢٥.

(٤) مواهب الرحمن: ٣٤٨/٢، وقارن به، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٢١٢/١.

(٥) سورة المائدة/ الآية ٤١.

(٦) الميزان: ٣٤٦/٥ - ٣٤٧، وقارن به، مجمع البيان: ٣ / ٣٣٦.



وقد تابع السيّد السبزواري السيّد الطباطبائي في هذا المعنى الذي ذهب إليه فقال إنّه: ((تسليّة للرسول الكريم، وتطبيب لنفسه الشريفة ممّا لاقاه (ﷺ)، من المنافقين الذين يسارعون في الكفر والذين هادوا))<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن كشف المفسرين عن مقتضى دلالة النداء في هذه الآية الكريمة قد جاء متطابقاً من حيث تخريج المعنيين، المتمثلين بتسليّة شخص الرسول الخاتم محمد (ﷺ)، وبتطبيب نفسه المقدسة (ﷺ)، من المنافقين وغيرهم الذين لا يتناهون عن تسارعهم في الكفر والعصيان، بالابتعاد عن ساحة الرحمن، ووقوعهم في حبال الشيطان ومكائده.

أمّا موارد التفرد عند المفسرين فما عرض إليه السيّد الطباطبائي في أسلوب النداء الذي أفاد معنى (الاستهزاء) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٢)</sup>، والذي عنى به في الحال استهزاء الكفار بشخص رسول الله محمد (ﷺ)، ((ولذلك خاطبوه (ﷺ) لا باسمه بل بوصف نزول الذكر عليه كما يدّعيه وجاءوا بالفعل المجهول للدلالة على أنّ منزله غير معلوم عندهم ولا اعتماد ولا وثوق لهم بما يدّعيه...))<sup>(٣)</sup>.

أمّا السيّد السبزواري فقد تناول في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، النداء الذي أفاد معنيي (التوبيخ والتّقرّيع) معاً، وهو خطاب قصد به الجنّ، لكونهم أكثروا من إغواء الإنس وإضلالهم، فجعلوهم اتباعهم فحشروا معهم<sup>(٥)</sup>.

(١) مواهب الرحمن: ٢٦٧/١١.

(٢) سورة الحجر/ الآية ٦.

(٣) الميزان: ٩٦/١٢. وهذا المعنى هو ما كشف عنه أكثر من مفسر أيضاً، ينظر للموازنة: معالم التنزيل:

٣٦٩/٤، وتفسير الكشاف: ٥٤٩/٢.

(٤) سورة الأنعام/ الآية ١٢٨.

(٥) ينظر: مواهب الرحمن: ١٢٨/٤. وهذا المعنى هو ما ذهب إليه أحد المفسرين أيضاً، ينظر للموازنة:

إرشاد العقل السليم: ٤٤٣/٢.





وننتهي ممّا تقدم إلى أنّ المفسّرين العالمين قد استطاعا في تحليلاتهما النصّية أن يكشفوا عن معاني النداء المجازية وآفاقها، لبيّنا مكنون قيمه الجماليّة، وذلك لإيجاد أو تحقيق تواصل المتلقّي بالنصّ القرآني.

## المبحث الثالث:

## ((التعريف والتكبير))

## ❖ التعريف:

يعدُّ أسلوب التعريف أحد الألوان التعبيرية في البلاغة العربية، وله طرائق متعدّدة بذلك، كالألف واللام، والعلم، والإشارة، والموصول، والضمائر، والإضافة إلى أحد المعارف<sup>(١)</sup>. ويكون القصد منه ((إفادة السّامع حكماً على أمر معلوم له بإحدى طرق التعريف))<sup>(٢)</sup>. وسنبحث في هذا المطلب بعضاً منها، لمسوغات منهجية وفنية، وهي على النحو الآتي:

## أ- التعريف بالإشارة:

إنّ التعريف باسم الإشارة يُجلب لإفادة أغراض بلاغية كثيرة تفهم من السّياق التي ترد فيه<sup>(٣)</sup>. وفي هذا الصدد يرى أحد الباحثين أنّ ((سياق التعريف بالإشارة يجمع بين الارتباط بمقصد المتكلم وطبيعة المخاطب وحسيّة المشار إليه. ولا بدّ في هذا السّياق من صحة إحضار المشار إليه في ذهن المخاطب بوساطة الإشارة، يضاف إلى ذلك توفر المقام الذي يستدعي التّمييز والتّعيين))<sup>(٤)</sup>. وهذه إشارة قيّمة شملت جميع أطراف العملية الإبداعية المتمثلة بـ(المنشئ والمتلقّي والرسالة).

وقد أشار العالمان المفسران إلى الأغراض البلاغية التي أفادها التعريف بالإشارة في أكثر من موضع في تفسيريهما، معتمدين في توجيه دلالاتها على السّياق أو المقام الذي وردت فيه ضمن الآيات القرآنية، ومنها الآتي:

## أ- التّفخيم والتّعظيم:

ذكر السيد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>: أنّ اسم الإشارة (تلك)، بلفظ البعيد قد أفاد غرضي

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/ ٢٨٢.

(٢) مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح: ١/ ٣٥٤.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم/ ص ١٨٣-١٨٤، والإيضاح/ ص ٤٤-٤٧.

(٤) البلاغة والأسلوبية/ ص ٣٤٦.

(٥) سورة الأنعام/ الآية ٨٣.

(التفخيم والتعظيم) في الآية الشريفة، قال: ((في الإشارة بلفظ البعيد إلى الحجة تفخيم وتعظيم لأمرها، لكونها حجة قاطعة جارية على صراط الفطرة مأخوذة بمقدماتها منها))<sup>(١)</sup>. أمّا السيد السبزواري فلم يخرج عن توجيه هذا المعنى أيضاً، بقوله: ((جملة مستأنفة تدلّ على عظيم شأن الحجج التي اتخذها إبراهيم (عليه السلام) في استدلاله بها على إثبات دعوته الحقّة، كما تدلّ عليه الإشارة بالبعيد إلى الحجّة تفخيماً وتعظيماً لأمرها،... وقد كانت حججاً قاطعة تفيد اليقين، جارية على سبيل الفطرة، قد أخذها إبراهيم (عليه السلام) من مشاهداته الملكوتية))<sup>(٢)</sup>.

وهنا بيّن المفسران أنّ التعريف بالإشارة قد أفاد غرضي (التفخيم والتعظيم) معاً، إذ اعتمد السيّد الطباطبائي التركيز في تحليله، في حين ذهب السيد السبزواري إلى التفصيل. وهذا التوجيه لدلالة أسلوب التعريف بالإشارة كان متكناً على السياق أو المقام.

#### ب - الحكمة بالحكم:

وهو من الأغراض البلاغية التي كشفت عنها السيّدان المبدعان وهما يفسران قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ...﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾، إشارة إلى حكمة الحكم بالتحريم، وهو أنّ المشركين لا اعتقادهم بالباطل، وسلوكهم سبيل الضلال رسخت فيهم الملكات الرذيلة المزينة للكفر والفسوق، والمعمية عن إِبصار طريق الحقّ والحقيقة، فأثبتت في قولهم وفي فعلهم الدعوة إلى الشّرك والدلالة إلى البوار، والسلوك بالآخرة إلى النار فهم يدعون إلى النار، والمؤمنون بخلافهم...))<sup>(٤)</sup>.

(١) الميزان: ٢١١/٧.

(٢) مواهب الرحمن: ٧١-٧٠ / ١٤.

(٣) سورة البقرة/ الآية ٢٢١.

(٤) الميزان: ٢٠٩/٢.

ولم يخرج السيد السبزواري عن هذا المعنى الذي أشار إليه السيد الطباطبائي في الآية الشريفة في اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ ..﴾، إذ قال: ((بيان لحكمة هذا الحكم. والاسم في ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المشركين والمشركات المذكورين آنفا..))<sup>(١)</sup>.

إذن جاء توجيه المفسرين لدلالة أسلوب التعريف بالإشارة في الآية الكريمة متشابهاً في بيان الحكمة من تشريع تحريم النكاح من المشركات والمشركين على السواء، مُستفيدين من إمكاناتهما البلاغية وتبحرهما الفقهي في استنباط الدلالة المقصودة.

أما موارد التفرد عند المفسرين فما صرح به السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، في إيراده لفظ إشارة البعيد (تلكم)، إشارة أفادت غرض (( رفعة قدر الجنة وعلو مكانها))<sup>(٣)</sup>.

أما السيد السبزواري فقد تناول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُ اللَّهُ لَكُمْ وَالْعِزَّةَ وَالشُّرَّةَ فِيهَا حُكْمٌ اللَّهُ ثُمَّ يَتَوَلَّى مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، اسم الإشارة (أُولَئِكَ) قصداً إلى إحضار اليهود في الذهن بنعوتهم القبيحة، وبيان العلة في تمييزهم بصورة مشاهدة<sup>(٥)</sup>.

هذه أهم المظان التي كشف عنها المفسران العالمان من حيث التشابه والاختلاف للمعاني التي أفادها اسم الإشارة، إذ مثل السياق عند المفسرين أداة منتجة في توجيه دلالة اسم الإشارة في هذه الآيات القرآنية الشريفة.

(١) مواهب الرحمن: ٣/٣٦٩، وللإطلاع على موطن آخر للتشابه بين المفسرين من حيث الأغراض البلاغية التي أفادها أسلوب التعريف بالإشارة، ينظر: ((التفخيم فقط: سورة الأنعام/ الآية ٨٤، الميزان: ٧/٢٥٠، ومواهب الرحمن: ١٤/١١٣، ١٦١)).

(٢) سورة الأعراف/ الآية ٤٣.

(٣) ينظر: الميزان: ٨/١١٨. وهذا المعنى هو ما جاء في تحليل ابن عاشور للآية المباركة أيضاً، ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٨/١٣٤.

(٤) سورة المائدة/ الآية ٤٣.

(٥) ينظر: مواهب الرحمن: ١١/٢٥٧. وهذا المعنى هو ما أورده بعض المفسرين في تحليلاتهم للآية الشريفة، ينظر للموازنة: إرشاد العقل السليم: ٢/٢٧٥، وروح المعاني: ٣/٣١٠.

## ب- التعريف بالإضافة:

يؤتى بالإضافة في التعريف لكونها تفيد أغراضاً كثيرة ما لا يفيدها غيرها من ألوان التعبير<sup>(١)</sup>. وهي تمثل ((أخصر طريق إلى المسند إليه))<sup>(٢)</sup>. لذا اظهر المفسران الكبيران بفطنتهما الثاقبة، وبذوقهما المرهف الكثير من هذه الأغراض البلاغية التي أفادها التعريف بالإضافة في مواطنها من النظم القرآني، وفي سياقاتها التي جاءت بها في تلك الآيات. ومن هذه الأغراض:

## أ- المعية:

وهو من الأغراض التي أفادها التعريف بالإضافة، وقد أشار إليه السيّدان الجليلان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((قوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾، ناقلاً قول الراغب في المفردات: العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال. وكثرة استعماله في القرآن الكريم...، وإضافته في الآية إلى الله سبحانه، ومناسبة المورد، وفيه بيان الأحكام والوصايا الإلهية، كل ذلك يؤيد أن يكون المراد بقوله: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ التكليف الديني الإلهية، ... فيكون إضافته إلى الله نظير إضافته الشهادة إليه في قوله: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>، للإشارة إلى أنّ المعاملة فيه معه سبحانه))<sup>(٥)</sup>. وقد تابعه السيّد السبزواري في هذا المعنى فقال: ((ويستفاد من الإضافة إلى الله تعالى أنّ المعاملة ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾<sup>(٦)</sup>)).<sup>(٧)</sup>

(١) ينظر: علم المعاني في التفسير الكبير للفخر الرازي وأثره في الدراسات البلاغية (أطروحة دكتوراه): ٢٠٠/١.

(٢) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٣٢٨/١.

(٣) سورة الأنعام/ الآية ١٥٢.

(٤) سورة المائدة/ الآية ١٠٦.

(٥) الميزان: ٣٨٩ - ٣٩٠، وينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن/ ص ٣٩٢.

(٦) سورة المائدة/ الآية ١٠٦.

(٧) مواهب الرحمن: ٤٥٨ / ١٤.

وعندها أوضح المفسران في كشفهما عن دلالة التعريف بالإضافة في الآية الكريمة عن غرض (المعينة) أي: أن المعاملة مع العهد تكون مع الله سبحانه وتعالى من دون وساطة، وقد عضدا توجيههما هذا بنظير آية قرآنية شريفة.

أما من مواطن التّفرد عند المفسرين، فمن ذلك: ما تناوله السيّد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>، في غرض (التنويح) الذي أفاده التعريف بالإضافة، وهو تمثّل هنا في إضافة المثل إلى السّوء فيما يخصّ الذين لا يؤمنون بالآخرة<sup>(٢)</sup>.

أما السيّد السّبزواري فقد استشف غرض (الملايسة) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، الذي أفاده التعريف بالإضافة، والذي قصد به في المقام إضافة الظلمات إلى البرّ والبحر<sup>(٤)</sup>.

ويظهر لنا ممّا تقدّم أنّ المفسرين قد توصّلا إلى استنتاج بعض الأغراض البلاغيّة الجديدة التي لم يتطرق إليها المفسرون - بحدود اطلاعي - كغرض (المعينة) مثلاً. وهذا يتفق تماماً مع إشارة يحيى العلوي في هذا الشأن، إذ قال: ((وتحت الإضافة أسرار ورموز تختلف أحوالها بحسب اختلاف مواقعها، وعلى الفطن إعمال نظره، واستنهاض فكرته، ليحصل عليها))<sup>(٥)</sup>. وهذا ما تبدّى واضحاً عند المفسرين في تحليلاتها النصّية.

(١) سورة النحل/ الآية ٦٠.

(٢) ينظر: الميزان: ٢٧٧/١٢. وفي هذا الصّد يد يرى أحد المفسرين أنّ إضافة المثل إلى السوء في الآية الشريفة قد أفاد غرض (البيان)، ينظر للموازنة: تفسير التّحرير والتنوير: ١٤ / ١٨٦.

(٣) سورة الأنعام/ الآية ٩٧.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ١٤ / ٢١١. وهذا المعنى هو ما ذكره الزّمخشري في تحليل الآية الكريمة، ينظر للموازنة: تفسير الكشّاف: ٤٨ / ٢.

(٥) الطراز: ١٤٨/٣، وينظر: المباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن/ ص ١٠١.

## ج- التعريف بالضمائر:

تمثل الضمائر بأنواعها المعروفة، من: (التكلم والخطاب والغيبة)، عند النحويين والبلاغيين العرب إحدى طرائق التعريف. و((هي ألفاظ مختصرة موجزة يُستغنى بها ظاهرةً أو مضمرةً عن ألفاظ تحتاج عند النطق أزماناً وجهداً أطول وأكثر))<sup>(١)</sup>.

وقد درس المفسران المجددان التعريف بالضمائر في مظان تفسيريهما، إذ استخلصا بعض الأغراض التي أفادها هذا الأسلوب من خلال السياق العام للآيات القرآنية، ومن هذه الأغراض:

### أ- التأكيد:

ذكر السيد الطباطبائي غرض (التأكيد)، وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ قال: ((فقوله: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ في معنى قولنا: لم يتغير حالهم في الكفر، والضمير في قوله: ﴿هُم قَدْ خَرَجُوا﴾ جيء به للتأكيد، وإفادة تمييزهم في الأمر، وتثبيت الكفر فيهم))<sup>(٣)</sup>.

فالسيد الطباطبائي هنا نصّ أنّ الضمير (هم) قد أفاد غرض (التأكيد).

أمّا السيد السبزواري فقال في تحليله للآية الشريفة: ((قوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾، أي: لم يتغير حالهم أنهم دخلوا عليكم بالكفر، وهم يخرجون من عندكم بالكفر، فحالهم عند الخروج نفس حالهم عند الدخول عليكم، لم يتحوّلوا عن الكفر، ولم يتأثروا بمقام الرسول (ﷺ)، ولا بما أنزل عليه، وذلك لشدة تأثرهم بالنفاق ورسوخهم بالكفر، ويدلّ عليه قوله ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾))<sup>(٤)</sup>.

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤١١/١.

(٢) سورة المائدة/ الآية ٦١.

(٣) الميزان: ٣٠/٦، وينظر: تفسير الكشاف: ٦٤٠/١ (الهامش).

(٤) مواهب الرحمن: ٤٤٠/١١، وينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٤٧/٦.

وهنا استدل السيد السبزواري على أنّ الضمير (هم) قد أفاد غرض (الشدة) أي: شدة تأثرهم بالنفاق ورسوخهم بالكفر. وأحسب أنّ سياق الآية العام يحتمل كلاً من المعنيين اللذين أشار إليهما المفسران، فضلاً عن أننا نستشف من خلال تحليل المفسرين لهذه الآية طريقتيهما في تناول النصّ القرآني. فالسيد الطباطبائي يعتمد في أغلب الأحيان على التّكثيف والتركيز في إيصال الدلالة المقصودة إلى المتلقّي. في حين أنّ السيد السبزواري يستعين بالتفصيل والتعليل لتحقيق الهدف ذاته، وهو ما يسوغ لنا أنّ نعدّ هذه السمات من المزايا التحليلية والبلاغية عند المفسرين.

ويجدر بنا أنّ نشير هنا إلى أنّ السيد الطباطبائي قد أولى التعريف بالضمائر عناية كبيرة، وذلك من خلال تفرّده في تناول الكثير من موارد: كضمير المتكلم<sup>(١)</sup>، وضمير التثنية<sup>(٢)</sup>، وضمير جمع المذكر السالم<sup>(٣)</sup>، وغيرها.

### ❖ التّكثير:

حدّد يحيى العلوي التّكثير بقوله: هو ((ما دلّ على شيء لا بعينه))<sup>(٤)</sup>، وقال أيضاً: ((التّكثير أبلغ من التعريف في تقرير المقاصد المعنوية))<sup>(٥)</sup>. وهذا يعني أنّ التّكثير يتيح للمتلقّي أفقاً واسعاً في استنتاج الدلالات التي يوحي بها السياق، وذلك لأنّه مطلق من كلّ القيود اللازمة له، من تعريف أو تخصيص، فيحصل في النفس له فخامة، ويكتسب منه وسامة، وهذا هو الأمر اللائق بفصاحة القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>.

وكشف المفسران بأدواقهما الصّافية، وتحليلاتهما المتأمّلة عن كثير من الأغراض والمقاصد التي أفادها أسلوب التّكثير في السياق القرآني، ومنها الآتي:

(١) ينظر: الميزان: ١٠٦/١٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٩/١٤.

(٣) ينظر: الميزان: ١٠٢/١١.

(٤) الطراز: ٨/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٩/٢.

(٦) ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن/ ص ١٣٦، والطراز: ١٠/٢-١١، والبلاغة والمعنى في النصّ القرآني/ ص ٦٩.





## أ- التعظيم والتنويع:

وهما من الأغراض النفسية التي يخرج إليهما التكثير، والتي لهما الأثر الواضح في نفس المتلقي<sup>(١)</sup>. وقد أشار إليهما السيّد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ قال: ((أيقنوا بحرب أو أعلموا أنفسكم باليقين بحرب من الله ورسوله، وتكثير (الحرب) لإفادة التعظيم أو التنويع، ونسبة الحرب إلى الله ورسوله لكونه مرتبطاً بالحكم الذي لله سبحانه فيه سهم بالجعل والتشريع، ولرسوله فيه سهم بالتبليغ، ولو كان الله وحده لكان أمراً تكوينياً، وأمّا رسوله فلا يستقل في أمر دون الله سبحانه))<sup>(٣)</sup>.

إذن: رأى السيّد الطباطبائي أنّ التكثير في الآية الشريفة قد أفاد غرضي (التعظيم والتنويع). فضلاً عن أنه جعل السبب في نسبة الحرب إلى الله ورسوله، لكون الرسول الخاتم (محمد) مرتباً بحكم ترك الربا...

أمّا السيد السبزواري فقال في تحليله للآية الشريفة: ((والحرب مع الله ورسوله: هي الخروج عن طاعتها ومخالفتها، ويشتدّ عظم المحاربة حسب عظم المعصية، ولعلّ التكثير في (الحرب) لأجل ذلك))<sup>(٤)</sup>.

وهنا وجّه السيد السبزواري الغرض المستفاد من التكثير إلى (التعظيم فقط). علاوة على أنه سخر نظرية العمل والجزاء أو الثواب والعقاب عند الإمامية في استشفاف الغرض البلاغيّ.

(١) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربيّة/ ص ١١٨-١٢٤.

(٢) سورة البقرة/ الآيتان ٢٧٨، ٢٧٩.

(٣) الميزان: ٤٢٧/٢، وينظر تفسير الكشّاف: ٣١٨/١، وشروح التلخيص: ٣٥٣/١-٣٥٤، وشرح التلخيص، للشيخ أكمل الدين البابرتي (ت ٧٨٦ هـ) (دراسة وتحقيق) // ص ٢١٧.

(٤) مواهب الرحمن: ٤٤٥/٤، وينظر: التلخيص/ ص ٦٩، ومعتزك الأقران: ٤٧٢/٣، ومن بلاغة القرآن/ ص ١٠٣.



## ب- التحقير:

عدّ السيّد الطّباطبائي غرض (التحقير) من الأغراض التي أفادها التّكثير، فقد صرّح بذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ مَا كَفَرْتُمْ أَن تَتَّخِذُوا اللَّهَ بَشِيْرًا مِّنَ الصَّيْدِ تَأْلُهُ أَيَدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، إذ قال: ((وقوله: بشيءٍ من الصّيد يفيد (التحقير) ليكون تلقينه للمخاطبين عوناً لهم على انتهائهم إلى ما سيواجههم من النّهي))<sup>(٢)</sup>. وهذا الغرض الذي ذهب إليه السيّد الطّباطبائي في هذه الآية الكريمة هو ما أشار إليه أغلب المفسرين<sup>(٣)</sup>.

فالسيد الطّباطبائي هنا اكتفى بغرض (التحقير).

أمّا السيّد السبزواري فيرى أنّ التّكثير في المقام قد أفاد أكثر من غرض، إذ قال: ((والتكثير في (بشيء)) إمّا: للتكثير، ومن لبيان الجنس، أي كثير الصّيد. أو للتحقير به بالإضافة إلى الابتلاء، ليهون الأمر على المخاطبين. أو للتنويح<sup>(٤)</sup>، ومن التبعيض، وهو ما عدا صيد البحر))<sup>(٥)</sup>. وفي موضع آخر رجّح السيّد المفسر غرضي (التكثير والتحقير)<sup>(٦)</sup>. وهذا ما يميل إليه البحث، لأنه الأكثر تناسباً وانسجاماً مع سياق الآية العام، والمعنى المراد. وهنا نجد أنّ السيّد السبزواري قد أورد أكثر من غرض للتكثير، وهذا ما أعطى للمتلقّي مساحةً أوسع، وفضاءً أفسح في استنتاج الدلالات القريبة.

ولعلّ من أهم مواطن التشابه بين المفسرين من حيث الأغراض التي أفادها التّكثير،

هي:

(١) سورة المائدة/ الآية ٩٤.

(٢) الميزان: ١٣٧/٦.

(٣) ينظر: تفسير الكشاف: ١/ ٦٦٣، وأنوار التنزيل وإسرار التأويل: ١/ ٢٨٢، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢/ ٥٣٩.

(٤) ذكر ابن عاشور هذا الغرض في تفسير الآية المباركة نفسها، ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٧/ ٣٩.

(٥) مواهب الرحمن: ١٢/ ٢٣١.

(٦) مواهب الرحمن: ١٢/ ٢٣١. وللاطلاع على مورد آخر عند المفسرين، ينظر: ((التكثير) للتعظيم والحث والترغيب) عند السيّد الطّباطبائي، و(لأجل التعظيم أو لأجل التنويح) عند السيّد السبزواري: سورة البقرة/ الآية ٢٧٩، الميزان: ١/ ٤٣٤، ومواهب الرحمن: ٢/ ٤٢٣.

ذكر السيّدان العالمان غرض (التعميم) الذي أفاده التّكثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(١)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((ومن في قوله: ((من خير (ومن سوء))، للبيان، والتكثير (للتعميم) أي تجد كل ما عملت من الخير، وان قل، وكذا من السوء، وقوله: ﴿وما عملت من سوء﴾، معطوف على قوله: ﴿ما عملت من خير﴾، على ما هو ظاهر السياق))<sup>(٢)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: ((و (من) في قوله تعالى: ﴿من خير﴾ بيانيّة، والتّكثير في ((خير)) (للتعميم) والشمول للجميع، أي كل خير، وهو يشمل جميع أنواع الخير من الاعتقاد، أو الأقوال، أو الأفعال، حركةً أو سكوناً، حتى الأعدام، مثل كفّ الأذى وإمالتها عن الطريق، وتحمل الأذى ونحو ذلك، ... وقوله: ﴿وما عملت من سوء..﴾، معطوف على قوله: ﴿يوم تجد كل نفس﴾<sup>(٣)</sup>.

وبذلك يتطابق المفسران المبدعان في توجيه الغرض الذي أفاده التّكثير، وهو (التعميم) في هذه الآية الشريفة وذلك بما يتلاءم مع سياق الآية العام. كما أننا نلاحظ أنّ السيّد الطّباطبائي قد اعتمد هنا على الإيجاز والتّركيز كعادته في أغلب تحليلاته للنص القرآني.

#### ب- المجهول:

وهو من الأغراض التي أفادها التّكثير وقد دلّ عليه المفسران الرائدان في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلًا مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((وقد أبهم أمر الأجل بإتيانه منكرًا في قوله: ﴿ثم قضى أجلاً﴾، للدلالة على كونه مجهولاً للإنسان، لا سبيل له إلى المعرفة به بالتوسل إلى العلوم العادية))<sup>(٥)</sup>، وقد أيّده

(١) سورة آل عمران/ الآية ٣٠.

(٢) الميزان: ٣ / ١٨٠ - ١٨١.

(٣) مواهب الرحمن: ٥ / ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٤) سورة الأنعام/ الآية ٢.

(٥) الميزان: ٧ / ٨ - ٩.

السيد السبزواري في هذا المعنى، إذ قال: ((وتكثير الأجل، لبيان إنه من الغيب لا سبيل إلى معرفته بالطرق العادية))<sup>(١)</sup>.

ومن الملاحظ أنّ المفسرين قد اختلفوا في استنباط المعنى الذي أفاده التكثير في الآية الكريمة، وقد توصلوا إلى هذا الاستنباط بإضاءات نصية حملها السياق القرآني. وأحسب أنّ المفسرين قد تفردوا في تناول هذا المعنى واستنتاجه بحدود علمي واستقرائي.

أمّا موارد التفرد عند المفسرين فما كشف عنه السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(٢)</sup>، في بيان غرض (إظهار الجهل)، الذي أفاده التكثير والمقصود به إظهار جهل المؤمنين بالرحمة<sup>(٣)</sup>.

أمّا السيد السبزواري فقد عرض في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>، إلى غرض (التّهويل) الذي أفاده التكثير في لفظة (سعييرا) بشأن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً<sup>(٥)</sup>.

ونخلص ممّا تقدم إلى أنّ السيّد الجليلين قد ميّزا بين التعريف والتكثير، وذلك كل بحسب تناوله للتركيب الذي ورد فيه، أو السياق الذي اتسق مع الآيات الكريمة. ويبدو لي أيضاً أنّ المفسرين قد تابعا الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني في هذا التمييز الذي أشار إليه في أكثر من موضع في كتابه دلائل الإعجاز<sup>(٦)</sup>. وهو كذلك.

(١) مواهب الرحمن: ١٦ / ١٣.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ٨.

(٣) ينظر: الميزان: ٥٣/٣. وفي هذا الشأن نجد أنّ الفخر الرازي وغيره قد ذهبوا إلى أنّ التكثير في الآية الشريفة أفاد غرض (التّعظيم)، ينظر للموازنة: مفاتيح الغيب: ١٩٦ / ٧، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٦ / ٢.

(٤) سورة النساء/ الآية ١٠.

(٥) ينظر: مواهب الرحمن: ٣١٠ / ٧. وهذا المعنى هو ما ذهب إليه الألوسي أيضاً، ينظر للموازنة: روح المعاني: ٤٢٥ / ٢.

(٦) ينظر: كتاب دلائل الإعجاز/ ص ٢٨٨ - ٢٩٠، والتركيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر/ ص ١٦٥ - ١٦٦.



## المبحث الرابع: (التقديم والتأخير)

تعتمد اللغة العربية نظاماً مقنناً في بناء الجملة، سواء أكان هذا النظام على مستوى الجملة الاسمية كتقديم المبتدأ على الخبر، أم على مستوى الجملة الفعلية كتقديم الفعل على الفاعل وما شاكل ذلك، لذا يعدّ كل خروج عن هذا، خروجاً عن النمط المعتاد في بناء الجملة<sup>(١)</sup>، وبذلك يعدّ أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب التي انحرفت في سياقاتها التركيبية، وائتلافاتها الدلالية عن الانسجام مع هذا النظام بقصد واعٍ من المتكلم<sup>(٢)</sup>.

ويرى سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، أن مدار التقديم قائم على الأهمية، فقد قال: ((كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم، وهمُّ ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم))<sup>(٣)</sup>. وقد عني البلاغيون بالأغراض التي يفيدها أسلوب التقديم والتأخير، ففي هذا المعنى قال الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني: ((ولا تزال ترى شعراً يروك مسمّعة، ويلطّف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبباً أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحولّ اللفظ عن مكانٍ إلى مكانٍ))<sup>(٤)</sup>.

فالتقديم والتأخير - إذن - حينما يخرج إلى إفادة غرض من الأغراض البلاغية، فإنه يُكسب الكلام جمالاً وبهاءً وتأثيراً، لأنه سبيلٌ إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المتلقين، كما هي مرتبة في ذهن المنشئ حسب أهميتها عنده<sup>(٥)</sup>. وإن هذه الأغراض أو المعاني تستشف بالوقوف على دلالات التراكيب التي تضمنتها، لا سيما وإنّ القرآن الكريم هو كتاب الإعجاز والإبداع المطلق في كل شيء يحويه، فالتقديم والتأخير فيه وضع في مكانه المناسب الذي

(١) ينظر: الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو - فقه اللغة - البلاغة) / ص ١٣٠،

ودلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية) / ص ٢٣.

(٢) ينظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان / ص ٢٢٩.

(٣) الكتاب: ٣٤/١.

(٤) كتاب دلائل الإعجاز / ص ١٠٦.

(٥) ينظر: من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة) / ص ١٩٤.



يستحقه في التعبير القرآني<sup>(١)</sup>. وهكذا كانت رؤية السيّد العالمين إلى هذا الأسلوب، فذهبها إلى

إبانة الدلالات المترتبة عليه، ومنها الآتي:

#### أ- الثواب:

ذكر السيّد الطّباطبائي غرض (الثواب) الذي أفاده التّقديم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، فقال: ((وقدم القتل على الغلبة، لأنّ ثوابه أجزل وأثبت، فإنّ المقاتل الغالب على عدوّ الله، وإن كان يُكتب له الأجر، إلّا أنّه على خطر الحبط باقتراف بعض الأعمال الموجبة لحبط الأعمال الصالحة، وأستتباع السيئة بعد الحسنه. بخلاف القتل إذ لا حياة بعده إلّا الآخرة، فالمقتول في سبيل الله يستوفي أجره العظيم حتماً، وأمّا الغالب في سبيل الله فأمره مُراعى في استيفاء أجره))<sup>(٣)</sup>.

لقد جاء كشف السيّد الطّباطبائي عن دلالة التّقديم في الآية الكريمة منسجماً مع السياق العام والمقتضى الظاهر للآية في استيفاء الأجر العظيم لمن يمتثل لأمر الله سبحانه وتعالى، فيُقَاتل في سبيله ويقتل.

أمّا السيّد السبزواري فقد وجّه التّقديم في الآية الشريفة نفسها: الى أنّه أفاد غرض (الإرشاد)، بقوله: ((وإنّما قدّم عزّ وجلّ القتل، مع أنّ المقام مقام الحثّ والتّشجيع، وهو يقتضي ذكر النصر أولاً، وتأخير ذكر القتل الذي تنفر منه النفوس، للإرشاد الى أنّ المؤمن ينبغي أن يكون همّه أحد الأمرين، إما إكرام نفسه بالقتل والشّهادة، أو إعزاز الدّين بالنصر، ولا يحدث نفسه بالهرب كما كان عليه المبطّون، وأنّه لا بدّ له من الثبات والعزيمة والتّجرد عن المادة، والخلوص لله تعالى، فلا يغري نفسه بالنصر فقط، بل يوطنها على القتل))<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: التعبير القرآني/ ص ٥٣.

(٢) سورة النساء/ الآية ٧٤.

(٣) الميزان: ٤ / ٤٣١.

(٤) مواهب الرحمن: ٢٧ / ٢٨-٢٧.





وهنا أفاد السيد السبزواري من آياته العرفانية في تأويله لدلالة التقديم ودواعيها، وهي إرشاد المؤمن الى الثبات والعزيمة والتجرد عن المادة ومغرياتها، والإخلاص لله عز وجل في كل حركة وسكنة، ولا سيما في توطين نفس المؤمن على القتل في سبيله - علا ذكره وجل شأنه- ، وجعل هذا هو الهدف الأسمى والقصد الأرقى لمن أراد الوصول الى رضا الجليل. وهذا ما لا يتعارض مع سياق الآية العام أيضاً.

#### ب- العناية:

أشار السيد الطباطبائي إلى غرض (العناية) الذي أفاده التقديم في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرُسُلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، قال: ((وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾، الظاهر أن كلمتي ((فَرِيقًا)) في الموضعين مفعولان للفعلين بعدهما قدما عليهما للعناية بأمرهما، والتقدير: كذبوا فريقاً، ويقتلون فريقاً))<sup>(٢)</sup>.

وهنا وضح السيد الطباطبائي الغرض الذي أفاده التقديم في الآية الكريمة ألا وهو (العناية) بما يناسب السياق العام للآية والمعنى المراد.

أما السيد السبزواري فقد قرّر أنّ التقديم في الآية أفاد غرضي (العناية والتشويق)<sup>(٣)</sup> معاً، إذ قال: ((وفريقاً في الموضعين مفعولان للفعلين بعدهما، قدما عليهما عناية بأمرهما وتشويق السامع الى ما فعلوه به))<sup>(٤)</sup>.

وهنا أثبت السيد السبزواري أنّ التقديم في الآية أفاد الغرضين معاً، وهذا ما يحتمله السياق العام أيضاً.

ويبدو لي في هذا المقام أنّ السيد السبزواري في استكناهاه لغرضي التقديم كان أكثر اهتماماً وعنايةً بالمتلقي من السيد الطباطبائي، والله اعلم.

(١) سورة المائدة/ الآية ٧٠.

(٢) الميزان: ٦٧ / ٦.

(٣) ذكر السكاكي أنّ التقديم فيه تشويق ((للسامع إلى الخبر، ليتمكن في ذهنه إذا أورده)) مفتاح العلوم / ص ١٩٤.

(٤) مواهب الرحمن: ٥٧ / ١٢، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٣٠٢ / ٢.





أما موارد الالتقاء بين المفسرين، فمنها الآتي:

#### أ- بيان السبب:

صرح يحيى العلوي بهذا الغرض، ومثّل له بتقديم بعض أسماء الله الحسنى على بعضها الآخر كتقديم العزيز على الحكيم<sup>(١)</sup>. وهنا أكد السيّدان الجليلان هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيّد الطباطبائي في قوله: ﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ إنه: ((يدلّ بتقديم لفظ الجلالة على بيان السبب فهو تعالى مالك الملك، لأنه الله جلّت كبريائه، وهو ظاهر))<sup>(٣)</sup>، وقد تابعه السيّد السبزواري في هذا المعنى فقال: ((تقديم اسم الجلالة في الآية الشريفة، لبيان السبب، أي: أن مالكته تعالى للملك، وكون العزة والخير والقدرة والرزق بيده، لأنه الله المستجمع لجميع صفات الجمال والكمال))<sup>(٤)</sup>.

وبذلك بيّن المفسران المبدعان أن التقديم في الآية المباركة قد أفاد (بيان سبب المالكية الكلية المطلقة لله وحده لا شريك له). فضلاً عن أن السيّد الطباطبائي قد عمد في تحليله للآية القرآنية إلى التكتيف والتركيّز في كشفه عن دلالة التقديم، بخلاف السيّد السبزواري الذي مال إلى التفصيل والإيضاح، وهذا هو دأبهما في أغلب تحليلاتهما من هذا الباب.

#### ب- لقرب النفع:

وهو من الأغراض التي أفادها أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم، إذ أشار إليه السيّدان العالمان في تفسير قوله تعالى: ﴿...أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((وتقديم الآباء على الأبناء

(١) ينظر: الطراز: ٣٤ / ٢.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ٢٦.

(٣) الميزان: ١٥١ / ٣.

(٤) مواهب الرحمن: ٢٢٢ / ٥.

(٥) سورة النساء/ الآية ١١.





يشعر بكون الآباء أقرب نفعاً من الأبناء))<sup>(١)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: ((ويستفاد من تقديم الآباء على الأبناء أنّ الآباء أقرب نفعاً من الأبناء))<sup>(٢)</sup>.

وعندها تطابق قصد المفسرين في استشفافهما البلاغيّ للغرض الذي أفاده التقديم في هذه الآية الشريفة، وهو قرب نفع الآباء مقارنة بالأبناء.

ويبدو أنّ توجيه المفسرين قد أخذ فيه بنظر الاعتبار الناحية الفطرية والناحية النفسية اللتين يتمتع بهما الآباء كالحب والحرص والاهتمام والرعاية وغيرهما، والله اعلم.

أمّا موارد التّفرد عند المفسرين فما تناوله السيّد السبزواري في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، في التقديم الذي أفاد غرض (التّهويل)، والمقصود به هنا تقديم (عليكم) على المفعول الصريح (عذاباً) لتحويل أمر المؤخر<sup>(٤)</sup>.

وقد يكون التقديم والتأخير في القرآن الكريم على النقيض ممّا ذكرنا آنفاً، فقد يقدم لفظة في موضع ويؤخرها في موضع آخر كل ذلك بما يتلاءم، ويتواءم مع السياق<sup>(٥)</sup>. وقد عرض السيّدان العالمان إلى هذا اللون البلاغيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((وقد قدّم القتل ههنا على الموت، لأنّ القتل في سبيل الله أقرب من المغفرة بالنسبة إلى الموت، فهذه النكته هي الموجبة لتقديم القتل على الموت، ولذلك عاد في الآية

(١) الميزان: ٢١٦ / ٤.

(٢) مواهب الرحمن: ٣٢٨ / ٧. وللإطلاع على موارد الأغراض الأخر من حيث الائتلاف بين المفسرين، ينظر: ((الجرى على الطبع: سورة المائدة/الآية ٧٦، الميزان: ٧٥/٦، ومواهب الرحمن: ١٢ / ٨٨)) و((للتأكيد وتثبيت الأحكام والوعيد والوعد معاً: سورة المائدة/الآية ٩٩، الميزان: ١٤٣ / ٦، ومواهب الرحمن: ٢٥٠ / ١٢)).

(٣) سورة الأنعام/ الآية ٦٥.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ١٣ / ٤٤٦. وهذا المعنى يتفق مع توجيه الألوّسي للتقديم في الآية الكريمة، ينظر للموازنة: روح المعاني: ٤ / ١٧٠.

(٥) ينظر: التّعبير القرآني/ص ٦٢.

(٦) سورة آل عمران/ الآيتان ١٥٧، ١٥٨.



(الآتية): ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون الى الترتيب الطبيعي بتقديم الموت على القتل لفقد هذه النكته الزائدة))<sup>(١)</sup>.

فهنا حصر السيد الطباطبائي النكته من وراء تقديم القتل في سبيل الله على الموت في الآية الأولى، بقرب القتل من المغفرة، ولذا رتب على أنتقاء هذه النكته في الآية الأخرى تقديم الموت على القتل.

أما السيد السبزواري فقال في تحليله للآية الأولى: ((وإنما قدم القتل في سبيل الله على الموت، لأن القتل اقرب الى المغفرة والرحمة، وللتغيب اليه، والتعريض بمن كان يثبّط المؤمنين عنه، والرد على الكفار))<sup>(٢)</sup>، وفي بيان سبب تقديم الموت على القتل في الآية الثانية، قال: ((وإنما قدم الموت على القتل، لأن الأول أعم من الثاني وأكثر، فناسب الترتيب الطبيعي، بخلاف الآية السابقة))<sup>(٣)</sup>.

وهنا ذكر السيد السبزواري أكثر من نكته من وراء تقديم القتل في سبيل الله على الموت في الآية الأولى، كقرب القتل الى المغفرة والرحمة أولاً، وللتغيب اليه ثانياً، وللتعريض بمن كان يبيث روح الخوف والهزيمة من المنافقين في قلوب المؤمنين ثالثاً، وللرد على الكفار رابعاً. علاوة على ذلك أنه أرجع النكته من وراء تقديم الموت على القتل في الآية الثانية إلى عموم الموت وكثرته.

ومن الجدير بالذكر أنّ كلّ هذه النكات واللطائف التي أشار إليهما المفسران لا تتعارض مع السياق العام للآيتين الشريفتين، والله أعلم.

ومن موارد التقديم والتأخير التي تفرّد بتناولها السيد السبزواري من دون السيد الطباطبائي من حيث الموازنة بين الآيات القرآنية، هو تقديم (اللعب) على (اللهو) في ثلاثة موارد، وهي على النحو الآتي: الأول: جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ

(١) الميزان: ٥٨/٤، وينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٤/ ١٤٣ - ١٤٤، والتعبير القرآني/ ص ٦٢ - ٦٣، والبحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ٢٣٧.

(٢) مواهب الرحمن: ٦/ ٤٣٠.

(٣) المصدر نفسه، وينظر: المباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن/ ص ٩٤.





وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾، والثاني: ورد في قوله سبحانه وتعالى :  
﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ  
أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ  
وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢﴾، أمّا الثالث فقد جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣﴾. وتقديم (اللهو) على  
(اللعب) في مورد واحد، لقوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُحُوبٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ  
الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾، فضلاً عن إشاراته إلى المسوغات التي تقف وراء هذا التقديم  
والتأخير، كل ذلك بما يدلّ به السياق القرآني.

ويظهر لنا ممّا تقدم أنّ العالمين الجليلين قد أحاطا أسلوب التقديم والتأخير في تفسيريهما  
عنايةً بالغةً تجلت ملامحها من خلال دراستهما لهذا اللون البلاغيّ على أكثر من مستوى.  
سواء أكان هذا المستوى من حيث الكشف عن الأغراض التي أفادها هذا الأسلوب، أم من  
حيث أستكناه المسوغات اللطيفة والدقيقة من وراء تقديم لفظة في موضع، وتأخيرهما في  
موضع آخر كما لاحظنا ذلك عند السيّد السبزواري بخاصة.

(١) سورة الأنعام/ الآية ٣٢، وينظر: مواهب الرحمن: ١٣/ ٢٠٥-٢٠٦، وهذا التقديم هو ما أشار إليه أحمد  
ابن إبراهيم الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)، ينظر للموازنة: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في  
توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل: ١/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٢) سورة الحديد/ الآية ٢٠، وينظر: مواهب الرحمن: ١٣/ ٢٠٥-٢٠٦. وهذا التقديم هو ما ذكره أحمد بن  
إبراهيم الغرناطي، ينظر للموازنة: ملاك التأويل: ١/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٣) سورة محمد/ الآية ٣٦، وينظر: مواهب الرحمن: ١٣/ ٢٠٥-٢٠٦. وهذا التقديم هو ما وضحه أحمد بن  
إبراهيم الغرناطي، ينظر للموازنة: ملاك التأويل: ١/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٤) سورة العنكبوت/ الآية ٦٤، وينظر: مواهب الرحمن: ١٣/ ٢٠٦، وهذا المعنى هو ما عرض إليه  
الغرناطي أيضاً، ينظر للموازنة: ملاك التأويل: ١/ ٤٤٧-٤٤٨.

## المبحث الخامس:

### ((الفصل والوصل))

أولى البلاغيّون الفصل والوصل أهميّة كبيرةً لاحت بوارقها خلال إشارة القدماء إلى أنّ البلاغة: هي ((معرفة الفصل من الوصل))<sup>(١)</sup>. وإدراكاً من الشيخ عبد القاهر الجرجاني لأهميّة هذا الباب في البحث البلاغي قال معللاً: ((ذاك لغموضه ودقّة مسلكه، وأنّه لا يكُمّل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ، إلا كَمَل لسائر معاني البلاغة))<sup>(٢)</sup>.

وقد عرّف الخطيب القزويني هذا اللون البلاغيّ بقوله: ((الوصلُ عطفُ بعضِ الجمل على بعض، والفصلُ تركُّهُ))<sup>(٣)</sup>. ولهذا فهو يعدّ من مباحث علم المعاني التي تتسم بإمكاناتها الاسلوبية، لاعتماده على الأدوات التي لها القدرة على الربط بين المفردات والجمل<sup>(٤)</sup>. ولقيمة هذا الأسلوب العالية في الكلام فقد أورده القرآن الكريم في مواطن كثيرة، وقد وقف المفسّران على بعض من هذه المواطن في تفسيريهما لإبانة دلالاته، واستشراف مقاصده، وكان منها الآتي:

ففي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي في تفسير: ((قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، جيء في الكلام بالفصل من غير وصل، لأنّه في موضع الجواب عن سؤال مقدر، تقديره: إذا لم يكن الدخول في حمى الإسلام والإيمان يجر للإنسان كل خير، ويحفظ منفعه في الحياة، وكذا اليهوديّة والنصرانيّة فما هو السبيل؟ والى ماذا ينجر حال الإنسان؟ فقيل: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ..﴾<sup>(٦)</sup>. ويرى السيّد أيضاً وهو يوجه الآية إلى الفصل. أن جزاء عمل السوء، هو ((مطلق يشمل الجزاء الدنيوي الذي تقرّره الشريعة

(١) البيان والتبيين: ٨٨/١.

(٢) كتاب دلائل الإعجاز/ ص ٢٢٢.

(٣) التلخيص/ ص ١٧٥.

(٤) ينظر: البلاغة والأسلوبية/ ص ٢٨٤.

(٥) سورة النساء/ الآية ١٢٣.

(٦) الميزان: ٨٨/٥.

الإسلامية كالفصاحات للجاني، والقطع للسارق والجلد أو الرجم للزاني إلى غير ذلك من أحكام السياسات وغيرها و يشمل الجزاء الأخروي الذي أوّده الله سبحانه وتعالى في كتابه، بلسان نبيه (ﷺ) ((<sup>(١)</sup>).

أمّا السيّد السبزواري فذهب إلى أنّ الله سبحانه وتعالى قد بيّن الجواب في هذه الآية الكريمة، بقوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، عقيب تلك الآية الشريفة، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، بغير فصل وبصيغة العموم<sup>(٢)</sup>، إذ قال: ((إنّ كلّ من يعمل سوءاً يجد جزاءه، ولم يكن له وليّ ولا نصير من جزاء أعماله، كما أنّ من يعمل من الصالحات يدخل الجنة))<sup>(٣)</sup>.

وهنا أشار السيّد السبزواري إلى الوصل، وهذا هو ما يميل إليه البحث، لأنّه يحسب أنّ هناك نكتة تكمن في مضمون الآية الكريمة نفسها، فمضمونها يُعدّ متوقّعاً وغير مفاجيء بالنسبة للإجابة عن ذلك السؤال المقدّر<sup>(٤)</sup>. ومما يعضد هذه النكتة أيضاً وجود قرينة النفي بـ(ليس) في صدر الآية الشريفة التي تدلّ على عدم تحقّق الأمنيات التي تختلج في صدورهم، والله أعلم.

أمّا موارد التشابه بين المفسّرين فما تناوله المفسران بأهميّة الوصل في تقريره الحكم وتوكيده<sup>(٥)</sup>، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾<sup>(٦)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((إنّما قيد المسيح بقوله: ﴿ابن مريم﴾ للدلالة على كونه بشراً تامّاً واقعاً تحت التأثير الربوبي كسائر البشر، ولذلك بعينه عطف عليه ((أمّه)) لكونها مسانخة له من

(١) الميزان: ٨٨-٨٩/٥.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن: ٣٣٥/٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) قارن به الطراز: ١٦٩/٣.

(٥) ينظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ٢٤٨.

(٦) سورة المائدة/ الآية ١٧.

دون ريب، وعطف عليه ﴿من في الأرض جميعاً﴾، لكون الحكم في الجميع على حدٍ سواء))<sup>(١)</sup>. وقال السيّد السبزواري في المعنى نفسه: ((إنّ كون المسيح الهاً يناقض وصفهم له بأنّه ابن مريم، فإنّه يدلّ على كونه بشراً تاماً، وإنّه مربوب له تعالى، وواقع تحت سلطانه عزّ وجلّ وإرادته جلّ شأنه، كسائر أفراد البشر، مضافاً إلى كون أمّه أيضاً مثله في البشريّة، ومسانخة له من دون ريب، يجري عليها ما يجري على جميع من في الأرض، فإنّ الحكم في الجميع على حدّ سواء))<sup>(٢)</sup>.

وقد استشف السيّدان العالمان أهميّة الوصل في تقرير الحكم وتوكيده في هذه الآية الشريفة بقريته (ابن مريم) فضلاً عن ما يوحي به السياق، والله أعلم.

ومن موارد التشابه المهمة بين المفسّرين، ما جمع فيه بين الوصل والفصل. فضلاً عن موازنته مع نظائر له في القرآن الكريم، كما نلحظ ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُومٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، إذ يرى السيّد الطباطبائي في قوله تعالى: ﴿صُومٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾، اجتماع الوصل والفصل، فقد تمثّل الوصل في عطف البكم على الصمّ، ومن ثمّ تحقّق الفصل بينهما وبين ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾<sup>(٤)</sup>. أمّا من حيث الموازنة مع النظائر القرآنية في هذا الصدد، قال: ((وقد أتى في مثل الآية بحسب المعنى بالفصل أعني قوله تعالى في المنافقين: ﴿صُومٌ بِكُمْ عُمِيٌّ﴾<sup>(٥)</sup>، وفي آية أخرى يماثلها بالعطف وهي قوله في الكفار: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَدَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>)<sup>(٧)</sup>. إذا أشار السيّد الطباطبائي إلى أنّ النكته في قوله: ﴿صُومٌ وَبُكْمٌ فِي

(١) الميزان: ٢٥٢ / ٥، وينظر: تفسير الكشّاف: ٦٠٥ / ١.

(٢) مواهب الرحمن: ١٠٦ / ١١.

(٣) سورة الأنعام/ الآية ٣٩.

(٤) ينظر: الميزان: ٨٥ - ٨٦.

(٥) سورة البقرة/ الآية ١٨.

(٦) سورة البقرة/ الآية ٧.

(٧) الميزان: ٨٦ / ٧.

الظلمات ﴿﴾، ترجع إلى (( كون من هم صمّ غير الذين هم بكم، فالصمّ هم الجهلاء المقلدون الذين يتبعون كبراءهم فلا يدع لهم ذلك سمعاً يسمعون به الدعوة الحقّة، والبكم هم العظماء المتبوعون الذين لهم علم بصحة الدعوة إلى التوحيد وبطلان الشرك، غير أنهم لعنادهم وبغيهم بكم لا تنطق أسنتهم إلى الاعتراف بكلمة الحق والشهادة بها، والطائفتان جميعاً تشتركان في أنهما واقعتان في ظلمة لا يتبصر فيها إلى الحق، ولا يسمح غيرهما أن يبصرهما بشيء من الإشارات لمكان وقوعهما في الظلمات فلا تنجح فيها الإشارة))<sup>(١)</sup>، أمّا النكتة في آية المنافقين: ﴿صُمُّ بَكْمٍ عُمِّيٍّ﴾، فيرى الطباطبائي أنها تكمن باجتماع جميع هذه الصفات فيهم في زمان واحد لانقطاعهم عن رحمة الله تعالى من كل جهة<sup>(٢)</sup>. وأمّا في آية الكفار: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾، فيوجه النكتة على أنها تعلقت بكون ختم السمع من غير جنس ختم القلوب<sup>(٣)</sup>. وقد تابع السيّد السبزواري السيّد الطباطبائي في توجيه الآية الأولى على الجمع بين الوصل والفصل، وكذلك من حيث مقارنتها بنظائرها في الكتاب العزيز. فضلاً عن إشارته إلى النكات واللطائف القصديّة التي احتوتها الآيات القرآنيّة متصلة أو منفصلة<sup>(٤)</sup>.

وهذا يفصح عن عناية المفسرين بالفصل والوصل لإيضاح المعنى، وإيصاله إلى المتلقّي من دون معاضلة أو غموض.

أمّا من حيث التفرد فنجد أنّ السيّد المجتهدين اختلفت توجيهاتهما، وتلونت تخريجاتهما للفصل والوصل بحسب السياق وقرائن الأحوال. فالسيّد الطباطبائي درس الفصل الذي جاء في مقام التعليل لمضمون (كذلك)<sup>(٥)</sup>، حين أورد تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) الميزان: ٨٦/٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: الميزان: ٨٦/٧، وتفسير الكشاف: ٦١ / ١.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ٢٩٢ / ١٣ - ٢٩٤.

(٥) ينظر: الميزان: ٢٠٧/٣. وفي هذا الصدد يعتقد أحد المفسرين أنّ الآية المباركة قد جاءت على الوصل،

ينظر: للموازنة: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧٨ / ٢.

(٦) سورة آل عمران/ الآية ٤٠.

أما السيد السبزواري فقد تناول الوصل في دلالة قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، إذ أفاد معنى (بيان الاشتراك في النعمة، ووجوه الحكمة في الخلق)، والمقصود به هنا بين جعل الظلمات والنور من جهة، وبين خلق السموات والأرض من جهة أخرى<sup>(٢)</sup>.

(١) الأنعام/ الآية ١.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن: ١١/١٣. وهذا المعنى ما عرض له أحد المفسرين أيضاً، ينظر للموازنة: إرشاد العقل السليم: ٢/ ٣٤٧-٣٤٨.



## المبحث السادس:

## ((القصر أو الحصر))

يعدُّ القصر من الأساليب البلاغية المتميزة في اعتماد التركيز والتلخيص في إيصال الدلالة المقصودة للمتلقّي.

وقد عرفه السيوطي بقوله: ((هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، أو هو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه))<sup>(١)</sup>.

ولم يقف بعض البلاغيين على هذا المصطلح في دراساتهم، بل تناولوا معه أكثر من مصطلح مرادف أو مقارب له، كالتخصيص والحصر والاختصاص<sup>(٢)</sup>. وقد تابع السيّدان المفسران البلاغيين في استعمال هذه المصطلحات عند تحليلاتهما النصّية لهذا اللون البلاغيّ، وهذا ما ستكشف عنه هذه الدراسة، إن شاء الله تعالى.

ويرى أحد الباحثين المحدثين في هذا الصدد: ((أنّ القصر يطرأ على الأسلوب، بطرقه وأدواته فيحدث فيه خصوصيات ومزايا تتلاءم والحال التي اقتضت طريقاً خاصاً وصياغة معينة))<sup>(٣)</sup>.

وللقصر طرائق أربع: هي: القصر بـ(النفى والاستثناء)، والقصر بـ(إنما)، والقصر بالعطف كـ: (لا، بل)، والقصر بـ(التقديم)<sup>(٤)</sup>. وسأعرض إلى نماذج في ضوء ما ورد منها لدى المفسرين، على نحو ورودها في التفسيرين، وذلك لمقتضيات منهجية الدراسة وإجراءاتها التطبيقية.

ففي قوله تعالى: ﴿وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، ذهب السيّد الطباطبائي إلى أنّ القصر

(١) معترك الأقران: ١ / ١٣٦، وينظر: المصباح في المعاني والبيان والبدیع/ ص ١٥٥.

(٢) ينظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ٢٥٣، والمباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن/ ص ١١٦.

(٣) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية/ ص ٢٢.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم/ ص ٢٨٨ - ٢٩٢، والإيضاح/ ص ١٢٤ - ١٢٦.

(٥) سورة المائدة/ الآية ٢٧.

بـ(إنمّا) في الآية الشريفة إمّا مسوق لقصر الأفراد<sup>(١)</sup>، وإمّا لقصر القلب<sup>(٢)</sup>، قال: (( فقلوه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، مسوق لقصر الأفراد للدلالة على أنّ التّقَبُّل لا يشمل قربان التّقي وغير التّقي جميعاً، أو لقصر القلب كأنّ القاتل كان يزعم أنه سيستقبل قربانه دون قربان المقتول زعماً منه أنّ الأمر لا يدور مدار التّقوى أو أنّ الله سبحانه غير عالم بحقيقة الحال، يمكن أن يشتبه عليه الأمر كما ربّما يشتبه على الإنسان))<sup>(٣)</sup>.

وهنا توافرت القناعة التامة لدى السيّد الطّباطبائي على أنّ السّياق العام للآية الكريمة يحتمل خيارى القصر بـ(إنمّا) الواردين في المقام، والمتمثلين بقصر الأفراد وقصر القلب. أمّا السيّد السّبزواري فقد ذهب إلى أنّ القصر بـ(إنمّا) في الآية جاء لقصر القلب فقط، قال: (( إنّ القصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ﴾، قصر القلب، ردّاً لما زعمه القاتل من قبول عمله حسبنا منه أنّ الأمر لا يدور مدار التّقوى، وأنّ التّقي وغير التّقي في ذلك على حدّ سواء، إلّا أنّ الآية الشريفة قصرت القبول على المتقي فقط))<sup>(٤)</sup>، وهو بذلك يجعل القصر في الآية الكريمة وفقاً على قصر القلب.

وقد أطلق السيّد السّبزواري في موضع آخر مصطلح (الحصر) على (القصر) الوارد في الآية الكريمة نفسها<sup>(٥)</sup>، وهذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً أنّ هناك أكثر من مصطلح يستعمل في الدّلالة على القصر.

ويرى أحدُ الباحثين أنّ استعمال (إنمّا) في القرآن الكريم يغلب عليها أن تكون ((بمناجاة الجواب عن سؤال يقتضيه السياق قبلها صريحاً أو ضمناً. ويكثر في الصريح سبقها بمادة القول))<sup>(٦)</sup>.

(١) قصر الأفراد: هو القصر الذي يزيل شركة الثاني التي اعتقدها المخاطب كقولك: إنّما يجيء زيد، لمن يردد المجيء بين زيد وعمرو أو يراه منهما، ينظر: مفتاح العلوم/ ص ٢٨٨، ٢٩١، ومعتك الأقران: ١٣٧/١.

(٢) قصر القلب: وهو القصر الذي يقلب المتكلم فيه حكم السّامع، نحو: لمن يقول: لا يجيء زيد، ويضيف إليه الذهاب، ينظر: مفتاح العلوم/ ص ٢٨٨، ٢٩١، ومعتك الأقران: ١٣٧/١.

(٣) الميزان: ٣٠٧/٥.

(٤) مواهب الرحمن: ١١/١٩٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١١/٢٠٨.

(٦) من بلاغة القرآن/ ص ١٢٤.

وهذا الصريح هو ما يحسبه البحث أنه ينطبق على آية المقام المذكورة آنفاً، والله أعلم. ويعتقد البحث أن هذه النكتة التي صرّح بها الباحث هي من فرائد الشيخ عبد القاهر الجرجاني ونفائسه ذلك أنه يرى فيها أن دلالة (إنما) تجيء لخبر لا يجهله المخاطب<sup>(١)</sup>، وفي هذا الإطار وقف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>، مبيناً دلالة (إنما)، بقوله: ((... تذكير بأمر ثابت معلوم... هو أن الإنذار إنما يكون إنذاراً ويكون له تأثير، إذا كان مع من يؤمن لله ويخشاه ويصدق بالبعث والساعة، فأما الكافر الجاهل، فالإنذار وترك الإنذار معه واحد))<sup>(٣)</sup>.

أما موارد التشابه بين المفسرين فما عرضنا إليه في أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، لأن هذه الطريقة من الطرائق المهمة في أسلوب القصر، وعندها يمكن أن يحسب كل قصر يفيد النفي والاستثناء<sup>(٤)</sup>... نلاحظ من ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>(٥)</sup>، فقد قال السيد الطباطبائي: ((إن القصر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قصر حقيقي غير إضافي<sup>(٦)</sup>، وإن حقيقة الحياة التي لا يشوبها موت ولا يعتريها فناء، وزوال هي حياته تعالى))<sup>(٧)</sup>، وقال أيضاً في الآية المباركة نفسها: ((الأوفق... أن يكون لفظ الحي خبراً بعد خبر يفيد الحصر، لأن التقدير لله، فالآية تفيد أن الحياة لله محضاً إلا ما أفاضه لغيره))<sup>(٨)</sup>. وقد وافقه السيد السبزواري في هذا التوجيه للآية الشريفة، فقال: ((قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، نفي للمعبود مطلقاً وحصر فيه جلّ وعلا، بل نفي للحقيقة الحقّة وإثبات لها

(١) ينظر: كتاب دلائل الإعجاز/ ص ٣٣٠، والبحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ٣٣٠.

(٢) سورة يس/ الآية ١١.

(٣) كتاب دلائل الإعجاز/ ص ٣٣٠ - ٣٣١.

(٤) ينظر: علم المعاني، الدكتور درويش الجندي/ ص ١٣٠. وقارن به، مفتاح العلوم،/ ص ٢٩١.

(٥) سورة البقرة/ الآية ٢٥٥.

(٦) القصر الحقيقي: هو القصر الذي يكون فيه النفي لكل ما عدا المقصور عليه، وأن يكون مضمونه مطابقاً للواقع، نحو: (وما محمد إلا رسول الله). أما القصر الإضافي فهو ما يكون فيه النفي لبعض ما عدا المقصور عليه، نحو: (أحمد مفسر لا كاتب)، ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: ٣/ ٢ (الهامش)، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ٥٢٣ - ٥٢٤، وأساليب القصر في القرآن الكريم/ ص ٦١، ٧٥.

(٧) الميزان: ٢/ ٣٣٤.

(٨) المصدر نفسه: ٢/ ٣٣٥.

فيه تعالى، لأنّ غيره في معرض الزوال والفاء))<sup>(١)</sup>، وقال السبزواري أيضاً: ((قوله تعالى: ﴿الْحَيُّ﴾، حصر للحياة فيه تعالى، فهي فيه عزٌّ وجلّ حقيقة ذاتية، لا أن تكون إضافية))<sup>(٢)</sup>.

وهنا وجّه المفسّران أسلوب القصر في هذه الآية المباركة على أنه قصر حقيقي لا إضافي. فضلاً عن ذلك استعمالهما لمصطلحي (القصر) و(الحصر) تتأبواً في الدلالة عن اللون البلاغيّ الواحد.

ومما يجدر بنا أن نشير إليه في هذا المقام، هو أنّ القصر الحقيقي ما يختص بصفات الله سبحانه وتعالى في الأعمّ الأغلب<sup>(٣)</sup>.

ومن موارد التشابه الآخر، ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، قال السيّد الطباطبائي في (( قوله: ﴿عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ أي: أولّ جماعتنا من الأمة وآخر من يلحق بهم - على ما يدل عليه السياق - فإنّ العيد من العود ولا يكون عيداً إلّا إذا عاد حيناً بعد حين، وفي الخلف بعد السلف من غير تحديد. وهذا العيد ممّا اختص به قوم عيسى (عليه السلام)، كما اختصوا بنوع هذه الآية النازلة ..))<sup>(٥)</sup>. وتطابق توجيه السيّد السبزواري لأسلوب القصر بالتقديم في هذه الآية الشريفة مع توجيه السيّد الطباطبائي<sup>(٦)</sup> إلّا في عبارته: ((وهذا يفيد الحصر والاختصاص بهم، كما أنّ الآية أيضاً مختصة بقوم عيسى (عليه السلام))<sup>(٧)</sup>. فضلاً عن أنّ السيّد الطباطبائي قد استعمل مصطلح (الاختصاص) فقط في الدلالة على القصر بالتقديم الوارد في الآية الشريفة. في حين استعمل السيّد السبزواري مصطلحي (الحصر والاختصاص) معاً، وهذا كله مستفاد من دلالة السياق أو مقتضى المقام.

(١) مواهب الرحمن: ٢٥٤ / ٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٥٥ / ٤.

(٣) ينظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ٢٦٥.

(٤) سورة المائدة/ الآية ١١٤.

(٥) الميزان: ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٦) ينظر: مواهب الرحمن: ٤١٧ / ١٢.

(٧) المصدر نفسه، وللإطلاع على موارد القصر المشتركة الآخر بين المفسرين، ينظر: (القصر ب) (النفي والاستثناء): سورة النساء/ الآية ١١٧، الميزان: ٨٥/٥، ومواهب الرحمن: ٣٠٤ / ٩)) و ((القصر ب) (إنّما) للأفراد واحتمال أن يكون لقصر القلب: سورة المائدة/ الآية ٥٥، الميزان: ١٥ / ٦، ومواهب الرحمن: ٤٠١ / ١١)) وغيرها.

ويبدو لي أنّ توجيه السيّد السبزواري لأسلوب القصر في هذه الآية الكريمة ينطوي على نكتتين، الأولى: تتجسد في أنّ السيّد السبزواري يعدُّ مصطلحي (الحصر) و(الاختصاص) معبرين عن أسلوب القصر. وأمّا النكتة الثانية فهي تتمثل في تناغمه مع ما نقله السيوطي في كتابه ( معترك الأقران في إعجاز القرآن) عن أحد البلاغيين في التفريق دلاليّاً بين مصطلحي (الحصر) و(الاختصاص): المستعملين في أسلوب القصر، فقد قال السيوطي: (( والفرق بينهما، أنّ الحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور. والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه، وبيان ذلك أنّ الاختصاص افتعال من الخصوص: والخصوص مركب من شيئين: أحدهما عام مشترك بين شيئين أو أشياء. والثاني معنى مُنضمٌ إليه يفصله عن غيره، كضرب زيد، فإنه اخصّ من مطلق الضرب))<sup>(١)</sup>.

ومن هنا نلاحظ سعة اطلاع السيّد السبزواري في أصوله المعرفية لإبانة الدلالة وكشف المعنى.

أمّا موارد التفرد عند المفسرين فما أثبتته السيّد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، في أسلوب القصر الذي أفاد معنى (بيان الكمال)، والمقصود به في المقام بيان كمال البرِّ والصدق للذين يعدّان من مقدمات التقوى ومتمماتها<sup>(٣)</sup>.

ويتجلّى لنا ممّا تقدّم أنّ السيّد الجليلين قد عرضا إلى أغلب طرائق القصر، وبيّنا أغراضه ومعانيه اتفاقاً واختلافاً في المواطن التي جاء فيها بما ينسجم مع مقتضى السياق القرآني والدلالة القرابية.

(١) معترك الأقران: ١ / ١٤٤.

(٢) سورة البقرة/ الآية ١٧٧.

(٣) ينظر: الميزان: ١ / ٤٣٠. وقد وجه ابن عاشور الحصر في الآية المباركة على أنّه قد أفاد معنى (المبالغة)، ينظر للموازنة: تفسير التحرير والتنوير: ٢ / ١٣٢.

## المبحث السابع:

## ((الإيجاز والإطناب))

## ❖ الإيجاز:

يحتل الإيجاز الموقع الأهم من مباحث علم المعاني. وهو يعدُّ اللون البلاغيّ الوحيد القادر على توصيل المعاني مباشرةً إلى المتلقين، بأقل الكلمات، وأقصر العبارات، ولذا عرفه الرّماني (ت ٣٨٦ هـ) بأنه: ((البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ))<sup>(١)</sup>.

وقد درس الخطيب القزويني الإيجاز وقسمه قسمين: الأول إيجاز القصر ((وهو ما ليس بحذف، فإنّ معناه كثير، ولفظه يسير ولا حذف فيه))<sup>(٢)</sup>. والثاني إيجاز الحذف<sup>(٣)</sup>. وهذا الأخير قد أفرده الشيخ النّحرير عبد القاهر الجرجاني في (كتاب دلائل الإعجاز) بباب خاص وصفه بأنه: ((دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهة بالسّحر، فإنك ترى به تركّ الذّكر، أفصح من الذكر، والصمّت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تتنطق، وأنمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن))<sup>(٤)</sup>.

واشترط يحيى العلوي أن يكون الحذف فيه ممّا لا يخل بالمعنى، ولا يجتزئ من البلاغة، بقوله: ((اعلم أنّ مدار الإيجاز على الحذف، لأنّ موضوعه على الاختصار، وذلك إنّما يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة))<sup>(٥)</sup>.

ويبقى المقصود بالحذف هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ أقل منها، بحذف شيء من التّركيب، بشرط أن يقوم دليل على المحذوف، للحفاظ على عدم الإخلال بتلك المعاني<sup>(٦)</sup>.

(١) النّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/ ص ٨٠.

(٢) التلخيص/ ص ٢١٤، وينظر: الحذف البلاغيّ في القرآن الكريم/ ص ١٤.

(٣) ينظر: التلخيص/ ص ٢١٦.

(٤) كتاب دلائل الإعجاز/ ص ١٤٦.

(٥) الطراز: ٥١ / ٢.

(٦) ينظر: المساواة وقضية الأداء في البلاغة العربيّة (بحث)/ ص ٥٧.

وعرض العالمان المفسران إلى الإيجاز بالقصر، والإيجاز بالحذف في تفسيريهما، ولكنهما في الوقت نفسه قد أوليا الإيجاز بالحذف عناية فائقة تكاد أن تغطي على عنايتهما بإيجاز القصر.

وسنحاول الوقوف عند كل من الضربين؛ وذلك بإيراد الشواهد القرآنية، وبما ينسجم مع منهجة البحث.

ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكِمُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ...﴾<sup>(١)</sup>، المح السيد الطباطبائي في تحليله النصي للآية الشريفة في قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾، إلى حذف المفعول به، مبرهنًا على هذا الحذف بقريضة معنوية، تتمثل بأنّ النعمة إذا أطلقت في عرف القرآن الكريم يراد بها الولاية الإلهية، فقال: ((ظاهر السياق أنّ المراد بالمخافة مخافة الله سبحانه، وأن هناك رجالاً كانوا يخافون الله أن يعصوا أمره وأمر نبيه، ومنهم هذان الرجلان اللذان قالوا ما قالوا، وأنهما كانا يختصان من بين أولئك الذين يخافون بأن الله أنعم عليهما، ... وأن النعمة إذا أطلقت في عرف القرآن يراد بها الولاية الإلهية، فهما كانا من أولياء الله تعالى، وهذا في نفسه قريضة على أنّ المراد بالمخافة مخافة الله سبحانه، فإنّ أولياء الله لا يخشون غيره))<sup>(٢)</sup>.

واتخذ السيد الطباطبائي من دلالة السياق آية ناجعة في تحديد اللون البلاغي في للآية الكريمة. علاوة على أنه قد عمد إلى التعليل، والاستدلال بالقريضة، ألا وهو النعمة التي يراد بها الطاعة، والتسليم لله عزّ وجلّ، وصولاً إلى دلالة الحذف المقصودة، وبذا فتحليل السيد الطباطبائي الوارد هنا يعتمد بالأساس على ذكاء المتلقي وفطنته.

أمّا السيد السبزواري فقد صرح بحذف المفعول به في المقام، وهو اسم الجلالة، فضلاً عن ذكر الأغراض أو الدواعي من وراء هذا الحذف، قال: ((يدلّ السياق على أنّ

(١) سورة المائدة/ الآية ٢٣.

(٢) الميزان: ٥ / ٢٩٦ - ٢٩٧، وينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٦ / ١٦٥.



المراد بالمخافة هي مخافة الله عزّ وجلّ، بالتحرّز عن عصيانه والإعراض عن طاعته. وقد حذف اسم الجلالة، لترتيب المهابة، وتنشيط همهم، والإرشاد بأنّ الذين يخاف منهم ليسوا كذلك، وأنّ الخوف حقيقة إنّما ينبغي أن يكون من الله تعالى. كما أن الآية الشريفة تدلّ على أنّ في القوم رجالاً كانوا يخافون الله جلّت عظمته، ويتقّونه في أحكامه المقدّسة، ومنهم هذان الرجلان))<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنّ السيّد السبزواري قد ذهب إلى التّصريح والبيان، فضلاً عن حشد الدواعي أو المعاني التي لأجلها تمّ الحذف، كترتيب المهابة، وتنشيط الهمم، والإرشاد إلى توجيه الخوف من الله وحده، لا شريك له.

وأحسب أنّ إيضاحه هو الأقرب والأنسب من حيث القصد والدلالة إلى السّياق وقرائن الأحوال.

ومن الجدير بالذكر أنّ ما أشار إليه السيّد السبزواري من أغراض أو دواعٍ لحذف المفعول به في الآية المباركة، لا يبتعد في فحواه عمّا ذكره أحد الباحثين في القصد من وراء كلّ حذف: لقوله: ((وهو بعث الفكر، وتنشيط الخيال، وإثارة (الانتباه)، ليقع السّامع على موارد الكلام، ويستنبط معناه من القرائن والأحوال))<sup>(٢)</sup>.

ومن مواطن حذف الفاعل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، السّكوت عن ذكر فاعل القضاء، وهو الله سبحانه كما يدلّ عليه قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، لإظهار الكبرياء على ما يفعله الأعظم في الإخبار عن وقوع أحكامهم، وصدور أوامرهم، وهو كثير في القرآن))<sup>(٤)</sup>.

(١) مواهب الرحمن: ١٤٩ / ١١.

(٢) خصائص التّراكيب/ ص ١٦٠.

(٣) سورة البقرة/ الآية ٢١٠.

(٤) الميزان: ١٠٦ / ٢.



فالسيد الطَّبَّاطبائي أطلق على اللون البلاغي في هذه الآية الكريمة (السكوت عن ذكر فاعل القضاء). فضلاً عن ذكره الغرض الذي أفاده هذا اللون البلاغي وهو (إظهار الكبرياء) فقط.

أما السيد السبزواري فقال في تحليله للآية الشريفة: ((قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، أي حضر زمان القضاء، وفصل الأمر، فيقضى بالحق ولا راد لقضائه، وحذف الفاعل المعلوم في المقام للتهويل وإظهار الكبرياء، كما هو كثير في المحاورات الفصيحة))<sup>(١)</sup>. وهنا سمى السيد السبزواري اللون البلاغي الوارد في هذه الآية بمصطلحه البلاغي المعروف، وهو (الحذف). علاوة على ذلك أنه ذهب إلى أن الحذف في المقام قد أفاد غرضي (التهويل وإظهار الكبرياء) معاً. وهذا ما يحتمله سياق الآية العام وقرائن الأحوال.

وما يميل إليه البحث ويرجّحه، هو ما ذهب إليه السيد السبزواري، وذلك باعتباره القريب إلى الذوق البلاغي.

أما موارد الائتلاف فقد بحث المفسران إيجاز القصر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ..﴾<sup>(٢)</sup>، إذ اعتقدا أن الآية الشريفة أبلغ آية في القرآن الكريم وأفصحها، وهي باختصارها وإيجازها، وقلة حروفها، وسلاسة لفظها، وصفاء تركيبها قد ارتقت سماء الإعجاز، لما اشتملت على فنون البلاغة والإيجاز، فهي ناسجة بين قوة الاستدلال، وجمال المعنى ولطفه. وقد أفادت حكماً لم يكن من قبل معروفاً في أسلوب رصين وعذوبة في الالفاظ<sup>(٣)</sup>. وفي هذا الصدد قال الدكتور محمد أبو موسى

(١) مواهب الرحمن: ٢٦٣ / ٣. وللاطلاع على موطن آخر تفاوت المفسران فيه بتوجيه الأغراض أو الدواعي، ينظر: ((المعطوف على المقدر الذي طوي عن ذكره (للتعظيم والتفخيم لأمره) عند الطَّبَّاطبائي، و(للتفخيم والإشعار بفوائده الجمّة) عند السبزواري: سورة الأنعام/ الآية ٥٥، الميزان: ١٠٧ / ٧، ومواهب الرحمن: ٣٥٥ / ١٣)).

(٢) سورة البقرة/ الآية ١٧٩.

(٣) ينظر: الميزان: ٤٣٤ / ١، ومواهب الرحمن: ٤٣٤ / ٢، وقارن بـ، إعجاز القرآن، للباقلاني / ص ٣٩٧، ومفتاح العلوم/ ص ٢٧٧، والطرز: ٦٨ / ٢.

عن هذه الآية الشريفة: إننا: ((نجد لها مذاقاً خاصاً، فهي تضع فائدة جامعة لمسائل القصاص، وتركيز هذا المعنى، وتكثيفه أمر ضروري، حتى يمكن شيوعه في الجماعة، فيؤدّي المقصود منه))<sup>(١)</sup>.

وهذا ما يؤكد لنا أهميّة مباحث البلاغة في قضية الإعجاز القرآني، وفي نطاق عمل المفسّر على حدّ سواء.

وفي مورد آخر للائتلاف بين المفسّرين، كان حذف الفعل إذ جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾<sup>(٢)</sup> عند المفسّرين، إذ يرى السيّد الطباطبائي في: ((قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾، مصدر بمعنى التّسبيح، وهو لا يستعمل إلّا مضافاً، وهو مفعول مطلق لفعل محذوف أي: سبحته تسبيحاً، فحذف الفعل، وأضيف المصدر الى الضمير المفعول، وأقيم مقامه، وفي الكلمة تأديب آلهي بالتنزيه فيما يذكر فيه ما لا يليق بساحة قدسه تعالى وتقدّس))<sup>(٣)</sup>.

وقد تطابق توجيه السيّد السبزواري مع ما ذهب إليه السيّد الطباطبائي في هذه الآية الكريمة من القول بحذف الفعل<sup>(٤)</sup>.

ومما تقدم فقد اجتذب المفسّران حذف الفعل في الآية الشريفة بالياتهما اللغوية، وذوقهما البلاغيّ، ومن ثمّ العبور إلى تحقيق الدلالة المقصودة، المستفادة من دلالة السياق وقرائن الأحوال، وهي تنزيه الله عزّ وجلّ عمّا لا يليق بساحة قدسه، ومقام جبروته، وعظيم مجده.

(١) الإعجاز البلاغيّ (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم) // ص ١٠٩.

(٢) سورة البقرة/ الآية ١١٦.

(٣) الميزان: ١ / ٢٥٨.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ١ / ٥٦٤، وقارن بـ، إرشاد العقل السليم: ١ / ١٨٧. وللاستزادة في الاطلاع على موارد الائتلاف الأخر بين المفسّرين من حيث إيجاز القصر وإيجاز الحذف، ينظر: ((الإيجاز بعد الإطناب: سورة البقرة/ الآية ١٣٣، الميزان: ١ / ٣٠١، ومواهب الرحمن: ٢ / ٥٧)) و((حذف حرف الجر (عن): سورة النساء/ الآية ١٢٧، الميزان: ٥ / ١٠٢، ومواهب الرحمن: ٩ / ٣٦٨)) وغيرها.

أما موارد التفرد عند المفسرين فما تناوله السيّد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾<sup>(١)</sup>، في الكشف عن بيان وإيضاح حذف مقول القول لدلالة الفعلين عليه ﴿يُقِيمُوا.. وَيُنْفِقُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

أما السيّد السبزواري فقد عرض في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٣)</sup>، إلى حذف الوصف، والمقصود به في المقام - الكثرة - الذي يتعلّق بالنساء خاصةً لدلالة ذكره في الرجال<sup>(٤)</sup>.

ونخلص ممّا تقدم، أنّ دراسة المفسرين للإيجاز - بقسميه - قد شملت أغلب مباحثه، وجلّ مطالبه: في فضاءات تفسيرهما، إذ ألف عندهما ((ضرباً من ضروب الأداء، له سماته الخاصة، التي يفارق بها طرائق الأداء الأخر، ولكنه يشاركها جميعاً في أنه لا يضيع حق المعنى، فالإيجاز يحسن حين لا يقع إخلال بالمعنى، وحيث لا يؤدي الاختصار إلى تعقيد المعنى وغموضه على المتلقّي))<sup>(٥)</sup>. وهذا ما تتبغيه البلاغة أداءً وهدفًا، وتنشده غايةً ومتعةً.

(١) سورة إبراهيم/ الآية ٣١.

(٢) ينظر: الميزان: ٥٦/١٢. وهذا المعنى الذي أشار إليه السيّد الطّباطبائي يتفق مع ما ذكره الزّمخشري، ينظر للموازنة: تفسير الكشاف: ٥٣٤ / ٢ - ٥٣٥.

(٣) سورة النساء/ الآية ١.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن ٢٣٣/٧. وقريب من هذا المعنى، يرى بعض العلماء أن حذف الوصف من النساء للاكتفاء بذكره أوّلاً مع الرجال، ينظر للموازنة: غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٢٧٩/١، وإرشاد العقل السليم: ٩٣/٢.

(٥) المساواة وقضية الأداء في البلاغة العربيّة (بحث) / ص ٦٢.

## ❖ الإطناب:

يعدُّ الإطناب من الألوان البلاغية الرَّاسخة في علم المعاني، لما له من قيمة تفصيلية، ووظيفة تعبيرية، فهو لا يقلُّ شأنًا عن الإيجاز (( فكما تحتاج البلاغة في الكلام إلى الإيجاز، فإنها تحتاج إلى الإطناب، فليس الإطناب من منافيات البلاغة، ولا الإيجاز وحده أساس البلاغة، فوضع الألفاظ في موضعها المناسب بحسب مقتضيات الخطاب هو البلاغة))<sup>(١)</sup>.

وقد عرفه ابن الأثير بقوله: ((هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة))<sup>(٢)</sup>. ويكتفي البحث بهذا التعريف، لكونه الأنسب إلى الإطناب.

وقد أشار المفسران إلى مواطن الإطناب في تفسيريهما. فضلاً عن ذكرهما أغلب الأحيان لمعانيه أو أغراضه التي أفاض بها النصّ القرآني.

من ذلك سرد القرآن العظيم لقصة عيسى (عليه السلام) إذ قال عزّ من قائل في شأنه: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالتَّانِجِيلَ﴾<sup>(٣)</sup>، وهنا يرى السيّد الطباطبائي أنّ: ((عطف التّوراة والإنجيل على الكتاب والحكمة مع كونهما كتابين مشتملين على الحكمة من قبيل ذكر الفرد بعد الجنس، لأهميّة في اختصاصه بالذكر))<sup>(٤)</sup>.

وهنا أسبغ السيّد الطباطبائي على توجيهه لعطف ((التّوراة والإنجيل)) على ((الكتاب والحكمة)) مسحة منطقية تجلّت مضموناتا في بيانه للون البلاغيّ، إذ وضح أنّ التّوراة والإنجيل هما من قبيل ذكر الفرد بعد الجنس. فضلاً عن ذلك أنه قد أشار إلى نكتة لطيفة جعلها مسوغاً لاستتباطه ألا وهي تكمن في أهميّة الخاص بالذكر.

(١) علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغيّ/ ص ١٠٤ - ١٠٥، وينظر: كتاب الصناعتين/ ص ٢٠٩، ٤

(٢) المثل السائر: ٢ / ٣٤٤، وينظر: النّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/ ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) سورة آل عمران/ الآية ٤٨.

(٤) الميزان: ٣ / ٢٨٨، وقارن به، التبيان في تفسير القرآن، ٢ / ٤٦٥.

أما السيد السبزواري فيستشف من هذه الآية الكريمة أن ذكر الكتاب هو: ((من قبيل ذكر العام قبل الخاص، والمجمل قبل المفصل، إعلماً بشأن الكتاب وتشبيهاً لدرجته، وبيان أهمية الخاص))<sup>(١)</sup>، وقال في موضع آخر فيما يتعلق بذكر الإنجيل: ((إنما ذكر عز وجل الإنجيل، لأنه كان موعوداً به الأنبياء (عليهم السلام) ومعلوماً لديهم))<sup>(٢)</sup>.

فالسيد السبزواري، هنا، أكثر انسجاماً في استعمال المصطلح المتعارف عليه عند أهل البلاغة، هذا أولاً، وثانياً أنه تناول العام (الكتاب) وألمح من خلال تحليله إلى الخاص (التوراة والإنجيل)، وهذا بخلاف تحليل السيد الطباطبائي السابق الذكر. وثالثاً: أنه صرح في المقام بأن العام (الكتاب) قد أفاد غرضي (الإعلام بشأنه، والتثبيت لدرجته). وكذلك لم يغفل الإشارة إلى بيان أهمية الخاص. ورابعاً: عاد السيد السبزواري إلى بعض الخاص، وهو (الإنجيل) فبين أن النكته من وراء ذكره تتجسد بأنه كان موعوداً به الأنبياء (عليهم السلام) ومعلوماً عندهم. وهذا ما يميل إليه البحث، وذلك باعتبار قرينه من مزايا التحليل البلاغي تدوّقاً وإبانة.

أما موارد التشابه بين المفسرين فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيد الطباطبائي في: ((قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾... وإن كان المؤمن المقتول من قوم بينكم، وبينهم عهد وجبت الدية وتحرير الرقبة، وقد قدم ذكر الدية تأكيداً في مراعاة جانب الميثاق))<sup>(٤)</sup>. أما السيد السبزواري فقال: ((وإن كان المؤمن المقتول من

(١) مواهب الرحمن: ٣٥٣ / ٥.

(٢) المصدر نفسه، وينظر: روح المعاني: ١٦٠ / ٢.

(٣) سورة النساء/ الآية ٩٢.

(٤) الميزان: ٤١ / ٥، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٩٧ / ٢.

الكفار الذين بينكم وبينهم عهد، فعلى القاتل الدية والكفارة ... وإنما أفردته بالذكر تأكيداً لمراعاة العهود والمواثيق))<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: ((وإنما قدم تعالى هنا الدية على الكفارة ... مراعاة لحقوق الذمة والميثاق))<sup>(٢)</sup>.

وبذلك اتفق المفسران العالمان في توجيهيهما لدلالة تقديم ذكر (الدية) في الآية الشريفة بلحاظ أنها أفادت لمعنى (التأكيد)، مراعاة لجانب العهود والمواثيق بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة.

ومن الموارد الأخر للتشابه كان في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَالُوا أَتُلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي: حرم الله قتلها أو حرّمها بالحرمة المشرعة لها التي تقيها وتحميها من الضيعة في دم أو حق، قيل: إنه تعالى أعاد ذكر القتل، وإن كان داخلاً في الفواحش تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره))<sup>(٤)</sup>، وأكد السيّد السبزواري المعنى نفسه في الآية المباركة بقوله: (( وهذا الحكم وإن كان داخلاً في الفواحش التي نهى الله سبحانه اقترابها، فيحرم من هذه الجهة، فيكون تخصيصه بالذكر تعظيماً لأمره، وتفخيماً لشأنه، فإنّ في استباحه القتل إبطالاً للأمن والاستقرار اللذين يقوم بهما نظام الاجتماع))<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أنّ السيّد الجليلين قد ارتشفا من إعادة أو تخصيص (القتل) بالذكر في هذه الآية الكريمة، على أنه أفاد غرضي (التعظيم والتفخيم). وأحسب أنّ توجيهيهما كان بقصد

(١) مواهب الرحمن: ١٥٥ / ٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة الأنعام/ الآية ١٥١.

(٤) الميزان: ٣٨٧ / ٧ - ٣٨٨.

(٥) مواهب الرحمن: ٤٥٣ / ١٤.

بثّ الرّادع التّشريعي الكافي عند المتلقّي، ليمتنع من الإقدام على القتل الباطل، ذلك القتل الذي تكون من أهم نتائجه خلق تصدّعات كبيرة في بنيات أمن واستقرار المجتمع الإنساني.

ويتجلى لنا ممّا تقدّم أنّ المفسّرين قد كشفوا عن جوانب من مواطن الإطناب بألوانه ومعانيه؛ وهي تسهم في إضاءة الدلالات المكتنزة لمقاصد القرآن الكريم ذلك، وبما يناسب السّياق العام والقرائن المحتفّة.



# الفصل الثالث

مباحث البديع واستجابة المتلقي

بين الطباطبائي والسبزواري





## المدخل: البدیع والملتقى:

يعدُّ البدیع أحد علوم البلاغة العربيّة، وهو يطلق على الفنون التي تُعنى بتحسين الكلام. وقد نضج وعلا بناؤه على يد الخطيب القزويني الذي عرّفه بأنّه: ((علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة))<sup>(١)</sup>.

وقد أشار المفسران إلى معنى البدیع في اللغة<sup>(٢)</sup>، علاوةً على ذلك أنّ السيّد السبزواري قد وصف فنونه بأنها من محسنات الفصاحة والبلاغة، أو من محسنات الكلام<sup>(٣)</sup>. وأن تسمية فنونه بـ (المحسنات) لا تنال من قيمته، أو تقلل من فائدته، لأنّ الاصل في ذلك هو استيفاءه الحُسن الذي يعني الجمال، وهذا من أهم عناصر التأثير في النفس الإنسانيّة<sup>(٤)</sup>.

ويؤكد أحد الباحثين هذا المعنى بقوله: ((إنّ مسألة القول بـ(المحسنات) لا يُعدُّ حيفاً على البدیع، وليس عيباً لاصقاً به طالما هو ذاتي فيه يتوسل الباث من خلاله التأثير في المتلقّي... وحينما تتحصّل المعاني النفسية من ضرب من ضروب البدیع، وتحدث استجابة المتلقّي يكون ذلك الضرب البدیعيّ قد حقّق غرضه البلاغيّ من تمكّنه في نفس المتلقّي))<sup>(٥)</sup>. لذا فالأمر الذي لا ينبغي أن يختلف فيه هو أنّ البدیع متأّت من فيض القريحة، وعفو الخاطر، أو من السجية والفطرة، من غير تكلف واصطناع، وهذا ما نجد له تطبيقاته في القرآن الكريم، بتشكلات بديعة عالية في المضمون، ومطبوعة في الصنعة والتركيب<sup>(٦)</sup>. ويعدُّ الزمخشري من أوائل المفسرين الذين اتجهوا في دراستهم للبلاغة القرآنيّة اتجاهاً جديداً يتمثّل في استشفاف الألوان البدیعيّة، إذ أخذت بلاغة القرآن على يديه كما يقول ابن

(١) التلخيص/ ص ٣٤٧.

(٢) ينظر: الميزان: ١/ ٢٥٨، ومواهب الرحمن: ١/ ٥٦٦.

(٣) ينظر: مواهب الرحمن: ٣/ ١٥٣، والمصدر نفسه: ٥/ ١٧٤.

(٤) ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب/ ص ١١٥.

(٥) معاني التكرار النفسية لفنون البدیع في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه)/ ص ٣٣، وينظر: البدیع في

تراثنا الشعري (دراسة تحليلية) (بحث)/ ص ٨٠.

(٦) ينظر: البلاغة في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق/ ص ١٤٣.

أبي الأصبع المصري: ((شكلاً جديداً هو بيان اشتمال القرآن على الأنواع البديعية))<sup>(١)</sup>. تأكيداً على أن هذه الألوان البديعية ما جاءت لمناسبة لفظية مرغوبة، ولا لعلية حسية مطلوبة، ولا لعرض يستغنى عنه، بل تُظهر أن البديع أصل وفنّ، إذ يختل المعنى بزواله، ويتأثر الأسلوب باختلاله<sup>(٢)</sup>.

أمّا المتلقي فإنه يمتلّ أحد أركان العملية الإبداعية الثلاثة، ومن هنا ولأهميته بين عناصر البنية النقدية ومكانته فإنه: ((يشكل ظاهرة من ظواهر النقد التي تدعو إلى الفحص والاستنتاج))<sup>(٣)</sup>.

ويلحظ ما هنا أن القرآن الكريم كان هو ((الرافد الأكبر للنقد العربي القديم، إذ أخذت اهتماماته بالمتلقي تظهر بصورة واضحة في نتاجات النقاد الأوائل، حتى وصل الأمر إلى مراحل متطورة بظهور المؤلفات البلاغية والنقدية))<sup>(٤)</sup>. وهذا ما نجد له صدقاً واضحاً عند المفسرين البلاغيين الذين كانوا يحرصون كثيراً على ضرورة تحديد المتلقي، وربما اختلفوا في هذا التحديد وفقاً لتحليلاتهم بين دلالة اللغة ودلالة السياق<sup>(٥)</sup>.

وتعدُّ ((الاستجابة)) قضية مهمة ترتبط بالمتلقي وآفاقه إذ إنها: ((فعل إدراكي حاسم ينقل التجربة الحسية إلى الوعي. فتصبح التجربة الحسية جزءاً من الشعور بالذات، وبهذه الطريقة نتمثلها))<sup>(٦)</sup>، إذ تعتمد هذه الاستجابة بطبيعة الحال على قوة التأثير التي يمارسها المبدع على المتلقي، وذلك من خلال إثارته مقاصد فنية وسمات أسلوبية وجمالية يكون وقعها خاصاً في نفس المتلقي ذلك ((أن نقطة الارتكاز لتمييز معنى عن معنى ... ومن ثمّ تمييز عبارة عن أخرى، هي قوة التأثير في المتلقي))<sup>(٧)</sup>. وهذا المعنى هو ما أشار إليه الشيخ عبد

(١) بديع القرآن: ٣٩ / ١.

(٢) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن/ ص ٤، ووشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية/ ص ١٥.

(٣) ينظر: نظرية التلقي أصول ... وتطبيقات/ ص ٦٢.

(٤) جماليات التلقي في السرد القرآني/ ص ٣٨١.

(٥) ينظر: اللغة والتفسير والتواصل/ ص ١٩٣.

(٦) نقد استجابة القارئ من الشكلائية إلى ما بعد النبوية/ ص ٢٣٩.

(٧) جماليات التلقي في السرد القرآني/ ص ٣١.



القاهر الجرجاني بقوله: ((لا يَكُونُ لِإِحْدَى الْعِبَارَتَيْنِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْأُخْرَى، حَتَّى يَكُونَ لَهَا فِي الْمَعْنَى تَأْثِيرٌ لَا يَكُونُ لِمُصَاحِبَتِهَا))<sup>(١)</sup>.

ويتضح لنا مما تقدم، أنّ العلاقة بين البدیع والملتقى علاقة وثيقة قوامها الإثارة والاستجابة وصولاً للبيان المقصود. أو بعبارة أخرى فهي علاقة قائمة على التآثر والتأثير. وهذا ما ستكشف عنه تحليلات المفسرين النصية لآيات الذكر الحكيم في مظان هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

(١) كتاب دلائل الإعجاز / ص ٢٥٨.

## المبحث الأول: (التكرار)

إنّ للتكرار في الكلام سمة تعبيرية راقية، ومزيّة بيانية سامية، وقيمة جمالية مؤثرة، فهو فنّ من فنون القول الأصيلة لدى العرب؛ حفل بها تراثهم الأدبي عبر عصور مختلفة<sup>(١)</sup>. ويطلق عليه التّكرير أيضاً، وفي هذا الصّدّد يقول أحمد بن فارس: ((ومن سنن العرب التّكرير والإعادة، وإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))<sup>(٢)</sup>. فهو يمثّل ((تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التّعبير، بحيث يشكل نغماً موسيقياً...))<sup>(٣)</sup>، نجد أثره في استجابة المتلقّي وتحقّق الإبلاغ.

وذهب أحد الباحثين المحدثين إلى أنّ الشيخ الجرجاني عدّ التّكرار ((من معاني النّحو التي تبثّ في النّظم الانسجام والاتساق والتّناسق))<sup>(٤)</sup>. ولأهمّيته وقيّمته في أداء المعنى واتساقه فقد ورد كثيراً في آيات القرآن الكريم، إذ خاطب الله سبحانه وتعالى العرب بما يألّفون من الأساليب، وما يدركون من فنون الكلام وطرائقه ومقاصده<sup>(٥)</sup>.

ويؤتى بالتّكرار على نحو عامّ، لتحقيق أغراض نفسيّة في الأساس، وهذا ما نجد له أمثلة كثيرة في التّراث، علماً أنّ القرآن العظيم لا يكرّر الصّورة بالألفاظ نفسها، وإنما يجري عليها أنماطاً من التّلوين والتّبيين كما في التّقديم والتّأخير، والحذف والإضافة وغيرها.. إذ يضعها في كلّ مرة في سياق مغاير للسياق الآخر، لأنّه يُعنى عند ذلك بالأسباب المعنوية أو النفسيّة وثيقة الصّلة بالمتلقّي، وتلك الأسباب هي التي جعلت التّعبير أو التّصوير يتغير بين المواضيع من قصدٍ إلى آخر<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: البلاغة العربية (البيان والبدیع) / ص ١٢٩، ومعاني التّكرار النفسية لفنون البديع في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه) / ص ١٦.

(٢) الصّاحبي في فقه اللغة / ص ٣٤١.

(٣) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب / ص ٢٣٩.

(٤) الإبداع والإتباع بين البلاغة العربيّة وعلم النّصّ (رسالة ماجستير) / ص ٥٩، وينظر: كتاب دلائل الإعجاز / ص ٨٥ - ٨٦.

(٥) ينظر: جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب / ص ٢٣٩.

(٦) ينظر: أسرار التّشابه الأسلوبي في القرآن الكريم / ص ٢٨١.

ومن هنا كان تعامل المفسرين معه خاصيةً تعبيريةً أساسيةً يرتبط بها أجزاء الخطاب بعضها ببعض، وصولاً إلى آفاق دلالاته<sup>(١)</sup>. وهذا ما سنلاحظه عند العالمين المفسرين الطَّبَّاطبائي والسبزواري من خلال تحليلاتهما للآيات القرآنية التي ورد فيها التكرار، ومنها الآتي:

فقد تناول السيّد الطَّبَّاطبائي (التكرار) في قصة عيسى (عليه السلام) في الآيات المرتبطة بشأن اصطفاء مريم (عليها السلام) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٧﴾﴾. إذ قال: ((ولما كان النداء يوجب (تلفيت) نظر المنادى (اسم مفعول)، وتوجيه فهمه نحو المنادى (اسم فاعل)، كان تكرار النداء في المقام بمنزلة أن يقال: لها: إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا نَبَأَ بَعْدِ نَبَأٍ فَاسْتَمِعِي لِهَمَّا، وَاصْغِي إِلَيْهِمَا: أَحَدُهُمَا مَا أَكْرَمَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَنْزَلَةٍ، وَهُوَ مَالِكٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَالثَّانِي مَا يَلْزِمُكَ مِنْ وَظِيْفَةِ الْعِبَادِيَّةِ بِالْمَحَاذَاةِ، وَهُوَ مَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَكَ، فَيَكُونُ هَذَا اِيْفَاءً لِلْعِبَادِيَّةِ، وَشُكْرًا لِلْمَنْزَلَةِ، فَيُؤَوَّلُ مَعْنَى الْكَلَامِ إِلَى كَوْنِ قَوْلِهِ: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي﴾ (الخ) بمنزلة التَّفْرِيعِ لِقَوْلِهِ: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ (الخ) أي: إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَاقْنُتِي، وَاسْجُدِي، وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ))<sup>(٣)</sup>.

وهنا يلقي السيّد الطَّبَّاطبائي الضوء على الأثر الذي يُوجدهُ النداء في (المنادى) من تركيز لمغزاه، وتوجيهه لفهمه، بتهيئة أجوائه المناسبة، فضلاً عن أنه يستحضر الجهة التي صدر منها هذا النداء (المنادي)، ليتحقق هذا الاتصال بإلقاء الأمر من عنده سبحانه وتعالى، ومن ثمَّ وصولاً إلى المحصلة القصدية من وراء هذا التكرار، وهي استجابة المتلقي (مريم) لأوامر الله عزّ وجل، وتحقق الإبلاغ.

(١) ينظر: لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب) // ص ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران/ الآيتان ٤٢، ٤٣.

(٣) الميزان: ٣/ ٢١٨-٢١٩، وينظر: البحث البلاغيّ في تفسير الميزان/ ص ١٧٣-١٧٤.

أمّا السيّد السبزواري فقال في تحليله للآية الشريفة: ((تكرار النداء لبيان عظمة المنادي، وللاشارة إلى تتابع النداء على مريم، وحثها على الاستماع والإصغاء، والتحبب إليها، والاهتمام بشأنها))<sup>(١)</sup>، وعندها بيّن أنّ التكرار قد أفاد أكثر من غرض: فكل واحدٍ منهم وظيفة بيانية معينة تسهم في إيضاح جزء من المعنى العام، وبتضافر تلك الأغراض مجتمعة بعضها ببعض يتمّ التوصل إلى الدلالة المقصودة.

وفي موطن آخر أشار السيّد الطباطبائي إلى التكرار، وذلك من خلال الآيات الشريفة التي بيّن الله سبحانه وتعالى فيها أنّ أهل الكتاب قد قصرُوا نظرهم على ما امتاز به كلّ دين عن غيره، وجهلوا الحقيقة المشتركة بين الأديان كافة، ألا وهي التوحيد، فادّعى كلّ واحد منهم أنّ دينه على الحقّ، وغيره على الباطل.. كما جاء في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ قال: ((وتكرار الآية مرتين، لكونهم يفرطون في هذه المحاجة التي لا تنفع لحالهم شيئاً، وخصوصاً مع علمهم بأنّ إبراهيم (عليه السلام) كان قبل اليهودية والنصرانية))<sup>(٣)</sup>.

وهذا يعني أنّ السيّد الطباطبائي قد جعل السبب في تكرار الآية الكريمة هو لتفريط أهل الكتاب في هذه المحاجة بشأن أنبياء الله ورسله (عليهم السلام). أمّا السيّد السبزواري فقال في هذه الآية نفسها: ((وإنما كرّرت تأكيداً لسوء أخلاقهم، وبيّناً لعدم اقتداء الخلف بالسلف الصالح))<sup>(٤)</sup>، وفي موطن آخر قال: ((وفي تكرارها تأكيداً أيضاً إلى ارتباط السعادة بالعمل الصالح، الذي أكدّ القرآن الكريم عليه، فكلّ يُجزى بعمله))<sup>(٥)</sup>.

(١) مواهب الرحمن: ٥ / ٣٣٤.

(٢) سورة البقرة/ الآيتان ١٣٤، ١٤١.

(٣) الميزان: ١ / ٣٠٩.

(٤) مواهب الرحمن: ٢ / ١٠٤.

(٥) المصدر نفسه، وللاستزادة في الاطلاع على مورد آخر للاختلاف بين المفسرين، ينظر للموازنة: ((التكرار باختلاف المتعلق عند الطباطبائي تصريحاً، وعند السبزواري تحليلاً: سورة الأنعام/ الآية ١٣٠، الميزان: ٧ / ٣٦٦، ومواهب الرحمن: ١٤ / ٣٩٣)).

فهنا قصر السيّد السبزواري القصد من وراء التكرار على أنه أفاد غرضي (التأكيد والبيان). علاوة على أنه استشف الارتباط الوثيق بين السعادة والعمل الصالح، وهذا المعنى يحتوي على جنبه أخلاقية لها قيمتها التربوية السامية في تهذيب النفس الإنسانية.

أما موارد التشابه بين المفسرين الجليلين فمنها: تكرار لفظ (الكتاب) ثلاث مرات، ولفظ الجلالة (الله عز وجل) ثلاث مرات أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَسْتَنَّهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((وتكرار لفظ الكتاب ثلاث مرات في الكلام لدفع اللبس، فإنّ المراد بالكتاب الأوّل: هو الذي كتبه بأيديهم، ونسبوه إلى الله سبحانه، وبالتالي: الكتاب الذي أنزله الله تعالى بالوحي، وبالتالي: هو الثاني كرر لفظه لدفع اللبس، وللاشارة إلى أنّ الكتاب بما أنه كتاب الله أرفع منزلة من أن يشتمل على مثل تلك المفتريات، وذلك لما في لفظ الجلالة في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، فالمعنى وما هو من عند الله الذي هو إله حقاً لا يقول إلا الحق، ... وأما قوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، تكذيب بعد تكذيب لنسبتهم، ما اختلقوه من الوحي إلى الله سبحانه، فإنهم كانوا يلبسون الأمر على الناس، بلحن القول، فأبطله الله بقوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، ثم كانوا يقولون بألسنتهم هو من عند الله، فكذبهم الله: أولاً بقوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وثانياً بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، وزاد في الفائدة أولاً أن الكذب من دأبهم ودينهم، وثانياً: إنّ ذلك ليس كذباً صادراً عنهم بالتباس من الأمر عليهم، بل هم عالمون به متعمدون فيه))<sup>(٢)</sup>، أمّا السيّد السبزواري في تحليله لتكرار لفظ (الكتاب) ولفظ اسم الجلالة في الآية الشريفة فقد جاء متوافقاً مع ما ذهب إليه السيّد الطباطبائي في كشفه وإبانته للطائف التي تقف خلف هذا اللون البلاغي في التعبير القرآني<sup>(٣)</sup>.

وهنا نجد أنّ العالمين المفسرين في توجيههما التكرار الذي اختص بلفظ (الكتاب) في الموضع الأوّل من الآية المباركة يرجعان فيه التحريف إلى ما كتبه بأيديهم، ونسبوه إلى الله

(١) سورة آل عمران/ الآية ٧٨.

(٢) الميزان/ ٣/ ٣٠٦.

(٣) ينظر: مواهب الرحمن: ٦/ ٨٠.



سبحانه، وهما في هذا المعنى يلتقيان مع الفخر الرازي<sup>(١)</sup>. وأمّا في الموضوع الثاني فلم يذكر المفسران الكتاب المقصود، ويبدو أنّهما اعتمدا في هذا التحليل على ذكاء المتلقي واستجابته، لأنهم يحتجون بالكتاب الذي يقصدونه، أي: التوراة الصحيحة، والى هذا المعنى ذهب الزمخشري بقوله: ((وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا، وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة))<sup>(٢)</sup>. وأمّا في الموضوع الثالث فإنّ المفسرين المبدعين قد اعتقدا أنه - أعني الكتاب - وهو مكرّر عن الثاني، أي أنّهما قصدا فيه التوراة الصحيحة غير المحرّفة، وهنا يؤكد العلامة الطبرسي مصرّحاً بالمقصود في تفسيره لقوله تعالى: (( وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ))، المنزل على موسى، ولكنهم يخترعونه ويبتدعونه))<sup>(٣)</sup>. أمّا التكرار الذي تعلق بلفظ اسم الجلالة (الله سبحانه وتعالى) في هذه الآية الشريفة فقد سخره العالمان المفسران في نزع أقنعة المحرفين، وإبراز صورتهم الحقيقية المطبوعة على الكذب والافتراء على الله عزّ وجلّ، وأنبيائه ورسله (عليهم السلام). علاوة على أنّهما قد حرصا على تقرير هذا المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي.

ومن الموارد الأخرى للتشابه بين المفسرين هو ما عرضا إليه في أثناء السرد القرآني لآيات الجهاد في سبيل نصرّة الدين الحنيف، وإعلاء كلمة الحقّ كما في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد قال السيّد الطباطبائي: ((إنّ أمثال (عسى) و(لعل) في كلامه تعالى مستعمل في معنى الترجي، وليس من الواجب قيام صفة الرجاء بنفس المتكلم، بل يكفي قيامها بالمخاطب أو بمقام التّخاطب، فالله سبحانه إنّما يقول: عسى أن يكون كذا لا لأنه يرجوه، تعالى عن ذلك، بل ليرجوه المخاطب أو السّامع. وتكرار عسى في الآية لكون المؤمنين كارهين للحرب، محبين للسلم، فأرشدهم الله سبحانه على خطئهم في الأمرين جميعاً))<sup>(٥)</sup>، أمّا السيّد السبزواري فقد حلّل هذه الآية المباركة بقوله: ((عسى) في مثل هذه الآيات إنّما أتى بها بلحاظ حال المخاطب، فيصحّ الكلام حينئذٍ من دون عناية... وإن

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١١٩ / ٨، والبحث البلاغي في تفسير الميزان/ ص ١٧٧.

(٢) تفسير الكشاف: ٣٦٩ / ١، وينظر: البحث البلاغي في تفسير الميزان/ ص ١٧٧.

(٣) مجمع البيان: ٣٢٩ / ٢، وينظر: البحث البلاغي في تفسير الميزان/ ص ١٧٧.

(٤) سورة البقرة/ الآية ٢١٦.

(٥) الميزان: ١٦٨ / ٢ - ١٦٩.



استعملت بلحاظ حال المتكلم، فلا بدّ أن تصرف عن معناها الحقيقي، لاستحالة التمني والترجي والطمع إليه جلّت عظمته. وإنما كرّر (عسى) في قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾، لأجل أنّ القتال مورد كراهة المؤمنين، والسلم مورد محبتهم. فاعلمهم سبحانه بأنهم مخطئون في الموردين<sup>(١)</sup>.

وهنا اتفق المفسران الجليلان في إيضاح مورد (عسى) في الاستعمال القرآني، فيما يرتبط بطرفي الخطاب (المتكلم والمخاطب). فضلاً عن تطابقهما في بيان المسوغات القصديّة من وراء استعمال التكرار في هذه الآية المباركة.

وفي مورد آخر تناول المفسران التكرار في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ يعتقد كلّ منهما أنّ النكتة التي وراء التكرار في الآية الشريفة تكمن في اختلاف معنى الطاعة، على الرغم من أنّ كلاً من طاعة الله عزّ وجلّ، وطاعة الرسول (ﷺ) واجبتان بالذات، فيجب اطاعتهم في كل ما يأمر به وينهون عنه، بوصفهم أنّ لهم سلطة الحاكميّة التي تطاع لذاتها، إلّا أنّه تفرق الثانية عن الأولى بأنّها مستندة إلى الله، وأنها إفاضيّة من قبله جلّ جلاله<sup>(٣)</sup>. إذ يعدّ هذا مظهراً من مظاهر إعجاز النصّ القرآني الذي تجلّى فيه القصد بأروع صورة وأقرب دليل.

أمّا موارد التّفرد عند المفسرين فما أشار إليه السيّد الطباطبائي في تفسير قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، بتكرار لفظ ((ربك))، ثلاث مرات، إذ عدّه من بديع النظم، ولطيف السّياق، وذلك لما يفيد من معنى (التأييد) للنبي الخاتم (ﷺ) تجاه خصمه، وهم المشركون<sup>(٥)</sup>.

(١) مواهب الرحمن: ٣ / ٣١٩، ٣٢٧.

(٢) سورة النساء/ الآية ٥٩.

(٣) ينظر: الميزان: ٤ / ٣٩٨، ومواهب الرحمن: ٨ / ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٤) سورة الأنعام/ الآية ١٥٨.

(٥) ينظر: الميزان: ٧ / ٤٠١. ويرى سيد قطب (ت ١٩٦٥ م) في الآية الشريفة أنّ السّياق يكرر، وهو بصدد الكلام عن الشريعة الحاكمية، وقد عدّ هذا المعنى ملحوظاً ومقصوداً لتقرير حقيقة بعينها. وهذا ما يحتمله السّياق العام للآية أيضاً، ينظر للموازنة: في ظلال القرآن: ٣ / ١٢٣٩.

أما السيد السبزواري فقد تفرد بتكرار ((الذين ظلموا)) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وهو يرى أن الدواعي من ذلك التكرار في هذا المقام إما لأجل تخصيص الرجز بالظالمين، أو تعظيماً للأمر وإظهار قبح ظلمهم<sup>(٢)</sup>.

ويظهر لنا مما تقدّم، أن التكرار عند المفسرين قد حظي بعناية متميزة واحتفاء خاص إذ تبلورت ملامح هذه العناية وذلك الاهتمام في تحليلاتهما لنصوص قرآنية، فهما لم يقتصرا على وصف شواهد فحسب، بل حاولا استكناه مؤثراته القصديّة التي يحدثها في نفس المتلقي، وصولاً إلى تحقيق الاستجابة، ومن ثمّ استجلاء معانيه وكشف دلالاته في المواطن المختلفة. ويظهر لنا هذا المنحى قيمة التكرار الحقيقية في بيان المعنى القرآني ورصد مؤثراته ...

(١) سورة البقرة/ الآية ٥٩.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن: ١ / ٣٥٤. في حين نجد أن الزمخشري يجعل الدواعي من وراء التكرار في الآية المباركة للزيادة في تقبيح أمر الظالمين، وللايدان بأنّ إنزال الرجز عليهم لظلمهم، ينظر للموازنة: تفسير الكشاف: ١ / ١٤٦.

## المبحث الثاني: (المقابلة)

تعدُّ المقابلة لوناً من الألوان البديعية ذات الوسيلة الفنية، وهي تتميز بعمق أثرها، وخصب دلالتها في البلاغة العربية<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف البلاغيون في أمرها، فمنهم من جعلها نوعاً من المطابقة، ومنهم من جعلها نوعاً مستقلاً من أنواع البديع، ولعلَّ هذا هو الأصحَّ، لأنَّ المقابلة أعمُّ من المطابقة<sup>(٢)</sup>. والطباق أو المطابقة كما هو معلوم ((الجمع بين الشيء وضده))<sup>(٣)</sup>. وعرّف السكاكي المقابلة بقوله: ((هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما))<sup>(٤)</sup>.

وفي ضوء هذا المفهوم سنبيِّن جهد المفسِّرين الطَّبَّاطبائي والسَّبزواري في الكشف عن مواطن هذا اللون البديعيِّ لاستجلاء دلالاته المقصودة، وذلك من خلال تحليلاتهما للنصِّ القرآني.

فقد ذكر السيّد الطَّبَّاطبائي المقابلة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، بقوله: ((فمعنى قوله: ﴿هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾ ((الخ)): هل تتكرون أو تكرهون منا إلّا هذا الذي تشاهدونه وهو أنا آمنا بالله وما أنزله وأنكم فاسقون؟ نظير قول القائل: هل تكره مني إلّا أني عفيف وأنت فاجر، وهل تتكر مني إلّا أني غني وأنت فقير؟ إلى غير ذلك من موارد المقابلة والازدواج فالمعنى: هل تتكرون منا إلّا أنا مؤمنون، وأن أكثركم فاسقون))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: البحث البلاغي عند العرب (تأصيل وتقييم) / ص ٢٢١.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني / ص ١٣٢، وفي البلاغة العربية علم البديع، الدكتور عبد العزيز عتيق / ص ٨٦.

(٣) كتاب الصناعتين / ص ٣٣٩.

(٤) مفتاح العلوم / ص ٤٢٤، وينظر: أنوار البديع في أنواع البديع: ١ / ٢٩٨.

(٥) سورة المائدة / الآية ٥٩.

(٦) الميزان: ٦ / ٢٨-٢٩، وينظر: مفاتيح الغيب: ١٢ / ٣٦-٣٧.

وهنا يستدل السيّد الطّباطبائي على استجلاء اللون البديعيّ بنظائر غير قرآنية أحياناً بغية الوصول إلى الدّلالة القريبة، فضلاً عن اشارته إلى المقابلة والازدواج معاً في هذه الآية الشّريفة.

أمّا السيّد السّبزواري فقد قال في تحليله للآية المباركة نفسها: ((والمقابلة بين الإيمان والفسق، لبيان بطلان النعمة ... أي: هل تتقون منّا وتكرهوننا، لأننا أهل الإيمان، وأنتم أهل الفسق))<sup>(١)</sup>.

ويعتقد السيّد السّبزواري أنّ المقابلة قد أفادت هنا غرض (بيان بطلان النعمة)، وهذا ما يوحي به السياق.

أمّا موارد الالتقاء بين العالمين المفسّرين فما صرحا به في تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد قال السيّد الطّباطبائي: ((قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم﴾ ((الخ))، نظير قوله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم﴾ ((الخ))، ... وفيه إلقاء المقابلة بين وعد الله سبحانه الواسع العليم، ووعد الشيطان، لينظر المنفقون في أمر الوعدين، ويختاروا ما هو أصلح لبالهم منهما))<sup>(٣)</sup>، أمّا السيّد السّبزواري فقال: ((وفي ذكر وعد الله بالمغفرة والفضل، مقابل وعد الشيطان بالفقر والفحشاء، إرشاد إلى اختيار الإنسان ما هو الأصلح له))<sup>(٤)</sup>.

وهنا نجد أنّ المفسّرين قد أكّدا على الأفق الواضح، والمسار الصحيح الذي ترسمه المقابلة في ذهن المتلقّي، كي يصل إلى القصد المطلوب، وهو في المقام اختيار الأصلح للإنفاق.

وكشف المفسّران أيضاً في موطن آخر عن المقابلة كما في تفسيريهما لبعض الآيات الشّريفة التي تعقب أحكام الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴿٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) مواهب الرحمن: ٤٣٧ / ١١.

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٦٨.

(٣) الميزان: ٣٩٩ / ٢.

(٤) مواهب الرحمن: ٣٧٩ - ٣٨٠ / ٤.

يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١﴾، قال السيّد الطَّبَّاطِبَائِي: ((والمقابلة بين قوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾، وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾، تُعْطِي أَنَّ أَعْمَالَ الطَّائِفَةِ الأُولَى باطلة حابطة، بخلاف الثانية كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (٤) ((٥)، وهذا المعنى أيضاً جاء في تحليل السيّد السبزواري (٦).

ومن الملاحظ أنّ المفسرين قد سَخَّرَا (المقابلة) في التمييز بين أعمال الطائفتين المذكورتين آنفاً. فضلاً عن أنهما قد اعتمدا على طريقة تفسير القرآن بالقرآن منهجاً للوصول إلى الدلالة المطلوبة.

كما أشار السيّدان الجليلان في موضع آخر إلى المقابلة، وذلك من تفسير بعض الآيات التي تقسم الناس من حيث النفاق أو الخلوص في الايمان كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٧)، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٨)، قال السيّد الطَّبَّاطِبَائِي: ((قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ ((الخ))، مقابله مع قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ ((الخ)) يفيد أنّ الوصف مقابل الوصف أي: كما أنّ المراد من قوله: ومن الناس من يعجبك، بيان أنّ هناك رجلاً معتزاً بائمه، معجباً بنفسه متظاهراً بالاصلاح، مضمراً للنفاق لا يعود منه إلى حال الدين والإنسانية إلا الفساد والهلاك، كذلك المراد من

(١) سورة البقرة/ الآيات ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) سورة الفرقان/ الآية ٢٣.

(٣) سورة الاحقاف/ الآية ٢٠.

(٤) سورة الكهف/ الآية ١٠٥.

(٥) الميزان: ٨٢ / ٢.

(٦) ينظر: مواهب الرحمن: ٣ / ١٩٠.

(٧) سورة البقرة/ الآية ٢٠٤.

(٨) سورة البقرة/ الآية ٢٠٧.

قوله: ومن الناس من يشري نفسه ((الخ))، بيان أن هناك رجلاً آخر باع نفسه من الله سبحانه لا يريد إلا ما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى، لا هوى له في نفسه، ولا اعتزاز له إلا بربه، ولا ابتغاء له إلا لمرضاة الله تعالى، فيصلح به أمر الدين والدنيا، ويحيى به الحق، ويطيب به عيش الإنسانية..))<sup>(١)</sup>، أمّا السيّد السبزواري فقال: (( قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ ((الخ))، هذا كله في الإنسان الكامل الذي ارتقى عن حضيض البهيمية إلى أوج الكمال، ويقابله أنس النفس بالماديات والرجوع إلى أقصى درجات حضيض البهيمية، الذين وصفهم سبحانه وتعالى في هذه الآية بقوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ ﴾ ((الخ))<sup>(٢)</sup>.

وهنا بين المفسران القصد من وراء المقابلة الكامنة بالآيتين الشريفتين، فضلاً عن أن السيّد السبزواري قد تبدى من تحليله ألق العرفان، وجذبات السلوك والإيمان، وهذا جزء واع من منهجه في بعض لمساته البلاغية.

أمّا موارد التفرد بينهما فما تناوله السيّد الطباطبائي في المقابلة التي تفيد معنى (التقرير) بين من آمن وعمل صالحاً، وبين من لم يكن كذلك سواء أكان غير مؤمن أو مؤمناً غير صالح؟<sup>(٣)</sup>، نقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

ونلاحظ مما تقدم، أن المفسرين قد عدا المقابلة نوعاً مستقلاً من الأنواع البديعية، علاوة على أنها مشتملة على بعض أنواع الطباق، وهذا ما تجلّى واضحاً في إجراءاتهما التطبيقية. وعندها كانت بلاغة المقابلة في تحليليهما تتمثل في (( أنها سبب من أسباب وفاء المعنى وتمام الغرض))<sup>(٥)</sup>؛ وذلك لما لها من قدرة تأثيرية في المتلقي من خلال عرض الصور المتماثلة أو المتضادة وصولاً إلى كشف المعنى المراد.

(١) الميزان: ١٠٠-٩٩ / ٢.

(٢) مواهب الرحمن: ٢٤٨ - ٢٤٩ / ٣. وللاطلاع على موضع آخر للالتقاء بين المفسرين، ينظر: ((سورة المائدة/ الآية ٨٩، الميزان: ١١٠ / ٦، ومواهب الرحمن: ١٢ / ١٧٠)).

(٣) ينظر: الميزان: ١٩٧-١٩٨ / ١٧. ويبدو أن السيّد الطباطبائي قد تابع الفخر الرازي في بيان معنى (التقرير)، ينظر للموازنة: مفاتيح الغيب: ٢٦ / ٢٠١.

(٤) سورة ص/ الآية ٢٨.

(٥) البديع في ضوء أساليب القرآن/ ص ٣٦.

## المبحث الثالث:

## ((الالتفات))

يمثل الالتفات فناً بلاغياً تتجلى خاصيته التعبيرية من طاقته الإيحائية الممتدة بناءً وقصداً أو انتقالاً وعدولاً<sup>(١)</sup>. فهو عند ابن الأثير ((الانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماضٍ))<sup>(٢)</sup>. وعرفه يحيى العلوي بقوله: ((هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب مخالف للأول))<sup>(٣)</sup>. فهو - إذن - ((خطاب التلؤن))<sup>(٤)</sup>.

ويعدّ الزمخشري أول من عني ببيان قيمته التعبيرية وآفاقه الجمالية في القرن السادس للهجرة، وقد سايره فيما بعد كثير من البلاغيين أمثال السكاكي والقزويني والعلوي وغيرهم<sup>(٥)</sup>.

ويعتقد الدكتور حسن طبل: - أن رأي الزمخشري يشتمل على فئتين - فيقول: ((ومؤدى رأيه في ذلك أن الالتفات يحقق فئتين: أحدهما عامة - في كل صورة - وهي إمتاع المتلقي وجذب (انتباهه) بتلك النتوءات أو التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير، والأخرى تتمثل فيما تشعه كل صورة من تلك الصور - في موقعها من السياق الذي ترد فيه - من إحياءات ودلالات خاصة))<sup>(٦)</sup>، وفي هذا الصدد يقول الزمخشري: ((لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وقد تختصّ مواقعها بفوائد))<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: البلاغة والأسلوبية/ ص ٢٧٦.

(٢) المثل السائر: ١٦٧/٢ - ١٦٨.

(٣) الطراز: ٧١/٢.

(٤) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع/ ص ٤٤٢.

(٥) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري/ ص ٣٧٠، وأسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية / ص ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٦.

(٦) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية/ ص ٢٦.

(٧) تفسير الكشاف: ٢٤/١.



ومما تجدر الإشارة إليه أنّ السيّد السبزواري قد اعتنى بهذا المبحث عناية خاصّة، وذكر معظم ما يدور حوله على المستوى النظري، وعرّفه بقوله: ((هو أسلوب كلامي يظهر غالباً في كلام العظماء والملوك عند تكلمهم في موضع واحد عن قضايا كثيرة، على حسب سعة نفوذ أمرهم وسلطانهم، فينتقلون من الحاضر إلى الماضي، أو إلى المستقبل أو إلى الأمر والنهي وقضايا متعددة، فهو يدلّ على كثرة كلام المتكلم وسعة مقصده))<sup>(١)</sup>. علاوةً على ذلك، فقد أشار في موضع آخر إلى أنّه من بديع الكلام، إذ قال: ((فهو من محاسن الكلام وبدائعه))<sup>(٢)</sup>. ولهذه النكته وغيرها - خاصة فيما يتعلق بالجانب الصوتي - يمكن تناوله من ضمن مباحث علم البديع.

ولأهميّة الالتفات في إعطاء فضاء النصّ زخماً إيحائياً، فإننا نجده كثيراً ما يتكرر في نصوص القرآن الكريم، ممّا أشار للعالمين المفسّرين أن يعتنوا به في تفسيريهما للكشف عن معانيه الثرّة ومقاصده الدالّة في بنية النصّ، إذ تجلّت دلالاته متحقّقة من وراء استعماله في السياق الذي يرد فيه. ومن ذلك نلحظ الآتي:

كشف السيّد الطّباطبائي عن الالتفات من الغيبة إلى التكلم للدلالة على كمال الاهتمام والاقتراب والتعيين في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣)</sup>، فقال: ((قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾، تذكرة بأنّ الأعمال غير غائبة عنه تعالى، ودعوة إلى التقوى، لئلا يفقد المشتغل بطاعة الله روح الحضور ومعنى العمل، وهذا دأب القرآن يبين أصول المعارف ويقصّ القصص ويذكر الشرائع ويشفع البيان في جميعها بالعظة والوصية، لئلا يفارق العلم والعمل، فإنّ العلم من غير عمل

(١) مواهب الرحمن: ٢ / ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة البقرة/ الآية ١٩٧.



لا قيمة له في الاسلام، ولذلك ختم هذه الدعوة بقوله: ﴿وَأَتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، بالعدول من الغيبة إلى التكلم الذي يدلّ على كمال الاهتمام والاقتراب والتعین))<sup>(١)</sup>.

وهنا وضّح السيّد الطّباطبائي الالتفات لإثارة المتلقّي، ومن ثمّ تحقيق القصد العبادي والتربوي من وراء تشريع الحج.

أمّا السيّد السبزواري فقد قال في توجيهه نمط هذا الالتفات وجدوى إرادته: بأنّه ((التفات من الغيبة إلى الخطاب والتكلم، لبيان كمال العطف والاهتمام، والاقتراب إلى المتعبدين، وفيه من الترغيب إلى فعل الخير))<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأغراض أو المعاني التي أبان عنها السيّد السبزواري هي ما أوما بها سياق الآية العام، لتوكّد في الوقت نفسه على أنّ بلاغة الالتفات تتجسّد بالدرجة الأساس فيما يتحقّق من بلوغ القصد في نفس المتلقّي، فضلاً عن الإقتصاد والإيجاز في العبارة التي تختزل معاني كثيرة<sup>(٣)</sup>.

وأشار السيّد الطّباطبائي في موضع آخر إلى نمط التّفات من الخطاب إلى الغيبة، وذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾<sup>(٤)</sup>، إذ قال: ((وأما الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾، فلأنّ هذا الميعاد لا يختصّ بهم، بل يعمّمهم وغيرهم، فكان الأولى تبديل قولهم: ربنا إلى لفظة الجلالة (الله)، لأنّ حكم الألوهية عام شامل لكلّ شيء))<sup>(٥)</sup>.

وهنا يذهب السيّد الطّباطبائي إلى أنّ النكته في الالتفات من الخطاب إلى الغيبة تكمن في عموميّة الميعاد الذي يرتبط بالأصل، بحكم الألوهية العام والشامل.

(١) الميزان: ٨٠ / ٢.

(٢) مواهب الرحمن: ٣ / ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٨٠ / ١.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ٩.

(٥) الميزان: ٣ / ٣٦، وينظر: البرهان في توجيه مُتَشَابِه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان/ ص ٨٨.

أما السيد السبزواري فقال في تحليله للآية الكريمة: ((قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ))، عدول من الضمير إلى الظاهر، للتنبيه على استحالة خلف الوعد بالنسبة إليه جلّ شأنه، لكماله تعالى وقديسيته، وأن الميعاد عام لا يختصّ بقوم وطائفة، والآية المباركة بمنزلة التعليل في تحقق المعاد، وعدم الريب فيه))<sup>(١)</sup>.

وهنا يعتقد السيد السبزواري أنّ الالتفات من الضمير إلى الظاهر، لإفادة معنى (التنبيه على استحالة خلف الوعد بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى). فضلاً عن ذلك أنه استشف من خلال هذا الالتفات تحقق مسألة عقائدية في غاية الأهمية ألا وهي المعاد. وهذا بما يتناسب مع دلالة السياق.

وذكر السيد الطباطبائي في موطن آخر: الالتفات عن خطاب المؤمنين إلى خطاب الرسول (ﷺ) وهو يفيد غرض (التلويح): الذي هو من الاغراض والمقاصد التي يخرج اليها الالتفات، وقد صرح به السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٥٠﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢﴾، إذ قال في ((ذلك)) الأولى: ((وفي الآية من حيث اشتمالها على قوله: ﴿ذلك﴾ التفات عن خطاب المؤمنين إلى خطاب رسول الله (ﷺ) تلويحاً إلى أنّ من فعل ذلك منهم - وهم نفس واحدة والنفس الواحدة لا ينبغي لها أن تريد هلاك نفسها - فليس من المؤمنين، فلا يخاطب في مجازاته المؤمنين، وإنما يخاطب فيها الرسول (ﷺ) المخاطب في شأن المؤمنين وغيرهم، ولذلك بُني الكلام على العموم فقيل: ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نُصليهِ، ولم يقل: ومن يفعل ذلك منكم))<sup>(٣)</sup>.

(١) مواهب الرحمن: ٩١ / ٥.

(٢) سورة النساء/ الآيتان ٢٩، ٣٠.

(٣) الميزان: ٣٢٧ / ٤ - ٣٢٨.

وهنا يبيّن السيّد الطّباطبائي الغرض من الالتفات وهو (التلويح). فضلاً عن ذلك أنه أشار إلى نكتة في منتهى الكمال والروعة تتمثل في بيان مقام الرسول الأكرم محمد (ﷺ) باعتباره واسطة الفيض ورحمة السّماء.

أمّا السيّد السبزواري فذهب إلى أنّ الالتفات في هذه الآية الشريفة يفيد غرض (الإيماء): والإيماء هو من الأغراض التي يخرج إليها الالتفات. إذ قال في هذا المعنى: ((وفي الآية المباركة التفات عن خطاب المؤمنين، إيماءً إلى أنّ من فعل ذلك منهم فليس من المؤمنين، فلا يخاطب المؤمنون بفعله، وهم كنفس واحدة، وإنما يخاطب الرسول (ﷺ) الذي هو وليّ المؤمنين، والمأمور فيهم بإجراء أحكام الله تعالى، وعلى ذلك ينزل عموم الخطاب))<sup>(١)</sup>.

وهنا يشير السيّد السبزواري إلى أنّ الالتفات قد افاد غرض (الإيماء). فضلاً عن ذلك أنه حصر مخاطبة الرسول (ﷺ) في شأن المؤمنين من دون غيرهم. أمّا موارد التشابه بين المفسرين فما عرض إليه العالمان المفسران في الالتفات من الغيبة إلى التّكلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((وقد التفت في هذه الآية من الغيبة إلى التّكلم، ليختصّ النبي (ﷺ)، ببيان هذه الحقيقة فإنهم غير لائقين بتلقيها))<sup>(٣)</sup>.

أمّا السيّد السبزواري فقد قال في هذا المعنى أيضاً: ((والالتفات من الغيبة إلى التّكلم، لإلقاء هذه الحقيقة إلى النبي (ﷺ)، إنّما هو لبعدهم عن تلقّي الحقائق))<sup>(٤)</sup>. وأكد المفسران في تحليليهما للالتفات في هذه الآية الشريفة على وجود المتلقّي الواعي والمتفاعل لتحقيق المحصلة القصديّة من وراء هذا اللون البديعيّ.

(١) مواهب الرحمن: ٨ / ١٢١. وللاستزادة في الاطلاع على مورد آخر للاختلاف بين المفسرين، ينظر: (الالتفات (لظهور النكتة للمتأمل) عند الطّباطبائي، و(لغرضي التّوبيخ والتّقريع) عند السبزواري: سورة آل عمران/ الآية ١٠٦، الميزان: ٣ / ٤٣١، ومواهب الرحمن: ٦ / ٢١٧).

(٢) سورة الانعام/ الآية ١٢٩.

(٣) الميزان: ٧ / ٣٦٥.

(٤) مواهب الرحمن: ١٤ / ٣٩٠.

كما أدرك المفسران في موطن آخر أنّ الالتفات من خطاب الجمع إلى خطاب المفرد ثمّ إلى الجمع ثمّ إلى المفرد قد جاء لإفادة غرض (تنبيهية المخاطب): إذ يعد هذا الغرض من الأغراض التي تستفاد من الالتفات. وقد أشار إليه المفسران في تفسير قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمِاسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((وفي الآية التفات عن خطاب الجمع في قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾، وقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، إلى خطاب المفرد في قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، ثمّ إلى الجمع في قوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ ثمّ إلى المفرد في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، فيفيد تنشيط ذهن المخاطب، وتنبيهه للتيقظ، ورفع الكسل في الإصغاء))<sup>(٢)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقال: ((التفات عن خطاب الجمع الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾<sup>(٣)</sup>، إلى خطاب المفرد بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، ثمّ إلى الجمع بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾، ثمّ إلى المفرد في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، كل ذلك لتنبيه المخاطب ورفع الكسل في الإصغاء، وتنشيط الذهن، ليستعدّ لسماع الحكم من غير ملل))<sup>(٤)</sup>.

وقد صرّح الخطيب القزويني بهذا الغرض أيضاً في أثناء دراسته للالتفات. علاوة على أنّه قد أرجع النكته فيه إلى المخاطب نفسه، إذ إنّ اعتقد هو الأولى بالقصد<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة البقرة/ الآية ٢٢٩.

(٢) الميزان: ٢ / ٢٣٩.

(٣) وردت هذه الآية خطأً في التطبيق عند صاحب المواهب والصحيح قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾.

(٤) مواهب الرحمن: ١٧ / ٤. وللاطلاع على مورد آخر للتشابه بين المفسرين، ينظر: ((الالتفات من الغيبة إلى الحضور: سورة الفاتحة/ الآية ٤، الميزان: ١ / ٢٣، ومواهب الرحمن: ١ / ٤٤)).

(٥) ينظر: التلخيص/ ص ٩٧ - ٩٨.

وهذا يعني أنّ العالمين المفسّرين قد عدا الالتفات في الآية الكريمة أحد العناصر المهمة والفاعلة في استجابة المتلقّي للخطاب القرآني. وهو كذلك.

وننوصل ممّا تقدّم إلى أنّ المفسّرين لم يكتفيا في تحليلاتهما للالتفات في بيان انواعه المختلفة فحسب، بل ذهبوا بتأمّل إلى إيضاح معانيه أو أغراضه المستفادّة في أغلب المواطن التي ورد فيها، وذلك بما يلاءم المقتضى البياني العام للنصّ القرآني.

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أنّ المفسّرين قد اختلفوا أيضاً في استنباط بعض أغراض الالتفات التي قد تستفاد منه، وهذا دليل - فيما يبدو - على قدرتهما الفدّة في استخلاص الدلالات من فيض القرآن الكريم، وبما ينسجم مع السيّاق وقرائن الأحوال.

## المبحث الرابع: (المبالغة)

إنَّ للمبالغة إبانةً ومزيةً لتحقق الفهم والاستجابة، إذ يُؤتى بها لمعانٍ جليلة لا يمكن دفعها، ولولا أنَّها في أعلى مراتب فن القول لما جاء النصُّ القرآني ملاحظاً لها في أحوال كثيرة، وقد جاءت فيه على وجوه مختلفة ومقاصد هادفة<sup>(١)</sup>.

وقد عرفها أبو هلال العسكري بقوله هي: ((أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه أدنى منازلها، وأقرب مراتبه))<sup>(٢)</sup>. وعدّها الخطيب القزويني من محاسن الكلام وبدائعه، وقال في تعريفها هي: ((أن يدعى لوصفٍ في الشدة أو الضعف حدًّا مستحيلًا أو مستبعدًا، لئلا يُظنَّ أنه غير متناهٍ فيه))<sup>(٣)</sup>. ويرى أحد الباحثين أنها تبعث في النفس الدهشة والمتعة في آن واحد<sup>(٤)</sup>.

لذا نحسب أنَّ السيّد السبزواري قد استشعر قيمتها الجمالية العالية، فعدها من أحسن الأساليب البلاغية<sup>(٥)</sup>.

ولم يقف المفسران عند بيان المبالغة في أغلب الأحيان فحسب، بل أشارا إلى الفوائد والأغراض التي تستفاد منها ضمن السياق القرآني. من ذلك نلحظ الآتي:

يرى السيّد الطباطبائي أنَّ زيادة الألف والنون في قوله تعالى: ﴿رَبَانِيْنَ﴾، تفيد الدلالة على التّفخيم، ذلك أنه جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، فقال: ((الرباني منسوب إلى الربّ، زيد عليه الألف والنون للدلالة على

(١) ينظر: الطراز: ٦٤/٣، وفن البديع/ ص ٨٤.

(٢) كتاب الصناعتين/ ص ٤٠٣.

(٣) التلخيص/ ص ٣٧٠، وينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن/ ص ٦٤.

(٤) ينظر: المبالغة في البلاغة العربية (تاريخها- مصادرها)/ ص ١٥٦، والمباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن/ ص ٢٢٥.

(٥) ينظر: مواهب الرحمن: ٥/ ٣٨١، ٧/ ٤٠٢.

(٦) سورة آل عمران/ الآية ٧٩.

التّفخيم، كما يُقال لحياني لكثير اللحية، ونحو ذلك، فمعنى الرّبّاني شديد الاختصاص بالرّبّ وكثير الاشتغال بعبوديته وعبادته))<sup>(١)</sup>.

واستشف السيّد الطّباطبائي دلالة التّفخيم من خلال زيادة الألف والنون في قوله ﴿رَبَانِيَّيْنَ﴾، من دون أن يسمّي المصطلح البلاغيّ، وهذه الطريقة شائعة متداولة عند المفسّرين في كثير من تحليلاتهم النصّية.

أمّا السيّد السّبزواري فقد قال في تحليله للآية الشريفة: ((الرّبّاني: المنسوب إلى الرّبّ، زيد الألف والنون للمبالغة في التّفخيم والتّعظيم كما يقال: رقباني، لعظيم الرقبة، ولحياني لعظيم اللحية. والمراد به التّوغلّ والتّحنك في عبادة الله تعالى، بحيث تعلق قلبه به عزّ وجلّ ولا يخطر بباله غيره...))<sup>(٢)</sup>.

وهنا يستنبط السيّد السّبزواري المبالغة التي أفادت غرضي (التّفخيم والتّعظيم) معاً، وهذا ما أفاده من السيّاق العام للآية.

وأشار السيّد الطّباطبائي في موطن آخر إلى فائدة توصيف الشيء بالوصف المأخوذ من لفظه، كما ورد ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾<sup>(٣)</sup>، فقال: ((والمقنطرة اسم مفعول مشتق من القنطار، وهو جامد، وهذا من دأبهم (يعتبرون) في الجوامد شيئاً من النسب يكسب بها معنى مصدرياً ثمّ يشتقون منه المشتقات كالباقل لبائع البقل... وفائدة توصيف الشيء بالوصف المأخوذ من لفظه تشبيبت معناه له، والتّلميح إلى أنّه واجد لمعنى لفظه غير فاقده كما يقال: دنانير مدنرة))<sup>(٤)</sup>.

وهنا يوضح السيّد الطّباطبائي الفائدة من وراء التّوصيف المتقدّم، ذلك أنّها قد كشفت عن غرضي (تشبيبت المعنى، والتّلميح إلى معنى لفظه).

(١) الميزان: ٣ / ٣١٧.

(٢) مواهب الرحمن: ٦ / ٨٩ - ٩٠.

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٤.

(٤) الميزان: ٣ / ١٢١، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٢ / ١٤٣ (الهامش).

أما السيد السبزواري فقال في تفسيره للآية المباركة: ((والمقنطرة اسم مفعول جيء به للتثبيت والتوكيد، كما هو عادة العرب في توصيف الشيء بما يشق منه للمبالغة، وتثبيت معناه له. وهذا التعبير مشعر بالكثرة والافتناء))<sup>(١)</sup>.

وهنا يعتقد السيد السبزواري أن التوصيف في الآية الشريفة قد أفاد غرضي (المبالغة، وتثبيت المعنى له). علاوة على أنه قد أسبغ على تحليله مسحة جمالية.

أما موارد الائتلاف بين المفسرين فما ذكره العالمان المفسران في أفادة الوصف (قيماً) لمعنى (المبالغة) في قيام الرسول (ﷺ) على مصالح العباد كما في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((القيم بالكسر مخفف القيام وصف به الدين للمبالغة في قيامه على مصالح العباد))<sup>(٣)</sup>. أما السيد السبزواري فقال: ((و(قيماً) مصدر، كالصغر والكبر مخفف القيام ... وهو وصف للدين، مبالغة في حسن قيامه على مصالح العباد والبلاد))<sup>(٤)</sup>.

وهنا يبين المفسران المعنى الذي أفادته المبالغة في المقام، وهو حسن تدبير الرسول الخاتم محمد (ﷺ) وقيموميته الفائقة لشؤون العباد والبلاد.

وكما أشارا في موضع آخر إلى المبالغة في الصدق كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٥)</sup>، قال السيد الطباطبائي: ((وأما الصديقون: فالذي يدل عليه لفظه هو أنه مبالغة في الصدق... فالصديق الذي لا يكذب اصلاً هو الذي لا يفعل إلا ما يراه حقاً من اتباع لهوى النفس، ولا يقول إلا ما يرى أنه حق، ولا يرى شيئاً إلا ما هو حق فهو يشاهد حقائق الأشياء، ويقول الحق، ويفعل الحق))<sup>(٦)</sup>. وفي هذا المعنى قال السيد السبزواري

(١) مواهب الرحمن: ١٣٣ / ٥.

(٢) سورة الأنعام/ الآية ١٦١.

(٣) الميزان: ٤٠٧ / ٧.

(٤) مواهب الرحمن: ٥٠٥ / ١٤، وينظر: معاني القرآن: ١ / ٣٦٧.

(٥) سورة النساء/ الآية ٦٩.

(٦) الميزان: ٤١٨ / ٤ - ٤١٩.



أيضاً: ((والصّديقين جمع الصّديق مبالغة في الصّدق، أي: الذين طابق قولهم فعلهم، وظاهرهم باطنهم، فلا يصدر منهم إلّا الحقّ اعتقاداً وقولاً وفعلًا، لصفاء سريرتهم وعدم صدور الكذب عنهم، وممارستهم الصّدق، فألهموا الصّواب، فميّزوا الحقّ عن الباطل، الخير عن الشرّ، فهم شهدوا الحقائق، فكانوا صادقين بالحقّ، فصاروا صديّقين شُهداء الحقائق والأعمال))<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ أنّ المفسّرين الجليلين قد سخّرا آلياتها البلاغيّة في استجلاء المعنى للوصول إلى الدلالة المقصودة أو القريبة.

كما عرض المفسّران في موضع آخر إلى المبالغة في القسم، وكان ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبٌ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السيّد الطّباطبائي: ((قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، الجهد بفتح الجيم الطّاقة، والأيمان جمع يمين، وهي القسم، وجهد الأيمان أي: ما تبلغه قدرتها، وهو الطّاقة، والمراد أنهم بالغوا في القسم وأكّدوا ما استطاعوا))<sup>(٣)</sup>، وقد تابعه السيّد السّبزواري في هذا المعنى، إذ قال: ((وجهد الأيمان) بمعنى الجهد وبذل الطّاقة، والمراد به المبالغة في القسم، والتأكيد عليه))<sup>(٤)</sup>.

وهنا يكشف المفسّران المعنى من خلال بوابة اللغة محاولين الإفادة من دلالة المبالغة في الآية الشريفة انسجاماً مع مقتضى السّياقي للآية.

أما موارد التّفرد عند المفسّرين فما عرض إليه السيّد الطّباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾<sup>(٥)</sup>، في مسألة إخفاء الساعة، إذ

(١) مواهب الرحمن: ٨/٩.

(٢) سورة الأنعام/ الآية ١٠٩.

(٣) الميزان: ٣٢٩ / ٧.

(٤) مواهب الرحمن: ٢٩٣ / ١٤. وللاستزادة في الاطلاع على مورد آخر للائتلاف بين المفسّرين، ينظر: ((المبالغة في العقد: سورة المائدة/ الآية ٨٩، الميزان: ١٠٩ / ٦، ومواهب الرحمن: ١٢ / ٧٦)).

(٥) سورة طه/ الآية ١٥.

عدها من المبالغة في الكتمان على عادة العرب فيما إذا أراد أحدهم المبالغة في كتمان شيء (١).

أمّا السيّد السبزواري فتناول في تفسير قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّهَا يُقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢)، المبالغة في الإبداع التي يختصُّ بها الله سبحانه وتعالى في إيجاده السَّموات والأرض بصورة مخترعة بلا مادّة، ولا آلة، ولا مكان... (٣).

ومما تقدّم، نجد أنّ المفسّرين الجليلين قد أدركا أبعاد المبالغة وقيمتها الجماليّة في النصّ القرآني، وذلك من خلال تحقق الاستجابة والإبهار والمتعة التي تبثها في نفس المتلقّي. فضلاً عن أهمّيّتها الدلاليّة في استجلاء مكامن مهمة للمعنى القرآني.

(١) ينظر: الميزان: ١٤١/١٤. وأحسب أنّ السيّد الطّباطبائي قد استشف هذا المعنى من الفخر الرازي، ينظر للموازنة: مفاتيح الغيب: ٢٢/٢٢.

(٢) سورة البقرة/ الآية ١١٧.

(٣) ينظر: مواهب الرحمن: ٥٦٦/١. وهذا المعنى هو ما ذكره الشّيخ الطّوسي (طيب الله ثراه)، ينظر للموازنة: التّبيان في تفسير القرآن: ٣٢٩ /١.

## المبحث الخامس: (الإبهام والاعتراض)

### ❖ الإبهام:

يُعدّ الإبهام فناً من الفنون البديعية التي لها قابلية التأثير في المتلقّي، وذلك لما يبثّه من إichاعات كثيرة في ذهنه، حتّى يجعله دائم التفكير والتأمّل، بغية الوصول إلى قَصْدِيّة ذلك المعنى ... وفي هذا المضمون قال يحيى العلوي: ((إنّ المعنى المقصود إذا وردَ في الكلام مبهماً فإنه يفيدُه بلاغة، ويكسبه إعجاباً وفخامةً، وذلك لأنّه إذا قرع السّمع على جهة الإبهام، فإنّ السّامع له يذهب في إبهامه كلّ مذهب))<sup>(١)</sup>.

وقد عرفه ابن أبي الأصبع المصري بقوله: ((هو أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متضادّين، لا يتميز أحدهما عن الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التّمييز فيما بعد ذلك، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصداً))<sup>(٢)</sup>.

وقد اجتهد المفسّران في تبيان هذا اللون البلاغيّ من المواطن التي وردت في نصوص الذكر الحكيم، فمن ذلك: ما ذكره السيّد الطّباطبائي في إبهام الفاعل الذي يفيد المبالغة في النصّح وهو ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، لقوله: ((وإبهام الفاعل في قوله: ﴿يُوَفِّ إِلَيْكُمْ﴾، لما تقدّم أنّ السياق سياق الدعوة فطوي ذكر الفاعل، ليكون أبلغ في النصّح وانتفاء غرض الانتفاع من الفاعل، كأنّه كلام لا متكلّم له، فلو كان هناك نفع فلسامعه (غير))<sup>(٤)</sup>.

وهنا توصل السيّد الطّباطبائي إلى القصد من هذا الإبهام في مقام الآية من خلال ما دلّ عليه سياق الدعوة للإنفاق.

(١) الطّراز: ٤٤/٢.

(٢) تحرير التّحبير/ ص ٥٩٦، وينظر: وشي الربيع بألوان البديع / ص ١٤٤.

(٣) سورة البقرة/ الآية ٢٧٢.

(٤) الميزان: ٤٠٣/٢.

أما السيّد السبزواري فقد قال في تحليله للآية المباركة: ((وإنما أبهم الفاعل في قوله تعالى: ﴿يُوفِّ﴾، لبيان أنّ الغرض من الانتفاع يعود إلى الفاعلين للإنفاق، وليس هناك فاعل غيرهم))<sup>(١)</sup>، وعندها اعتقد السيّد السبزواري أنّ الغرض من وراء هذا الإبهام يرجع إلى فائدة فاعل الإنفاق حصراً.

أما موارد التشابه بين المفسرين فما عرضا إليه في إبهام الفاعل الذي يأتي لبيان أمر ما، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد قال السيّد الطباطبائي: ((قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، المعنى ظاهر، وقد أبهم فاعل الإيتاء مع أنّ الجملة السابقة عليه تدلّ على أنّه الله تبارك وتعالى، ليدلّ الكلام على أنّ الحكمة بنفسها منشأ الخير الكثير، فالتلبس بها يتضمّن الخير الكثير، لا من جهة انتساب إتيانه إليه تعالى، فإنّ مجرد انتساب الإتيان لا يوجب ذلك كإيتاء المال...))<sup>(٣)</sup>. أما السيّد السبزواري فقال: ((يؤت) مبني للمفعول مجزوم بأداة الشرط، و(الحكمة) مفعول ثان، وإنما أبهم تعالى الفاعل، مع أنّه معلوم ممّا تقدم، وهو الله تعالى، لبيان أنّ الحكمة بنفسها منشأ الخير الكثير، فالحكمة والخير الكثير مقرونان، فمن تلبس بها فقد حظي بالخير الكثير، فلا يحتاج الانتساب إلى الفاعل في توصيفها به))<sup>(٤)</sup>.

وهنا نجد أنّ العالمين المفسرين قد وجها إبهام فاعل الإيتاء على أنّه قد أفاد بيان أهمية الحكمة، وذلك بحسبانها أصل الخير الكثير. فضلاً عن ذلك أنّ السيّد السبزواري قد أضاء الجانب النحوي بقدر تعلق الفائدة منه في الكشف عن الدلالة المقصودة.

وأشار العالمان المفسران في موطن آخر أيضاً إلى إبهام (الشيء) في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ

(١) مواهب الرحمن: ٤ / ٣٩٤.

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٦٩.

(٣) الميزان: ٢ / ٣٩٩.

(٤) مواهب الرحمن: ٤ / ٣٨٥.

القرآن تُبَدِّلْ لَكُمْ عَفَاَ اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١﴾، قال السيّد الطَّبَّاطبَائِي: (( إِنَّ الْآيَةَ أَبْهَمَتْ أَمْرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَهَتْ عَنِ السُّؤَالِ عَنْهَا، وَلَمْ تَوْضَحْ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا بَحِيثٌ إِنْ تَبَدَّلَ لَهُمْ تَسْوِئُهُمْ )) (٢)، وقال السيّد السَّبْزَوَارِي: (( وَإِبْهَامُ الشَّيْءِ لِبَيَانِ النَّهْيِ عَنْ كُلِّ سُؤَالٍ يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْغَرَضِ بِإِخْفَائِهِ؛ لَكُونَ الْإِطْلَاعَ عَلَى حَقِيقَتِهِ يُوَقِّعُ الْإِنْسَانَ فِي الْمَهْلَكَةِ وَالشَّقَاءِ )) (٣).

وهنا بيّن المفسّران المعنى الذي أفاده الإبهام المذكور في الآية الكريمة، وهو بيان نهى المؤمنين عن الاستئلاء التي إن ظهرت لهم حقائقها فإنها قد تسوؤهم وتؤذيهم. أمّا من مواطن التّفرد عند المفسرين، فمن ذلك: ما ذكره السيّد السَّبْزَوَارِي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (٤)، في أنّ الإبهام قد يرد لإفادة معنى (التّعظيم) (٥).

ونخلص ممّا تقدّم، أنّ العالمين المفسرين لم يكتفيا بتأويل (الإبهام) في مواضعه في النصّ القرآني فحسب، بل أشارا إلى المعاني الأخر التي تستفاد من السياق العام.

### ❖ الاعتراض:

يمنح الاعتراض الكلام إطلالةً بيانيّةً واضحةً، ومسحةً تفصيليةً نافعة، وقد عرفه أبو هلال بقوله: (( هو اعتراض كلام في كلام لم يتمّ، ثم يرجع إليه فيتمّه )) (٦). ولا يؤتى بالاعتراض في الكلام إلّا لفائدة بلاغيّة، لا سيّما في القرآن الكريم القائم على القصد بالأصل. وفي هذا المعنى أشار إليه أحد الباحثين المحدثين فقال: (( هو أن يؤتى

(١) سورة المائدة/ الآية ١٠١.

(٢) الميزان: ١٥٠ / ٦.

(٣) مواهب الرحمن: ٢٨٠ / ١٢.

(٤) سورة المائدة/ الآية ٤٩.

(٥) ينظر: مواهب الرحمن: ٣١٤ / ١١. وهذا المعنى هو ما صرّح به الزّمخشري، ينظر للموازنة:

تفسير الكشاف: ٦٢٨ / ١.

(٦) كتاب الصناعتين/ ص ٤٤١.

في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في معناهما بجملة أو أكثر، ... لنكته بلاغية سوى دفع الإبهام))<sup>(١)</sup>.

وتابع المفسران البلاغيين في دلالة "الاعتراض" وقصده في النصّ القرآني إذ إنه لا يأتي إلا لفائدة بلاغية، فمن ذلك: ما كشفنا عنه في وجوده في جميع المظان التي ترجع عندها فائدته إلى بيان أن كل الأمور المتعلقة بالخلق ترجع إلى الله عزّ وجلّ كما جاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ بَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿٢﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿٣﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٤﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٦﴾، قال السيّد الطباطبائي: ((وقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، معترضه وفائدتها بيان أن الأمر في القطع والكبت لله، وليس للنبي (ﷺ) فيه صنع حق يمدحوه، ويستحسنوا تدبيره إذا ظفروا على عدوهم ونالوا منه، ويلوموه ويوبخوه إذا دارت الدائرة عليهم، ويهنوا ويحزنوا كما كان ذلك منهم يوم أحد على ما حكاه الله تعالى ... وبيان لرجوع أمر التوبة والمغفرة إلى الله تعالى))<sup>(٣)</sup>. أمّا السيّد السبزواري فقد جاء تحليله للآية الشريفة متطابقاً مع مضمون ما ذكره السيّد الطباطبائي<sup>(٤)</sup>.

وعندها أبان المفسران عن المقتضى الداعي من وروده في المقام، وذلك بما يناسب السياق وقرائن الأحوال.

(١) البلاغة العربية اسسها وفنونها وعلومها: ٨٠ / ٢.

(٢) سورة آل عمران/ الآيات (١٢٣-١٢٨).

(٣) الميزان: ١١-١٠ / ٤.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ٦ / ٣٩٤، وتفسير الكشاف: ١ / ٤٠٤.

وذكر المفسران أيضاً في مورد آخر (الاعتراض)، وهو يفيد كشف الأستار عن الأفكار المحتملة أو الأمور التي يمكن أن تختلج ببال السّامع، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قال السيّد الطباطبائي: ((إنّ قوله: ﴿وَعَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، معترضة وضعت ليندفع بها ما يمكن أن يختلج ببال السّامع، وهو أنهم إذا كانوا يستمتع بعضهم من بعض، وكانوا غير غافلين عن إتيان الرّسل وبيانهم الآيات، وإنذارهم باليوم الآخر، فما بالهم وردوا مورد التّهلكة وأهلكوا أنفسهم عن علم واختيار؟ فأجيب بأنّ الحياة الدّنيا غرّتهم كلّما لاح لقلوبهم شيء من الحق وبرقت فيها بارقة من الخير هجمت عليهم الأهواء، وأسدت عليهم ظلمات الرذائل، حتّى ضربت حجاباً بينهم، وبين الحقّ، وأعمت أبصارهم عن رؤيته ومشاهدته))<sup>(٢)</sup>. وهذا المعنى أيضاً هو ما ذهب إليه مضمون السيّد السبزواري في تفسيره الآية الكريمة<sup>(٣)</sup>.

ويبدو ممّا سبق أنّ المفسرين في توجيههما (للاعتراض في هذه الآية الشريفة) أكّدا على الاعتناء بالمتلقّي الذي يؤلف أحد أعمدة العملية الإبداعية، بما يتسق وينسجم ومدلولات السيّاق العام.

وبذلك كشف المفسران عن مواضع الاعتراض في موارد تفسيريهما. علاوةً على أنّهما قد وضّحا المعاني أو الظلال المتحققة من استعماله في إطار السيّاقات والمقاصد.

(١) سورة الأنعام/ الآية ١٣٠.

(٢) الميزان: ٣٦٦ / ٧.

(٣) مواهب الرحمن: ٣٩٢ / ١٤، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٤٤٤ / ٢. وللاطلاع على مورد آخر للالتقاء بين المفسرين، ينظر: ((الاعتراض لبيان الفرط الذي يقع فيه التّفريط: سورة الأنعام/ الآية ٣٨، الميزان: ٨٢/٧، ومواهب الرحمن: ٢٧٢ / ١٣)).

## المبحث السادس:

## ((التناسب))

يعدُّ التناسب من مباحث علوم القرآن وقضايا بلاغته وإعجازه، لما له من أثر بياني وجمالي كبير في الفهم والتلقي من وجهة قَصْدِيَّة وفنِيَّة ((كالمبحث في العلائق الخفية لدلالات الألفاظ القرآنية والتراكيب، والكشف عن ترتيبها المنطقي، وبواعثها البيانية، وأسرارها المعنوية))<sup>(١)</sup>.

وقد عرفه برهان الدين البقاعي (ت ١٨٨٥هـ) بأنه: ((علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرُّ البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك منها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسه، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو))<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا فقد كان المفسران الطباطبائي والسيزواري على إحاطة تامة بجدوى هذا العلم حقاً كما وصفه البقاعي، إذ أشارا إلى موضوعاته في كثير من المواطن التي وردت تحليلاتهما للنصّ القرآني. فمن ذلك: ما وقفا عنده في استكناه مقاصد سورة الفاتحة. لاستشفاف مناسباتها الفنية، فقد قال السيّد الطباطبائي في هذا المضمون: ((... فهي سورة موضوعة للعبادة، وليس في القرآن سورة تناظرها في شأنها وأعني بذلك:

أولاً: أن السورة بتمامها كلام تكلم به الله سبحانه في مقام النيابة عن عبده، فيما يقوله إذا وجّه وجهه إلى مقام الربوبية، ونصب نفسه في مقام العبودية.

وثانياً: أنها مقسّمة قسمين، فنصف منها لله، ونصف منها للعبد.

وثالثاً: أنها مشتملة على جميع المعارف القرآنية على إيجازها واختصارها، فإنّ

القرآن على سعته العجيبة في معارفه الأصلية، وما يتفرع عليها من الفروع من أخلاق

(١) البحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ١٩١.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥/١.



وأحكام في العبادات والمعاملات. والسياسات والاجتماعيات، ووعده ووعيد، وقصص وعبر، يرجع جمل بيانها إلى التوحيد والنبوة والمعاد وفروعها، وإلى هداية العباد إلى ما يصلح به أولاهم وعقباهم، وهذه السورة كما هو واضح تشتمل على جميعها في أوجز لفظ (وأوضح معنى))<sup>(١)</sup>. ووافق السبزواري الطباطبائي في هذه المظانّ لكنه أضاف عليه أمور أخر: ((منها: حسن نظمها وجمالها، فإنها ابتدأت بالبسملة ثم الحمد، وبعده ثناء الله عزّ وجلّ بأتم الصفات، ثم إظهار العبودية لله تعالى التي هي أعلى مقامات الإنسانية، فالاستعانة منه جلّ شأنه لدفع المهالك، وجلب المنافع، ثم طلب الهداية منه تعالى إلى طريق الصلاح، فقد تجلّى سبحانه وتعالى في القرآن وتجلّى القرآن في الفاتحة... ومنها: أنها تبين أدب العبودية، وتعلم العبد كيفية التكلم والمخاطبة معه جلّ شأنه، والتلقين منه تبارك وتعالى، دليل على القبول والاستجابة))<sup>(٢)</sup>.

لقد كشف المفسران الجليلان عن المقاصد الإلهية التي احتوتها فاتحة الكتاب، والغايات العظيمة التي تضمنتها. وهذا ما كان أن يتمّ لولا دقة التناسب وإحكام الانسجام في نظم السورة العجيب.

والمح السيد الطباطبائي في مورد آخر إلى تناسب المعاني القرآنية بين أكثر من آية شريفة كما في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ من يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٧﴾<sup>(٣)</sup>، إذ قال: ((وتخصيص ما يمسّ به من ضرّ أو خير بالنبي (ﷺ) في هذه الآية نظير التخصيص

(١) الميزان: ٤٢ / ١، وقارن ب، معترك الأقران،: ٥٨/١، والأقوال الجسان في حسن نظم القرآن:

١٧-١٤ / ١

(٢) مواهب الرحمن: ٦٣ / ١ - ٦٤.

(٣) سورة الأنعام/ الآيات (١٥ - ١٨).

الواقع في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، ويفيد قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ من (التعميم) نظير ما أفاد قوله: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد استعان السيد الطباطبائي بالموازنة بين معنى ومعنى قرآني آخر سبيلاً بيناً ومؤكداً، للوصول إلى الدلالة المقصودة.

أمّا السيد السبزواري فقال في تحليله الآية نفسها: ((إِنَّ فِي ذِكْرِهِمَا مَنَاسِبَةً لِمَا قَبْلُهَا، فَإِنَّ فِي مَسِّ الضَّرِّ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾، وَفِي إِرَادَةِ الْخَيْرِ نَظْرًا إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ يُصْرِفْ﴾، فَسُبْحَانَهُ مِنْ مَبْدَعِ حَكِيمٍ، قَرْنَ آيَاتِهِ التَّدْوِينِيَّةَ بِمَا يَقْرَبُ الْمَعْنَى إِلَى ذَهْنِ السَّمْعِ، بِأَحْلَى صُورَةٍ وَأَعْظَمَ بَيَانٍ، وَأَتَمَّ حُجَّةً))<sup>(٢)</sup>.

وهنا يشير السيد السبزواري إلى التناسب صراحةً، علاوةً على أنه قد أفصح عن القصد المتحقق من ورائه، وهو ما يتجلى في إيضاح المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي. ومن مظاهر التناسب المتحققة في النص القرآني دقة استعماله الحروف، ومجيئها في مواضعها المقصودة، فقد أشار ابن الأثير إلى هذه المزية في أثناء تحليله لبعض الآيات القرآنية<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا الصدد نجد أنّ المفسرين الجليلين قد تناولوا هذا اللون من التناسب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، إذ اثبتنا أن قوله: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ﴾، يدلّ على التراخي الذي هو المناسب لمعنى (التأنيس) بالطيور<sup>(٥)</sup>.

(١) الميزان: ٣٦-٣٧ / ٧، وقارن بـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢ / ٥٩٨.

(٢) مواهب الرحمن: ١٢٩ / ١٣.

(٣) ينظر: المثل السائر: ٢ / ٢٢٨ - ٢٣٣، وعناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية/ ص ١٧٨.

(٤) سورة البقرة/ الآية ٢٦٠.

(٥) ينظر: الميزان: ٢ / ٣٧٣. ومواهب الرحمن: ٤ / ٣٤٤.

وعندها تطابق المفسران في توجيهيهما للتناسب في هذه الآية المباركة، استدلالاً مما يشع به السياق العام.

ومن مظاهر التناسب الأخر قرينه((مناسبة الحكم للموضوع)) وهي قرينة ((لاتقع تحت ضابطة معينة، ولكنها موجودة على الأكثر، ويحتاج إدراكها إلى ذوق سليم))<sup>(١)</sup>. وقد ذكر المفسران هذه القرينة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نُشْرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد قال السيد الطباطبائي: ((وعلى هذا فقوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، ترديد على سبيل الترتيب أي: إن كان هناك نفرٌ من المسلمين يستشهد اثنان منهم، وإن لم يكن إلّا من غير المسلمين يستشهد باثنين منهم، كل ذلك بالاستفادة من قرينة المقام.

وهذه القرينة بعينها هي التي توجب أن يكون قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ قيداً متعلقاً بقوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ فإنّ المسلم لما كان بالطبع، إنّما يعيش في مجتمع المسلمين لا تمسّ الحاجة في الحضر عادة إلى الاستشهاد بشهدين من غير المسلمين بخلاف حالة السقر، والضرب في الأرض، فإنّها مظنة وقوع أمثال هذه الوقائع والاضطرار، ومسيس الحاجة إلى الانتفاع من غير المسلم بشهادة أو غيرها.

وقرينة المقام أعني المناسبة بين الحكم والموضوع بالذوق المتخذ من كلامه تعالى تدل على أن المراد من غير المسلمين أهل الكتاب خاصة، لأنّ كلامه تعالى لا يشرف (المشركين بكرامة)<sup>(٣)</sup>. وقد جاء تحليل السيد السبزواري للآية المباركة متفقاً مع ما ذهب إليه السيد الطباطبائي في هذا المعنى<sup>(٤)</sup>.

(١) أصول الفقه: ١/ ١٤٢، وينظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ١٩٨.

(٢) سورة المائدة/ الآية ١٠٦.

(٣) الميزان: ٦/ ١٩٤ - ١٩٥، وينظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان/ ص ٢٠١.

(٤) ينظر: مواهب الرحمن: ١٢/ ٣٥٢ - ٣٥٣.

ومن الملاحظ أنّ المفسرين الجليلين قد توصّلا إلى الحكم الشرعي الدقيق في هذه الآية الشريفة من خلال مزية التناسب وهندسته، وهذا ما يؤكد على أهميته العالّية في استنباط الدلالة المقصودة.

أمّا من موارد التفرد عند المفسرين فمن ذلك: ما بيّنه السيّد الطباطبائي في مناسبة ختم ((سورة المؤمنون)) بالرحمة للمؤمنين، كما كان الافتتاح بفلاحهم<sup>(١)</sup>.

أمّا السيّد السبزواري فقد تناول مجيء لفظ ((الدار)) في آيات ثلاث تشترك في بيان تفصيل الحياة الآخرة، وأنها خير، والعاقلة لا يترك الخير لغيره، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ورد ((الدار)) باللّام الموطئة للقسم، وفي قوله عزّ من قائل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ورد بغير اللّام، وفي قوله عزّ شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، جاء على الإضافة، حيث يرى أنّ كلّ لفظ ورد في موضعه الذي هو مناسب لمقامه في الآية المذكورة<sup>(٥)</sup>.

ويتبيّن لنا ممّا تقدّم، أنّ التناسب بكلّ ألوانه وأنواعه يمثل إحدى الآليات الضرورية في تأمل عمل المفسر وبيانه، وذلك بحسبانه العنصر الكاشف عن أشكال الوحدة والانسجام والتعالق بين آيات النصّ القرآني. فضلاً عن قيمته الجماليّة والفنيّة.

(١) ينظر: ((سورة المؤمنون/ الآية ١١٨، الميزان: ١٥/٧٤)). وهذا المعنى نفسه هو ما أشار إليه البقاعي في تفسيره، ينظر للموازنة: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥/٢٢٨.

(٢) سورة الأنعام/ الآية ٣٢.

(٣) سورة الأعراف/ الآية ١٦٩.

(٤) سورة يوسف/ الآية ١٠٩.

(٥) ينظر: مواهب الرحمن: ١٣/٢٠٦ - ٢٠٨. ونجد هذا المضمون نفسه عند محمود بن حمزة الكرمانى (ت ٥٠٥ هـ) وغيره، ينظر للموازنة: البرهان في توجيه مُتَشَابِه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان / ص ١٠٧ - ١٠٨، وملاك التّأويل/ ص ٤٤٨ - ٤٥٠.



لِللَّامِئَاتِ

وَنَتَائِجِ الْبَحْثِ



## الخاتمة ونتائج البحث

رصد الباحث النتائج الآتية:

١- إن البيئة الخصبة التي توافرت للمفسرين الطباطبائي والسبزواري، كانت من الوراثة والنسب، أو من حيث الجانب العلمي خاصة، أو للثقافة الموسوعيّة التي يمتلكها كل منهما، كلها مثلت عوامل إثراء جعلتهما في مصاف المفسرين الكبار. علاوة على أنّ مرجعياتهما المختلفة، ومصادرهما المتنوعة قد امتدتها بالأفق الواسع في التحليل والإبانة وأخذتهما إلى العمق والشمولية ولا سيّما على المستوى البلاغيّ.

٢- مثلت البلاغة إحدى الأدوات التحليليّة الراسخة في عمل المفسرين، وذلك للوصول إلى الدلالات المكتنز بها النص القرآني؛ وذلك لما يمتاز به هذا النصّ المعجز من نظم عجيب، وأسلوب بديع يتطلب تأملاً طويلاً لتحليله.

٣- لقد توزعت مباحث البلاغة عند العالمين على مساحة تفسيريهما، وهما لم يعتنيا بالتصنيف والتقسيم والتبويب كما هو شأن المتخصّصين البلاغيين. وقد يسوّغ لهم هذا الأمر بمهامهم التفسيرية التي اعتمدوها في البحث.

٤- اعتمد المفسران في منهجهما التفسيري طريقة (تفسير القرآن بالقرآن)، وتأسيساً على هذا المنهج فقد اتخذوا من السياق معياراً تحليلياً كاشفاً عن الدلالات المقصودة أو القريبة في الآيات القرآنية. علاوة على ذلك فإن السيد الطباطبائي قد استند إلى نظريته القرآنيّة المتمثلة بـ(الوحدة الكلية للنص القرآني). أمّا السيد السبزواري فقد اعتقد أنّ الجامع القريب موجود بين الآيات جميعاً، وهو تكميل النفس أو الهداية فلا حاجة حينئذٍ إلى تناول التعلّق والنظم.

٥- لقد ربط المفسران في (مباحث البيان وأصول الدلالة) بين البيان والدلالة؛ وذلك لذهابهما إلى أنّ دلالة أية لفظة لا تكتسب قيمتها وقوتها إلا من خلال التركيب أو السياق الذي تكون فيه. فمثلاً نلاحظ التشبيه والتّمثيل يعدّان من أفانين القول العالي والحس المرهف،

فهما بيّان الرّوح والحياة في دلالة النصّ، فضلاً عن أنّ التّمثيل قد حقّق ظاهرة أسلوبية متميّزة عند المفسّرين عامة، والطّباطبائي خاصة.

- ٦- لقد تأمّل المفسّران كثيراً لبيان الحقيقة تحليلاً وتعليلاً وتناولاً محاولة للوصول إلى المعنى المراد. فضلاً عن تعقبهما للمجاز ومقولاته بلاغيّاً، ليكشفوا بذلك عن نكاته في المواضع التي وردت في تفسيريّهما. وكان تناول المفسّرين للمجاز العقلي كثيراً، فهما يشيران إليه من دون ذكر علاقاته. فضلاً عن ذلك فقد كان السيّد الطّباطبائي أكثر تناولاً لعلاقاته. أمّا المجاز المرسل فقد تمثلاه وتناولاه بالتحليل لما تضمّنه من إداءات جمالية، ومقاصد فنية.
- ٧- حقّقت الاستعارة عند المفسّرين سمة أسلوبية واضحة، وقيمة جمالية كامنة، فهي لم تعد وظيفتها مختصرة على الإقناع كما هو السائد عند القدماء، بل أصبحت وظيفتها الإقناع والإمتاع في الوقت نفسه، ولذا عُدت من أهم مظاهر الإيحاء وصوره... وقد تفرّد السيّد السبزواري بتناول (الاستعارة التّهكمية أو التّمليحية) في هذا الباب في حين أولى المفسّران مبحث (الكناية) عنايةً خاصةً- من بين المباحث البيانية الأخر- إذ تمثّلت في دراستهما المستوعبة لمباحثها ومطالبها، تأكيداً لقيمتها الجماليّة ومراميها القصدية.
- ٨- ميّز المفسّران بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية، ليظهرا أهميّة كل منهما في السّياق الذي وردت فيه. وجاء تشابه تناول المفسّرين لمؤكّدات الخبر من حيث الموارد أكثر من اختلافهما..، وهما في ذلك اعتمدا في أغلب تحليلاتهما على السّياق النصّي؛ بلحاظ كونه كاشفاً قريباً عن المزايا البلاغيّة. وارتكز المفسّران في استشفاف الأغراض المجازيّة التي يخرج إليها الخبر على إيحاءات السّياق القرآني، فضلاً عن الإفادة أحياناً من القصّ القرآني. وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ السيّد الطّباطبائي والسيّد السبزواري قد اختلفا في توجيه بعض الأغراض المجازية للآيات القرآنيّة، بما يدلّ على استقلاليتهما العلميّة، وحرّيتهما الفكريّة.

- ٩- بيّن المفسّران الأغراض المجازية التي يخرج إليها الأمر، تناولاً واستتباطاً، اختلافاً وائتلافاً وذلك بآليات بيانية وسياقيّة، توخياً إلى تحقيق قصديّة النصّ. وكان السيّد



السبزواري أكثر تفرداً في تناول الأغراض المجازية التي يخرج إليها أسلوب النهي، في حين درس العالمان أسلوب الاستفهام دراسةً وافيةً كافيةً، تتم عن عمق المعرفة البلاغية التي يتمتعان بها، فضلاً عن خبرتهما التحليلية في ممارسة التعامل مع النصوص الإبداعية.

١٠- مثل السياق عند المفسرين أداة منتجة في توجيه دلالة التعريف باسم الإشارة في آيات الذكر الحكيم. وكما توصل المفسران إلى استنتاج عدد من الأغراض البلاغية الجديدة التي أفادها التعريف بالإضافة، وهي مالم يتطرق إليها المفسرون - بحدود اطلاعي - كغرض (المعية) مثلاً. فضلاً عن أنّ السيد الطباطبائي كان أكثر تناولاً للأغراض المجازية التي أفادها هذا اللون البلاغي كما نستشف من خلال تحليل المفسرين للتعريف بالضمائر طريقتهما في تناول النصّ القرآني.

١١- ميّز المفسران بين التعريف والتكثير، وذلك كلّ بحسب بحثه للتركيب الذي ورد فيه، أو السياق الذي اتسق مع معاني الآيات القرآنية الكريمة. ويبدو لي أنّ المفسرين قد تابعا عبد القاهر الجرجاني وعلماء البلاغة في هذا التمييز.

١٢- درس السيدان العالمان أسلوب التقديم والتأخير في تفسيريهما بعناية بالغة على أكثر من مستوى من حيث الكشف عن الأغراض التي أفادها هذا الأسلوب، أو من حيث استكناه المسوغات الدقيقة التي كانت من وراء تقديم لفظة في موضع، وتأخيرها في موضع آخر كما لاحظنا ذلك عند السيد السبزواري على نحو أكثر.

١٣- تبين لي من خلال استقرائي للتفسيرين أنّ السيد السبزواري كان أكثر بحثاً للأغراض التي أفادها أسلوب الفصل والوصل من السيد الطباطبائي. في حين استعمل المفسران أكثر من مصطلح مرادفٍ أو مقاربٍ دال على أسلوب القصر، كالحصر والاختصاص. وتوصل البحث إلى أنّ السيد السبزواري قد فرق بين دلالة الحصر والاختصاص.

١٤- شملت دراسة المفسرين للإيجاز - بقسميه - على أغلب مباحثه وجلّ مطالبه: تقارباً وتباعداً في فضاءات تفسيريهما. فضلاً عن كشفهما عن مواطن الإطناب بألوانه المتعددة، ومعانيه الدالة.



١٥- إن العلاقة بين مباحث البديع والمتلقي عند المفسرين علاقة وثيقة قوامها الإثارة والاستجابة وصولاً للبيان والفهم. أو بعبارة أخرى فهي علاقة قائمة على التأثير والتأثير.

١٦- لم يقتصر المفسران على وصف شواهد التكرار فحسب، بل حاولا استكناه مؤثراته القصدية التي يحدثها في نفس المتلقي حتى تحقيق الاستجابة، ومن ثم استجلاء معانيه وكشف دلالاته المقصودة في المواطن المختلفة.

١٧- أبان المفسران عن المقابلة بلحاظ كونها نوعاً مستقلاً من الأنواع البديعية، فضلاً عن أنها قد اشتملت على بعض أنواع الطباق، وهذا ما تجلّى واضحاً في اجراءاتهما التطبيقية. في حين استشعر المفسران أبعاد المبالغة وقيمها الجمالية في النصّ القرآني، وذلك من خلال تحقق الاستجابة والإبهام والمتعة التي تبثها في المتلقي. فضلاً عن أهميتها الدلالية في استجلاء زوايا مهمة في تفسير المعنى القرآني.

١٨- لم يكتف المفسران بتأول مواضع (الإبهام) في النصّ القرآني فحسب، بل أشارا إلى معانيه الأخر التي تستفاد من السياق العام. علاوة على أنهما قد وضّحا تلكم الآفاق أو الضلال المتحققة من استعمال الاعتراض في إطار السياقات والمقاصد المتعددة.

١٩- عدّ المفسران التناصب أحد الآليات الضرورية والقريبة في تأمل عمل المفسر وبيانه؛ وذلك بحسبانه العنصر الكاشف عن أشكال الوحدة والانسجام والتعلق في آيات النصّ القرآني. فضلاً عن قيمته الجمالية والفنية.

وعلى ما تقدم فالبحت البلاغيّ عند المفسرين قد خرج عن المعيارية والتقنين والأنماط التي وضعها البلاغيون المتأخرون إلى آفاق الذوق والتثوير والتأمل وفلسفة البلاغة. وهذا هو الذي يبتغيه الدرس البلاغيّ والنصيّ المعاصر. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



كشاف

المصلا

و

المراج



📖 خير ما نبدأ به القرآن الكريم.

❖ الكتب

- ١- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. صباح عبيد دراز، (ط١)، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٢- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، (ط١)، دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم (ﷺ)، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٣- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربيّة، د. مجيد عبد الحميد ناجي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٤- أسلوب الالتفات في البلاغة العربيّة، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٥- الأسلوبية، والبيان العربي، د. تأليف: د. محمّد عبد المنعم خفاجي، د. محمّد السعدي فرهود، د. عبد العزيز شوف، (ط١)، الدار المصرية اللبنانيّة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٦- الإشارات والتّنبهات في علم البلاغة، ركن الدين محمّد بن علي بن محمّد الجرجاني المتوفي بعد سنّة ٧٢٩هـ، علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، (ط٢)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠١١-١٤٣٢هـ.
- ٧- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، د. محمّد حسين علي الصغير، (ط١)، دار المؤرّخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٨- الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو- فقه اللغة- البلاغة)، د. تمام حسان، أميرة للطباعة، عالم الكتب، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٩- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، العلامة إبراهيم بن محمّد بن عربشاه الحنفي المتوفي سنّة ٩٤٣هـ، حقّقه وعلّق عليه: د. عبد الحميد هنداوي، (ط١)، دار الكتب العلمية، منشورات محمّد علي بيضون، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- ١٠- أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي حوزة علمية، قم، ١٣٧٠هـ.
- ١١- الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم)، د. محمد محمد أبو موسى، (ط٣) مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ١٢- إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- ١٣- إعجاز القرآن وعلم المعاني، د. عمر الملا حويش، (ط١)، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٧هـ-١٩٩٢م.
- ١٤- الأقوال الحسان في نظم القرآن، عبد المتعال الصعيدي، المطبعة العمومية، طنطا، (د.ت)
- ١٥- ألطاف الباري من نفحات الإمام السبزواري، السيد عبد الستار الحسني، (ط١)، مطبعة كوثر، ١٤٢٥هـ.
- ١٦- الأمثال في القرآن، د. محمد جابر الفياض، (ط٢)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ١٧- أنوار البديع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) حقه، وترجم لشعرائه: شاکر هادي شكر، (ط١)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- ١٨- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ت).
- ١٩- البحث البلاغي عند العرب (تأصيل وتقييم)، د. شفيع السيد، دار الفكر العربي، (د.ت).
- ٢٠- البحث البلاغي في تفسير الميزان، د. حيدر هادي أحمد، (ط١)، شركة الديوان للطباعة والنشر، المركز الوطني لعلوم القرآن، بغداد، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

- ٢١- البحث الدلالي عند ابن سينا (دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات)، د. مشكور كاظم العوادي، (ط١)، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.
- ٢٢- البحث الدلالي في تفسير الميزان (دراسة في تحليل النص)، د. مشكور كاظم العوادي، (ط١)، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.
- ٢٣- البحث النحوي عند الأصوليين، د. السيد مصطفى جمال الدين، (ط١)، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ٢٤- البديع في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- ٢٥- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري (٥٨٥-٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)
- ٢٦- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، محمود بن حمزة الكرمانى (ت نحو ٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، (د.ت).
- ٢٧- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر عبد الزركشي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- ٢٨- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، د. عبد الواحد بن عبد الكريم الزمكاني المتوفي ٦٥١هـ، تحقيق: د. خديجة الحديثي، د. أحمد مطلوب، (ط١)، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
- ٢٩- البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قلقيلة، (ط٣)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- ٣٠- البلاغة تطوّر وتاريخ، د. شوقي ضيف، (ط٩)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

- ٣١- البلاغة العربيّة (أسئها، وعُومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريق تليد)، عبد الرحمن حسن حنّكه الميداني، (ط١)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٢- البلاغة العربيّة (البيان - البديع)، د. ناصر حلاوي، د. طالب محمّد الزوبعي، مطبعة بغداد، بغداد، ١٩٩٩م.
- ٣٣- البلاغة العربيّة في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، د. محمّد بركات حمدي أبو علي، (ط١)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٣م.
- ٣٤- البلاغة العربيّة قراءة أخرى، د. محمّد عبد المطلب، (ط٢)، دار نوبار للطباعة، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ٢٠٠٧م.
- ٣٥- البلاغة عند السكاكي، د. أحمد مطلوب، (ط١)، مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٣٦- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. رابح دوب، (ط٢)، دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.
- ٣٧- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، (د.ت).
- ٣٨- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، د. فضل حسن عباس، (ط٤)، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٩- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمّد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي، (د.ت).
- ٤٠- البلاغة والأسلوبية، د. محمّد عبد المطلب، (ط٤)، دار نوبار للطباعة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ٢٠١٠م.

- ٤١- البلاغة والمعنى في النصّ القرآني (تفسير أبي السعود أنموذجاً)، د. حامد عبد الهادي حسين، مطبعة هيئة إدارة واستثمار أموال الوقف السنّي، مركز البحوث والدراسات الإسلاميّة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٤٢- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، طبعه نهاية القرن، مكتبة الآداب، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٤٣- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ١٥٠ - ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، (ط٧)، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٤٤- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (د.ت).
- ٤٥- تحرير التّحبير في صناعة الشّعْر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: د. حنفي محمّد شرف، (د.ت).
- ٤٦- التّراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتّى نهاية القرن السادس الهجري، د. وليد قصاب، (ط١)، دار الثقافة، قطر - الدوحة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٧- التّراكيب النحوية من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهر، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، (د.ت).
- ٤٨- التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، د. محمّد محمّد أبو موسى، (ط٦)، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٤٩- التّعبير الفني في القرآن، د. بكرى شيخ أمين، (ط١)، دار الشروق، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٥٠- التّعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، (ط٥)، دار عمار، عمان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٥١- تفسير أبي السَّعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي أبي السَّعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المتوفى سنة ٩٨٢هـ، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، (ط١)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥٢- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشَّهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى ٧٤٥هـ، تحقيق: الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشَّيخ علي محمد معوض، د. زكريا عبد المجيد النوتي، د. أحمد النجولي الجمل، (ط٢)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ.

٥٣- تفسير البيضاوي المسمَّى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي عبد الله بن عمر بن محمد الشَّيرازي البيضاوي المتوفى ٧٩١هـ، (ط١) دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٤- تفسير التَّحرير والتَّوير، الإمام الشَّيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدَّار التَّونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٥٥- تفسير الفخر الرَّازي المشتهر بـ (التفسير الكبير) و (مفاتيح الغيب)، للإمام فخر الدِّين الرَّازي (ت ٦٠٦هـ)، (ط٣)، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٦- تفسير الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام محمود بن عمر بن محمد الزَّمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ)، رتبته وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، (ط٥)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩م.

٥٧- التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، (د.ت).

٥٨- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الشَّيخ محمد هادي معرفه، (ط٢)، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضويَّة المقدَّسة، الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد - إيران، ١٤٢٦هـ = ١٣٨٤ش.



- ٥٩- التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوّره إلى القرن السادس - مشروع قراءة -)  
(ط٣)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م.
- ٦٠- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشّريف الرّضى (ت٤٠٦هـ)، حقّقه وقَدّم له وصنع  
فهارسه: محمّد عبد الغني حسن، (ط٢)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٦١- التلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدين محمّد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني  
(ت٧٣٩هـ)، ضبطه وشرحه: الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي، (ط١)،  
دار الفكر العربي، ١٩٠٤م.
- ٦٢- تنزيه القرآن عن المطاعن، قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد المتوفى  
سنّة٤١٥هـ، (ط٢)، دار النهضة الحديثة، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ٦٣- جامع البيان في تأويل القرآن، محمّد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ-٣١٠هـ)، المحقق:  
أحمد محمّد شاكر، (ط١)، مؤسسة الرّسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٦٤- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال،  
دار الحرية للطباعة، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
- ٦٥- جمال السالكين (العالم الرّبّانيّ السيّد عبد الأعلى السبّزوارى)، السيّد حسين نجيب  
محمّد، (ط١)، مطبعة شريعت، قم، ١٣٨٥هـ. ش = ١٤٢٧هـ. ق.
- ٦٦- جماليات التّلقي في السرد القرآني، د. يادكار لطيف الشّهرزوري، (ط١)، دار الزمان  
للطباعة والنشر التّوزيع، دمشق - سوريا، ٢٠١٠م.
- ٦٧- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، طبعة جديدة مصححة  
اعتنت بها: نجوى أنيس ضو، دار إحياء التّراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي،  
بيروت - لبنان، (د.ت).

- ٦٨- حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح، محمد بن أحمد بن عرفه، الدسوقي المتوفي سنة ١٢٣٠هـ، تحقيق خليل إبراهيم خليل، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٦٩- الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السلام أبو شادي، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).
- ٧٠- خصائص التراكيب ( دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، د. محمد محمد أبو موسى، (ط٤)، أميرة للطباعة، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٧١- الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار، (ط٢)، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة، (د.ت).
- ٧٢- دراسة في البلاغة والشعر، د. محمد محمد أبو موسى، (ط١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٧٣- دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر، (ط٢)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ.
- ٧٤- دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، د. محمد محمد أبو موسى، (ط٤)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٧٥- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، د. منير محمود المسيري، تقديم: د. عبد العظيم المطعني، د. علي جمعة، (ط١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٧٦- رسالة التشيع في العالم المعاصر، السيد محمد حسين الطباطبائي، ترجمة: جواد علي كسار، (ط١)، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٨هـ.
- ٧٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفي سنة ١٢٧٠هـ، ضبطه وصحّحه: علي عبد الباري عطية، (ط٢)،

دار الكتب العلمية، منشورات محمّد علي بيضون، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥م-  
١٤٢٦هـ.

٧٨- الروض المريع في صناعة البديع، ابن البناء المراكشي العددي، تحقيق: رضوان  
بنشقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

٧٩- شرح التلخيص، للشيخ محمّد بن محمّد بن محمّد بن احمد البابرّي المتوفي  
سنّة ٧٨٦هـ، دراسة وتحقيق: د. محمّد مصطفى رمضان صوفيه، (ط١)، المنشأة  
العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م.

٨٠- شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ محمّد بن الحسن الاسترابادي النحوي (ت ٦٨٦هـ)،  
مع شرح شواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب (خزانة الأدب) المتوفي  
سنّة ١٠٩٣هـ، حققهما الأساتذة: محمّد نور الحسن محمّد الزقّرات، محمّد يحيى عبد  
الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٨١- شروح التلخيص وهي ( مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح  
للخطيب القزويني، ومواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي،  
وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي.. وقد وضع في الهامش  
كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشرح له وحاشية السوقي على شرح السعد)،  
محمّد عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) وآخرون، دار الكتب العلمية، نشر  
أدب الحوزة، بيروت- لبنان، (د.ت).

٨٢- الشمس الساطعة (رسالة في ذكرى العالم الربّاني العلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي  
التبريزي)، العلامة السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني، تعريب: السيّد عبّاس نور  
الدين وعبد الرحيم مبارك، (ط٢)، دار الأولياء، ٢٠٠٨م.

- ٨٣- الصاحبى فى فقه اللّغة وسنن العرب فى كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، شرح وتحقيق: السيّد أحمد صقر، المكتبة الفيصلية، المملكة العربيّة السّعوديّة، (د.ت).
- ٨٤- صفحة من حياة الإمام السّبزواري، السيّد محمّد حسن الطالقاني، (ط١)، مطبعة الكوثر، النجف الأشرف، ١٤٢٥هـ.
- ٨٥- الصّورة الفنيّة فى المثل القرآني، د. محمّد حسين علي الصّغير، (ط١)، دار الهادي للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٨٦- الطّباطبائي ومنهجه فى تفسيره (الميزان)، علي الأوسي، (ط١)، مطبعة سبهر، طهران- إيران، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٨٧- الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١)، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٨٨- العارف ذو الثّغفات (قراءة تحليلية للأبعاد المشرقة من حياة سماحة آية الله العظمى السيّد عبد الأعلى السّبزواري)، ضياء السيّد عدنان الخبّار القطيفي، (ط١)، مطبعة وفا، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.ق.
- ٨٩- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، د. أحمد مطلوب، (ط١)، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٩٠- عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح، الشّيخ بهاء الدّين أحمد بن علي بن عبد الكافي السّبكي المتوفى سنة ٧٧٣هـ، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، (ط١)، دار الكتب العلميّة، منشورات محمّد علي بيضون، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٩١- علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، د. محمّد حسين علي الصّغير، (ط١)، دار الشؤون الثقافيّة (آفاق عربيّة)، ١٩٨١م.

- ٩٢- علم المعاني، د. درويش الجندي، دار النهضة، مصر، (د.ت).
- ٩٣- علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (ط٣)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٩٤- العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (٣٩٠-٤٥٦) من الهجرة، حقه، وفصله، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٥)، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت- لبنان، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٩٥- عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية، د. مسعود بودوخة، (ط١)، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٩٦- غرائب التفسير وعجائب التأويل، للشيخ محمود بن حمزة الكرمانى (ت نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: د. شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (د.ت).
- ٩٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠هـ، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، (د.ت).
- ٩٨- فخر الدين الرازي بلاغياً، د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٩٩- فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث، د. لطفي عبد البديع، (ط١)، دار نوباد للطباعة، القاهرة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ١٩٩٧م.
- ١٠٠- فن البديع، د. عبد القادر حسين، (ط١)، دار الشروق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٠١- فنون بلاغية (البيان- البديع)، د. أحمد مطلوب، (ط١)، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- ١٠٢- في البلاغة العربيّة علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيّة، بيروت- لبنان، (د.ت).
- ١٠٣- في البلاغة العربيّة علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيّة، بيروت- لبنان، (د.ت).
- ١٠٤- في ظلال القرآن، سيّد قطب، (ط٣٢)، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٠٥- القرينة في البلاغة العربيّة (دراسات بيانية)، تيسير عباس محمّد الشّريف، (ط١)، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ١٠٦- كتاب أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجاني النحوي المتوفى سنّة ٤٧١هـ - أو سنّة ٤٧٤هـ، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمّد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت).
- ١٠٧- كتاب التعريفات، العلّامة علي بن محمّد الشّريف الجرجاني (ت١١٦هـ-)، مكتبة لبنان- بيروت، ١٩٨٥م.
- ١٠٨- كتاب دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجاني النحوي المتوفى سنّة ٤٧١هـ - أو سنّة ٤٧٤هـ، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمّد شاكر، (ط٣)، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، دار المدني، جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٠٩- الكتاب، كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت١٨٠هـ-)، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، (ط٣)، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١١٠- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ-)، حقّقه وضبط نصّه: مفيد قميحه، (ط٢)، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- ١١١- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠- ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (ط٢)، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ.
- ١١٢- الكنى والألقاب، الشيخ عبّاس القمي، (ط٣)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.
- ١١٣- الكناية في البلاغة العربيّة، د. بشير كحيل، (ط١)، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- ١١٤- لسان العرب، محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ-)، (ط١)، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ١١٥- لسانيات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمّد خطّابي، (ط٢)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٦م.
- ١١٦- اللّغة والتّفسير والتّواصل، د. مصطفى ناصف، عالم الكتب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥م.
- ١١٧- المباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن لسماحة آية الله العظمى السيّد عبد الأعلى السبّزواري، أحمد جاسم آل مسلم الخيال، (ط١)، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الأشرف، الناشر: مكتبة المهذب، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
- ١١٨- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم (دراسة مقارنة)، محمّد حسين علي الصغير، (ط١)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتّوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ١١٩- المبالغة في البلاغة العربيّة (تاريخها، مصادرها)، علي سرحان القرشي، (ط١)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٩م.

- ١٢٠- متشابه القرآن، قاضي القضاة عبد الجبّار بن أحمد المتوفى سنة ٤١٥هـ، تحقيق: عدنان زرزور، (ط١)، (د.ت).
- ١٢١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، (ت٦٣٧هـ)، قدمه وعَلّقَ عليه: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).
- ١٢٢- مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربيّة، د. محمّد حسين علي الصغير، (ط١)، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- ١٢٣- مجاز القرآن، صنعه أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة ٢١٠هـ، عارضه بأصوله وعَلّقَ عليه: د. محمّد فؤاد سزّكين، (ط١)، مطبعة السادة، مصر، الناشر: محمّد سامي أمين الخانجي الكتبي، مصر، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م.
- ١٢٤- مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين والأخصائيين، (ط١)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- ١٢٥- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمّد، (ط١)، دار الكتب العلمية، منشورات محمّد علي بيضون، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- ١٢٦- مدخل إلى كتابي عبد القاهر، د. محمّد محمّد أبو موسى، (ط١)، مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- ١٢٧- المشجر الوافي في السلسلة الحسينية، السيّد حسين أبو سعيدة الموسوي، (ط٥)، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، مؤسسة البلاغ، بيروت- لبنان، ٢٠١١م.



- ١٢٨- المشجر الوافي في السلسلة الموسوية، السيّد حسن أبو سعيدة الموسوي، (ط٥)، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، مؤسسة البلاغ، بيروت- لبنان، ٢٠١١م.
- ١٢٩- المصباح في المعاني والبيان والبديع، لأبي عبد الله بدر الدين بن مالك الدمشقي الشهير بابن الناظم (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٣٠- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفي سنة ٧٩١هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٣١- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفي ٥١٦هـ، حقه وخرج أحاديثه: محمد بن عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميريه، سليمان مسلم الحرش، (ط٤)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٣٢- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، د. فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٦م.
- ١٣٣- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفي سنة ٢٠٧هـ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، (ط٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.
- ١٣٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفي سنة ٩١١ هجرية، ضبطه وصححه وكتبه فهارسه: أحمد شمس الدين، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٣٥- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، د. الشيخ محمد هادي الأميني، (ط٢)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٣٦- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ١٣٧- معجم مفردات ألفاظ القرآن، العلامة أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب المتوفي سنة ٥٠٣هـ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (ط٣)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨م.
- ١٣٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا المتوفي سنة ٣٩٥هـ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٣٩- مع المقدس السبزواري في قبسات من مواهبه، السيد محمد تقي الحجاز، مكتبة المهذب، النجف الأشرف، ١٤٢٠هـ.
- ١٤٠- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي المتوفي سنة ٦٢٦هـ، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، (ط٢)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٤١- مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تعريب: خالد توفيق، (ط١)، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٥هـ.
- ١٤٢- ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (٧٠٨هـ-)، تحقيق: سعيد الفلاح، (ط١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ.
- ١٤٣- من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة)، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٤٤- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، (ط١)، مطابع الطناني، مصر، ١٩٦١م.
- ١٤٥- من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- ١٤٦- المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم الأنصاري السّجلماسي من نقاد القرن الثامن الهجري بالمغرب، تقديم وتحقيق: علال الغازي، (ط١)، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- ١٤٧- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعه أبو الحسن حازم القرطاجني المتوفي بتونس في ٢٤ رمضان ٦٨٤هـ، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، (ط٣)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.
- ١٤٨- منهج السيّد عبد الأعلى السبزواري في التفسير، د. عبد الرؤوف عبد الغفور، العراق- النجف الأشرف، (د.ت).
- ١٤٩- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، لآية الله العظمى السيّد عبد الأعلى السبزواري، (ط٥)، مطبعة نكين، منشورات دار التفسير، قم، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ١٥٠- مواهب الرحمن في شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربي المتوفي سنة ١٢٨هـ، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، (ط١)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.
- ١٥١- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي، صحّحه وأشرف على طباعته: الشيخ حسين الأعلمي، (ط١)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٥٢- نظرية التلقي أصول... وتطبيقات، د. بشرى موسى صالح، (ط١)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠١٠م.
- ١٥٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفي سنة ٨٨٥هـ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، (ط٢)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.

١٥٤- نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تحرير: جين ب. تومبكنز، ترجمة: حسن ناظم، علي حاكم، مراجعة وتقديم: د. محمد جواد حسن الموسوي، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م.

١٥٥- النكت في إعجاز القرآن، للرماني (ت ٣٨٦هـ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعَلَّقَ عليها: محمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلام، (ط ٣)، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٧٦م.

١٥٦- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي المتوفي سنة ٦٠٦هـ، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، (ط ١)، دار صادر، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٥٧- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، العلامة مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، ويليها (حقائق التأويل في متشابه التنزيل)، العلامة الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: أحمد فريدي المزيدي، (ط ١)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ.

١٥٨- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٥٩- وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربيّة، د. عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

### ❖ الرسائل والأطاريح الجامعية:

١- الإبداع والإتباع بين البلاغة العربيّة وعلم النص، محمد عبد الرضا محيسن، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة الكوفة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٢- أساليب الدعوة في القرآن الكريم، خالد توفيق مزعل الحساوي، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- ٣- أشكال التّواصل في التّراث البلاغيّ العربي (دراسة في ضوء اللسانيات التداولية)، سليم حمدان، رسالة ماجستير، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة/ جامعة الحاج لخضر، الجزائر، السنة الجامعية ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.
- ٤- البحث البلاغيّ في تفسير الميزان، رياض خلف خزي المرشدي، رسالة ماجستير، كليّة التربية/ جامعة القادسية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٥- التناوب الدلالي بين الخبر والإنشاء في التّعبير القرآني، مديحة خضير كاظم السّلامي، أطروحة دكتوراه، كليّة الآداب/ جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ٦- علم المعاني في التّفسير الكبير للفخر الرّازي وأثره في الدراسات البلاغيّة، فائزة سالم صالح يحيى أحمد، أطروحة دكتوراه، كليّة اللّغة العربيّة/ جامعة أمّ القرى، السعودية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٧- معاني التّكرار النّفسيّة لفنون البديع في القرآن الكريم، أسعد جواد يوسف الخفاجي، أطروحة دكتوراه، كليّة الآداب/ جامعة القادسية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ٨- منهج السبزواري في تفسير القرآن، فضيلة علي فرهود، رسالة ماجستير، (ط١) الناشر: العتبة العلوية المقدسة، العراق- النجف الأشرف، ٢٠١٢م.

### ❖ الدوريات والبحوث:

- ١- البديع في تراثنا الشعري (دراسة تحليلية)، عاطف جوده ناصر، مجلة فصول، مصر، المجلد/٤، العدد/٢، ١٩٨٤م.
- ٢- المساواة وقضية الأداء في البلاغة العربيّة، د. محمّد مشرف خضر، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة الكويت، الحولية الثلثون، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- ٣- مقاربات منهجية بين الطّبّاطبائي والسبزواري (تفسير القرآن أنموذجاً)، (بحث مخطوط)، أ. د. مشكور كاظم العوّادي، كليّة الآداب/ جامعة الكوفة، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ.
- ٤- (مواقف ورجال- الفيلسوف الإسلامي السيّد محمّد حسين الحسينيّ الطّبّاطبائي- مؤسس مدرسة جديدة في تفسير القرآن)، منقذ الشّمريّ، مجلة الكوثر، النجف الأشرف، العدد/٦٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

conjunction and disconjunctio, shortening and restriction and abbreviation and expatiation, respectively.

(Rhetorics topics and the receivers response between Al-Tabateba`iy and Al-Sabzawary) is the title of the third chapter which includes six topics with approach to identify the relation between rhetorics and receiver, the topics are :- ( repetition, analogous, consideration, exaggeration, ambiguous and harmony, respectively).

The conclusion includes the most important results such as :- rhetorics represents one of the important analytic device for the interpreters to deduce the Qur`anic text significance, because this miracle style involves a concentrated study, its topics are spread for the two interpreters according to their interpretation field where they cared neither for classification nor division.

Moreover the Qura`nic significance rhetorics for Al- Tabateba`iy, sometimes differs from that for the other rhetoricians that rhetorics is of the significance attributives according to its natural arrangement, while Al-Sabzawary did not believe so. Both of them depended on the method of interpreting Qura`n by Qur`an so they adopted context as an analytic standard to reveal the intended significance. Sayed Al-Tabateba`iy had depended on his Qura`nic theory ( the total unity of the Qura`nic text ), while Sayed Al-Sabzawary believed that the collective is among the verses their selves, they connected between eloquence and significance that the significance of any term comes from the structure or the context, they also recognized the connection importance in the significance topics so they adopted these topics as main devices to achieve the response of the receivers.

According to what had been mentioned the research, for those two interpreters, had gone beyond the standards and the systems that the late rhetoricians had put, to the horizons of the good test, aesthetic and rhetorics philosophy and that is what the contemporary rhetorical and textual lesson invololves.

## Summary:

The holy is the superior book in the Islamic thought and Arab heritage, it is the immortal miracle with its fantastic eloquence and style, its rhetoric is one of the main reasons of choosing this subject be as an approach of its miracle, the other reasons are that Sayed Al- Tabateba`iy and Sayed Al-Sabzawary are of the most famous contemporary interpreters of the Islamic field, in general and the Imami field in specific, they have common elements such as the environment, education and doctrine in addition to the rhetorical elements in ( Al- Mizan fi Tafseer Al- Qur`an) for Sayed Mohammed Hussain Al- Tabateba`iy and ( Moahib Al- Rahman fi Tafseer Al- Qur`an) for Sayed Abdul- A`ala Al-Sabzawary which are considered as a treasure of our doctrinal heritage. The Arab and Islamic library need for a rhetoric, contrastive and academic study for those two interpretations is another reason of this study.

The thesis includes a preface, three chapters and a conclusion.

( The cognitive authority of Al- Tabateba`iy and Al-Sabzawary ) is the title of the preface which consists of two parts :- ( the academic rise of the two interpreters ) which deals with their lives from birth to death as well as their teachers, students and books and (Their cognitive structures)which deals with their cognitive authority and educational resources such as the rhetorics which the nearest science to Interpretation.

The first chapter is entitled ( Rhetorics topics and significance principles between Al- Tabateba`iy and Al-Sabzawary) it cares for revealing these subjects within four topics and a preface :- ( the rhetoric and significance, similarity and representation, actual and figuration, metaphor and pun), respectively.

The second chapter is devoted to ( the meaning significance and the connection involvements between Al- Tabateba`iy and Al-Sabzawary) within seven topics and approach entitled (the meaning significance and the connection involvements) which emphasized the importance of ( systems and context), and the topics are ( predicate, composition, definition and indefiniton, hysteron and proteron,



**Ministry of Higher Education  
& Scientific Research  
University of Kufa  
College of Arts**

**Rhetorical Topics between  
Al- Tabateba`iy and Al-Sabzawary  
(Comparative Study)**

**A Thesis**

**Submitted to the Council of the College of Arts \ University of  
Kufa**

**By :**

**Lwa`y Sameer Mahdi Al-Khalidy**

**as a Partial Fulfillment of the Requirements of the M.A Degree in  
Arabic Language and its Literature**

**Supervised by:**

**Prof. Dr. Mashkoor Kadhim AL- Awadi**

**2013 A.D**

**1434 A.H**